

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والسكان

الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي

دراسة أنثروبولوجية بولاية قالمة دوار سالف الكرمي أنموذجا

اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه " L M D " في علم الاجتماع

تخصص: أنثروبولوجيا عامة

تحت إشراف الأستاذة:

أ. بن عاشور الزهر

أ. بوخدوني صبيحة

من إعداد الطالبة:

قروف فتحية

السنة الجامعية: 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والسكان

الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي

دراسة أنثروبولوجية بولاية قالمة دوار سالف الكرمي أنموذج

من إعداد الطالبة:

قرو ف فتحية

أمام اللجنة المشكلة من:

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
معتوق جمال	أستاذ التعليم العالي	جامعة البلدية 02	رئيسا
بن عاشور الزهرة	أستاذة التعليم العالي	جامعة البلدية 02	مقررا ومشرفا
عسولات جويده	أستاذ التعليم العالي	جامعة البلدية 02	عضوا مناقشا
علان أنيسة	أستاذ محاضر	جامعة البلدية 02	عضوا مناقشا
بن عرفة ابراهيم	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
بودريالة مسعود	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023-2024



أ- الإهداء

الحمد لله الذي وهبني التوفيق والسداد ومنحني الرشد والثبات وساعدني على إتمام هذا العمل المتواضع الذي أتمنى أن يكون في المستوى المنشود لأهديه إلى من قال الله سبحانه وتعالى فيهما، بعد:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

الآية 24 من سورة الإسراء.

إلى من صاغ أسمى معاني الأبوة إلى أبي رحمه الله

إلى أمي أطال في عمرها و حفظها الله وأدام من الدوام عليها موفورة الصحة إن شاء الله

و إلى كل العائلة الكريمة و أخص بالذكر :إخوتي و أخواتي وازواجهم

وكل الشكر والتقدير والإمتنان للسيد عطية سفيان الذي لم يدخر جهدا في مساندتنا لاتمام هذا العمل.

إلى جميع الزملاء والاصدقاء.

ب- الشكر والتقدير

بعد شكر الله عز وجل الذي وفقنا لطلب العلم والدراسة، نتوجه بشكرنا وخالص تقديرنا للأستاذة المشرفة الزهرة بن عاشور والتي وقفت على انجاز هذا البحث خطوة بخطوة ولم تبخل علينا بنصائحها العلمية القيمة وتوجيهها لنا مع صبرها علينا طيلة فترة انجاز هذا العمل.

كما نتوجه بجزيل الشكر للأستاذة المشرفة المساعدة صبيحة بوخديوني وكل أساتذتنا في فريق التكوين اللذين رافقونا طيلة سنوات الدراسة وعلى رأسهم الاستاذ رئيس التكوين شيخي رشيد.

ج-الملخص:

الطقوس الجنائزية هي الوعاء الثقافي الذي يحمل تمثلات الأفراد حول الموت، ويخضع لسلطة كل من الدين والموروث الشعبي اللذان يشكلان معاً نسقاً قيمياً، يضبط من خلاله المجتمع ردود أفعال أفرادهِ خلال الموت كحدث مهدد لوجوده، من هنا تبرز أهمية دراستنا الموسومة بـ " الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي " والتي تناولنا فيها موضوع الموت ضمن إطار نظري محوره الأساسي الاشكالية والتساؤل الرئيسي، والفرضيات التي اخضعناها للتحليل الانثروبولوجي بمقاربتها بنائياً وظيفياً وتأويلياً رمزياً، وخلال فحصنا لهذه الظاهرة ميدانياً قمنا بالاستعانة بالمنهج الاثنوغرافي والمنهج التاريخي مستخدمين الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة لجمع البيانات وتقنية تحليل المضمون لتحليل مضمون المقابلات الميدانية، لنصل من خلال هذه الخطوات المتتالية الى تحليل نتائج الدراسة التي انتهت بنا لاستنتاج عام يؤكد على أن الطقوس الجنائزية تعبر عن مخطط ثقافي، يشمل مراحل متسلسلة تشكل معاً نسقاً متكاملًا لتعبير الجماعة عن منظومتها العلائقية كما وتساهم في بناء هويتها الثقافية.

الكلمات المفتاحية: طقوس الجنازة، الدين، التراث الشعبي، طقوس المرور، التمثلات.

د- قائمة المحتويات:

أ-الإهداء.

ب-الشكر والتقدير.

ج-الملخص .

مقدمة: - 14 -

الباب النظري للدراسة

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة

تمهيد..... - 21 -

1.خطوات الدراسة المنهجية..... - 21 -

1.1. أسباب اختيار الموضوع..... - 21 -

2.1. أهمية الدراسة وأهدافها..... - 22 -

3.1. إشكالية الدراسة..... - 23 -

5.1. المفاهيم المستخدمة في الدراسة..... - 26 -

2. المقاربة النظرية للدراسة..... - 30 -

3.تقنيات ومناهج البحث المستخدمة في الدراسة..... - 37 -

4.الدراسات السابقة..... - 42 -

2.صعوبات الدراسة..... - 52 -

خاتمة الفصل:..... - 54 -

الفصل الثاني: الدين وطقوس الجنازة في الاديان السماوية

- 56 - تمهيد:
- 57 - 1. مفهوم الدين
- 58 - 2. أبعاد الدين الاساسية
- 61 - 3. الدين في الدراسات الانثروبولوجية
- 65 - 4. وظائف الدين بين البعد الاجتماعي والنفسي
- 74 - 5. الطقوس الجنائزية في الديانات السماوية
- 97 - خاتمة الفصل:

الفصل الثالث:

الطقوس وتافونومي شمال إفريقيا

- 100 - 1. مفهوم الطقوس
- 101 - 2. انواع الطقوس
- 108 - 3. خصائص الطقوس
- 111 - 4. وظائف الطقوس
- 112 - 5. الطقوس الجنائزية في الدراسات الانثروبولوجية
- 116 - 6. تافونوميا الطقوس الجنائزية في شمال افريقيا
- 125 - خاتمة الفصل:

الفصل الرابع: الموروث الشعبي وطقوس الموت في الفن العالمي

- 127 - تمهيد:
- 128 - 1. مفهوم الموروث الشعبي

- 2. خصائص الموروث الشعبي..... - 130 -
- 3. أنواع الموروث الشعبي..... - 133 -
- 4. أهمية دراسة الموروث ووظائفه..... - 142 -
- 5. مستويات التراث الشعبي..... - 144 -
- 6. الطقوس الجنائزية في الموروث الشعبي العالمي..... - 147 -
- خاتمة الفصل:..... - 150 -

الباب الميداني للدراسة

الفصل الخامس

مجال الدراسة واثنوغرافيا الميدان

- تمهيد:..... - 153 -
- 1. مجالات الدراسة..... - 154 -
- 1.1. المجال المكاني..... - 154 -
- 2.1. المجال البشري..... - 154 -
- 3.1. المجال الزمني..... - 155 -
- 2. شخصية المنطقة الطبيعية والثقافية..... - 157 -
- خاتمة الفصل:..... - 180 -

الفصل السادس

تحليل الفرضية الاولى

- تمهيد:..... - 182 -
- 1. اقتراب الأجل وطقوس الانتقال..... - 183 -

- 1.1. علامات اقتراب الاجل بين الدين والموروث الشعبي..... - 183 -
- 2.1. دلالة الأربعين قبل الموت..... - 184 -
- 3.1. الأحلام ورمزية قرب الأجل..... - 184 -
- 4.1. الغربان وفحل الغنم بين رمزية الموت الشعبية والدينية..... - 188 -
- 2. طقوس الاحتضار والاستعداد للحظة الموت..... - 190 -
- 1.2. طقوس التطهير من المذنب الى المقدس..... - 191 -
- 2.2. طقوس التلقين وإرواء المحتضر..... - 193 -
- 3.2. طقوس عند سكرات الموت..... - 194 -
- 5.2. طقس الفداء..... - 202 -
- مناقشة نتائج الفرضية الأولى:..... - 204 -

الفصل السابع

تحليل الفرضية الثانية

- تمهيد:..... - 206 -
- 1. طقوس لحظة الموت ودلالات البكاء..... - 207 -
- 1.1. طقوس توجيه الميت نحو القبلة واغماض عينيه..... - 207 -
- 2.1. طقس البكاء لتأكيد المكانة الاجتماعية للميت..... - 208 -
- 3.1. طقس التعداد لإعادة تأكيد المكانة..... - 210 -
- 2. طقوس تجهيز الميت بين الغسل والكفن..... - 212 -
- 1.2. طقوس التغسيل..... - 212 -
- 3.2. طقوس التكفين..... - 215 -

- 217 - 3. سحر المقابر وطقوس أسرار الموتى
- 219 - 1.3. انماط سحر المقابر
- 225 - مناقشة نتائج الفرضية الثانية.

الفصل الثامن

تحليل الفرضية الثالثة

- 228 - تمهيد
- 229 - 1. طقوس صلاة الجنازة وتشجيع الميت
- 229 - 1.2. طقوس صلاة الجنازة
- 230 - 3.1. طقوس التشجيع
- 231 - 2. طقوس الدفن والعزاء
- 231 - 1.2. طقوس الدفن
- 233 - 2.2. طقوس العزاء
- 234 - 3.2. طقوس زيارة القبر
- 244 - 4. طقوس الأربعين
- 247 - مناقشة نتائج الفرضية الثالثة.
- 249 - الاستنتاج العام.
- 251 - خاتمة
- 254 - قائمة المصادر والمراجع
- 282 - الملخص باللغة الأجنبية.

قائمة الرموز والمختصرات:

الرمز	المصطلح
ط	طبعة
ص	صفحة
ج	جزء
ت	ترجمة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ

ملحق الصور:

الصفحة	العنوان
274	الصورة رقم (01) توضح طقس الكريا
274	الصورة رقم (02) توضح طقس الشاميرا
275	الصورة رقم (03) توضح المكفاه طقس التغسيل
275	الصورة رقم (04) توضح الطاليت طقس التكفين
276	الصورة رقم (05) توضح صليب، غفران الميت
276	الصورة رقم (06) توضح الصليب، رمز الوفاة
277	الصورة رقم (07) توضح أدوات القداش الإلاهي
277	الصورة رقم (08) توضح قداش الموتى
278	الصورة رقم (09) توضح شمعدان المباركة
278	الصورة رقم (10) توضح المذبح الإفخاريستي
279	الصورة رقم (11) توضح مغسلة الموتى
279	الصورة رقم (12) توضح كفن وأدوات تغسيل الرجل
279	الصورة رقم (13) توضح كفن وأدوات تغسيل المرأة

مقدمة

مقدمة:

منذ بداية الزمن تصارع الإنسان مع حقيقة فناءه فتتوعد طرق تفاعله مع هذا الحدث المؤلم الذي قام بتصويره على جدران الكهوف والمغارات، بالإضافة الى انشائه للعديد من أشكال المدافن التي تعود لحقب زمنية وحضارات مختلفة، هنا اعتبر علماء الآثار ان تطور طرق وطقوس الدفن دليل قاطع على تطور الوعي البشري، ومنه تبرز بجلاء أهمية الطقوس الجنائزية كحلقة وصل بين وجود الإنسان ونموه الفكري، هذا الأخير الذي يترجمه تنوع طرق التعامل مع حقيقة الموت واعتباره بداية جديدة وولادة بشرية في عالم آخر، سواء بالانضمام الى أرواح الأسلاف أو بدخول العالم السفلي والخضوع لمحاكمة الآلهة، ان تشكل هذا الوعي بثنائية الروح والجسد اعتبره علماء الأنثروبولوجيا بداية الشعور الديني الذي يمثل في أبسط أشكاله الاعتقاد بسلطة قوى غيبية تتحكم في مصير الإنسان ومنه فان دراسة الطقوس الجنائزية كفيلة بفهم الضوابط الدينية ونظام المعتقدات الذي يحكم المجتمع، لكن هذا لا يتييسر للباحث دون التطرق الى مستوى التأثير الثقافي للحضارات البشرية التي تطبع كل منها طقوس الموت بأيقونات رمزية تحمل هوية حضارية تميز كل مجتمع عن غيره.

ان محاولة الإلمام بهذه الأنساق المترجمة لموقف الإنسان من الموت هو ما دفعنا للقيام بهذه الدراسة، فإذا كانت الدراسات الكلاسيكية قد انشغلت بالموت كمفهوم أنطولوجي شامل ضمن الأبحاث الفلسفية ذات الصبغة الميتافيزيقية، فإن التخصصات المعاصرة قد واصلت أسئلتها حول الموت ولكن بإيقاعات مختلفة مع استحضارها للتراكم الفكري السابق كمرجعية أساسية، ومن أبرز هذه التخصصات نجد علم الأنثروبولوجيا الذي حول الموت من ظاهرة بيولوجية إلى ظاهرة اجتماعية وهو في ذلك مدين للعديد من التخصصات أهمها علم الاجتماع، فقد كانت اوائل المبادرات لدراسة الموت داخل النسق الاجتماعي تعود لعالم الاجتماع الغربي هاريت ماريتينو من

خلال دراسته للانتحار والتي اهتم فيها بالأخلاق الجمعية التي تؤطر حدث الموت بين ما هو مقبول و ما هو غير مقبول داخل المجتمع، كما ساهمت اعمال إميل دوركهايم المتمثلة في كل من الانتحار والأشكال الأولية للحياة الدينية، في التأكيد على وظائف طقوس الموت ودورها الفعال في إعادة تماسك المجتمع باعتبار ان الموت هادم للمجتمع ومصدر تهديد لوجوده، اما في السياق الانثروبولوجي فقد مثل كل من روبيرت هيرتز ومالينوفسكي وراد كلفي براون وفان جونيبي الرواد الأوائل لهذا النوع من الدراسات، وذلك بما قدموه من اسهامات وتفسيرات متعلقة بالموت وطقوسه، حيث ركز هؤلاء اهتمامهم على دور الممارسات الطقسية التي تساعد افراد المجتمع على التأقلم مع حقيقة الموت كحدث اجتماعي، ان الاهتمام بأدوار الطقوس وخاصة الاهتمام بكيفية تفاعل العناصر الثقافية المغذية لشبكة الطقوس الجنائزية والمشكلة معا للحدث الجنائزي، هو السبب وراء اهتمامنا بكيفية دراسة الطقوس المصاحبة للموت بالاعتماد على فحص دور كل من المعتقدات الدينية والشعبية، وعليه نود من خلال دراستنا الاطلاع على دور كل من الدين والموروث الشعبي في تأطير وتنظيم مراحل حدث الموت من خلال الطقوس الجنائزية مقسمين بذلك موضوعنا الى بابين:

-الباب النظري للدراسة الذي اشتمل على خمسة فصول نوردها كالآتي :

-الفصل الاول بعنوان الاطار المنهجي للدراسة وقسمناه الى خطوات الدراسة المنهجية

متمثلة في اسباب اختيار الموضوع واهمية الدراسة بالاضافة الى اهداف الدراسة وضبط الاشكالية ثم فرضيات الدراسة يليها تحديد المفاهيم ثم المقاربات النظرية للدراسة بالاضافة الى مناهج وتقنيات البحث المستخدمة في الدراسة تليها الدراسات السابقة لنختتم هذا الفصل باهم الصعوبات التي واجهتنا خلال قيامنا بهذه الدراسة لننتقل بعدها الى:

-الفصل النظري الثاني الموسوم بالدين وطقوس الجنازة في الاديان السماوية الذي قسمناه الى ضبط المفهوم الاصطلاحي للدين ثم التطرق لابعاده الاساسية، يليهما الدين في الدراسات الانثروبولوجية لنتطرق بعدها الى وظائف الدين بين البعد الاجتماعي والنفسي، وننتهي في هذا الفصل الى عنصر الطقوس الجنائزية في الديانات السماوية الذي اكتفينا فيه بالديانتين اليهودية والمسيحية دون التطرق الى الديانة الاسلامية لتجنب الوقوع في التكرار لأنها جزء مهم من الدراسة الميدانية يلي ذلك:

-الفصل الثالث بعنوان الطقوس وتافونومي شمال افريقيا تطرقنا فيه الى كل من الطقوس وانواعها ثم خصائصها تليها وظائف الطقوس ثم الطقوس الجنائزية في الدراسات الانثروبولوجية ويلي ذلك التافونومي الذي يمثل تخصص علمي تاريخي أثري يعنى بدراسة الطقوس الجنائزية خلال الحقب الزمنية الغابرة من خلال البقايا الأثرية، وركزنا من خلاله على منطقة شمال افريقيا وحاولنا قدر الإمكان رصد أشكال الطقوس الجنائزية في القطر الوطني من خلال الابحاث الاثرية.

-أما الفصل النظري الرابع فعنوانه بالموروث الشعبي وطقوس الموت في الفن العالمي وقد قمنا بالبحث فيه عن مفهوم الموروث الشعبي ثم خصائصه يليهما أنواعه ثم أهمية دراسة الموروث الشعبي لننتهي إلى مستويات التراث الشعبي تليها الطقوس الجنائزية في الموروث الشعبي العالمي وتطرقنا فيها الى اشكال التعبير الفني التي تختص بالطقوس الجنائزية، اما

-الباب الميداني فقد قسمناه لاربعة فصول حيث تطرقنا في

-الفصل الخامس لمجال الدراسة واثنوغرافيا الميدان من خلال مجالات الدراسة وشخصية المنطقة الطبيعية والثقافية الذي يعتبر دراسة اثنوغرافية لميدان البحث ثم الفصل السادس الذي قمنا باختبار الفرضية الاولى من خلال دراسة اقتراب الاجل وطقوس الانتقال ثم طقوس الاحتضار والاستعداد للحظة الموت اما

-الفصل السابع فقد كان اختبارا للفرضية الثانية من خلال دراستنا لطقوس لحظة الموت

ودلالات البكاء ثم طقوس تجهيز المين بين الغسل والكفن اما

-الفصل الثامن والأخير من الدراسة الميدانية فتطرقنا فيه لفحص واختبار الفرضية الثالثة

من خلال طقوس صلاة الجنازة وتشيع الميت ثم طقوس الدفن والعزاء.

واختتمنا دراستنا بمناقشة اهم النتائج في ظل الفرضيات والتي ادرجناها في نهاية كل فصل

من الفصول الميدانية ثم انتهينا الى نتيجة عامة تليها خاتمة الدراسة ثم قائمة المصادر والمراجع

المعتمدة باللغتين العربية والأجنبية.

الباب النظري للدراسة

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

تمهيد:

تقتضي الدراسة العلمية الانثروبولوجية ضبط الجانب المنهجي العام، الذي يوضح موقع موضوع الدراسة ضمن التراكم العلمي للدراسات السابقة، كما يضبط من خلاله الباحث ابعاد اشكالية الدراسة في شقيها النظري والمنهجي، مع تحديده للوسائل والتقنيات المناسبة لبحثه ومنه جاء تركيزنا في هذا الجزء من الدراسة على الخطوات المنهجية والمقاربات النظرية بالإضافة الى اهم الدراسات السابقة لنصل لضبط دقيق لإشكالية دراستنا.

1. خطوات الدراسة المنهجية

1.1. أسباب اختيار الموضوع

تتلخص أسباب إختيارنا لموضوع " الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي " في

أسباب موضوعية وأخرى ذاتية ومن بين الأسباب الموضوعية نذكر :

- أن هذه الدراسة لعنصر من عناصر الثقافة تعكس معتقدات وسلوكات وتفكير المجتمع المدروس فاختيارنا كان بحكم انتمائنا لتخصص الأنثروبولوجيا الذي يقوم أساسا على فهم الذهنيات من خلال تحليل الممارسات وذلك من أجل التدليل على خصوصية هويتنا الثقافية.
- سرعة التغير الاجتماعي والثقافي الذي اصاب الجزائر عامة وميدان البحث خاصة جعل جزءا مهم من الموروث الشعبي والثقافي آيل للزوال وبالتالي ضياعه واندثاره ان لم توثقه الدراسة الاكاديمية.

- موضوع الطقوس الجنائزية لم ينل حظه من الدراسة الأنثروبولوجية في العالم العربي عامة وفي القطر الجزائري بصفة خاصة، فأردنا دراسته من هذا الجانب العلمي التحليلي ذو الطابع الميداني لفحص هذه الطقوس ومحاولة منا للوقوف على دلالاتها وأبعادها الإجتماعية والثقافية بالإضافة الى ابعادها الاعتقادية والرمزية.

بينما تمثلت الاسباب الذاتية في :

- معايشتنا لواقع الطقوس الجنائزية في منطقة دوار سالف الكرمي، حيث دفعنا الفضول العلمي لإمطة اللثام عن الممارسات التي تحيط بالموتى، بعد انتباهنا لخلط السكان المحليين بين ما هو طقوسي ديني وما هو موروث شعبي خلال اقامتهم لشعائر الدفن وغيرها من الطقوس الجنائزية.
- ميلنا الكبير لفهم هذه المرحلة الحتمية من حياة كل الكائنات ومحاولة إدراكنا لتمثلات الموت لدى أفراد مجتمع البحث.

وبالإضافة الى أسبابنا الذاتية والموضوعية هناك الاهمية العلمية للدراسة التي تدفعنا الى القيام بهذا البحث.

2.1. أهمية الدراسة وأهدافها

تتمثل الأهمية العلمية لدراسة الطقوس الجنائزية دراسة انثروبولوجية في ما يمكن حصره في النقاط الآتية:

- الكشف عن طقوس العبور الخاصة بالموت ومنابعها سواء الخاصة بالممارسة او الاعتقاد وتأويلاتها الرمزية وكذا تأثيراتها على البنية الاجتماعية وكيفية تجاوب الافراد مع حدث الموت.
- الكشف عن مدى انتشار الاعتقادات والممارسات الدينية والشعبية لدى المجتمع المدروس فيما يخص طقوس الجنازة.
- إلقاء الضوء على جزء مهم من التراث الشعبي والذي يحمل في طياته دراسة تمثلات الموت من خلال التطرق لأهم ردود الافعال.
- إعطاء المزيد من الاهتمام والإلمام بالظاهرة المدروسة كونها مازالت قليلة التداول أو تم تناولها باستحياء في معظم البلدان والجامعات العربية.
- تقديم جهد علمي إضافي للدراسات المنجزة على المستوى الجامعي وخاصة في جامعة البليدة، حيث وددنا أن تكون دراسة أكاديمية متخصصة تضاف إلى دراسات الباحثين وأن تساهم من الناحيتين المعرفية والنظرية في تقديم جهد علمي تحليلي انثروبولوجي.
- قراءة في الموروث الشعبي للنظر في " الطقوس الجنائزية " في المجتمع الجزائري عموما ومجتمع البحث خصوصا وإحدى الظواهر الهامة التي تتطلب عمق الفهم من خلال البحث الأنثروبولوجي ذلك للكشف عن مثل المعتقد داخل التركيب الاجتماعي المحلي.

وفي مسار بحثنا وحتى تكون دراستنا ذات قيمة علمية لا بد لها من أهداف حددناها في النقاط

التالية:

- إلقاء الضوء على جزء مهم من الموروث والذي يتمثل في دراسة للممارسات الطقسية والاعتقادية لإبراز الهوية الثقافية لمجتمعنا في ظل حضارة كلها تقنية وتكنولوجيا.
- محاولتنا من خلال الدراسة الميدانية الكشف عن بعض الجوانب المهمة في الممارسات تعتبر موضوع " تابو" والتي لا تزال ماثلة في مجتمع البحث ليومنا هذا، وذلك بتسليط الضوء على موضوع السحر والشعوذة باستخدام ادوات الجنازة وكل ما يتعلق بالميت.
- الكشف عن ما إذا كان التغير الاجتماعي قد لمس معتقدات مجتمع البحث أم أنه يمس بعض الجوانب المادية فقط دون أن يمس قسما كبيرا من الجانب المعنوي، بالإضافة الى إعطاء المزيد من الاهتمام والإلمام بموضوع دراستنا كونها ما زالت قليلة التداول.
- نهدف أيضا الى فهم متكامل بقدر الامكان لطبيعة الحياة الثقافية في مجتمع البحث وأبعاد هذه الثقافة الفريدة ومعالم النشاط الانساني فيها من خلال الممارسات الطقسية.

3.1. إشكالية الدراسة

طقوس الجنازة هي جزء لا يتجزء من الثقافة الإنسانية، حيث إمتد حضورها عبر تاريخ الوجود البشري من الانسان البدائي إلى الانسان المعاصر عبر حقب وحضارات مختلفة، تعكس خلالها الطقوس الجنائزية معتقدات وقيم وتقاليد الثقافات في شتى انحاء العالم، والطقوس الجنائزية هي ممارسات لا تهدف فقط الى تكريم المتوفى والحداد عليه وتقديم العزاء للثكالي، بل تقدم أيضا اطارا للمجتمع يعيد بفضلله التوازن لبنائه بعد فقدان احد اعضائه.

ولا شك ان اهتمام الدراسات الانثروبولوجية المعاصرة بالطقوس الجنائزية يعود الى اعتبارها موردا أساسيا لفهم النسيج الاجتماعي وأنظمة المعتقدات في المجتمعات التقليدية بما في ذلك الدور

الفعال لطقوس الموت في الحفاظ على روابط القرابة، وإعادة إنتاج القيم المجتمعية، وتحديد مفاهيم الخلافة ووراثة الممتلكات ولأن الطقوس الجنائزية تحاول دائما التوسط بين عالم الأحياء وعالم الموتى، فإنها تكشف أيضا عن التوجه الروحي والاعتقادي للمجتمع.

وعلى الرغم من أن الأدبيات الأنثروبولوجية الخاصة بطقوس الموت واسعة للغاية بحيث لا يمكن مناقشتها هنا بشكل شامل إلى أن تتبعها لطقوس الدفن منذ ما قبل التاريخ قد أسفر عن كشف حقيقة أن الموت ليس حدثا فردي وإنما هو عملية اجتماعية بالدرجة الأولى لأنه يحدث تمزق في نسيج المجتمع ومن أجل علاج هذه التمزقات وضمان تجديد واستمرارية الحياة داخل الجماعة لا بد من أحداث تحويلين داخل العملية الطقسية

الأول وهو أن جثة المتوفى يجب أن تنتقل من حالة النجاسة أو العدوى إلى حالة الطهارة الطقسية لتحقيق انسجامها مع عالم الأرواح ويمكن للأحياء أن يشرفوا على هذا التحول من خلال الاهتمام الوثيق بإعداد طقوس الجسد ودفنه، والتحول الثاني كما يراه فان جينيب هو وجوب إصلاح التفكك المجتمعي الناجم عن الوفاة من خلال عملية انتقالية خاصة تتمثل في طقوس الجنازة والحداد حيث يتم إعادة دمج المفجوعين مرة أخرى في المجتمع باضهار كل أشكال التضامن الجماعي خلال طقوس الجنازة من أجل تماسك ووحدة البنية الاجتماعية كلا التحويلين مرتبطين ببعضهما البعض ومن خلالهما تعمل طقوس الموت في وقت واحد على تنظيم مصير المتوفى وإعادة التكاليف إلى مكانتهم وأدوارهم السابقة بعد تعطلها بسبب الموت.

لكن هذا التفسير البنيوي لطقوس الموت ورغم أنه يكشف جوانب أهمية الطقوس إلى أنه يخفي أيضا اختلافات كبيرة وذلك بميله إلى تمثيل إنتاج المعنى الاجتماعي للموت كعملية غير إشكالية تخضع فقط لمتغير واحد يتمثل في سلطة المجتمع مستبعدة دور الدين والموروث في العمليات الطقسية التي تصاحب الموت.

ومنه اردنا في دراستنا هذه تسليط الضوء على هذين المتغيرين في علاقتهما بالطقوس الجنائزية من خلال ملاحظتنا ان هذه العناصر الثقافية الانسانية تعمل كمصادر هامة لتوجيه الفعل الطقسي خلال تجربة الموت ولقد حاولنا أن نبين البعد الإشكالي في دراستنا هذه من خلال التساؤل العام التالي:

- كيف تترجم ممارسات الطقوس الجنائزية تمثلات الموت، بين الالتزام الديني و سلطة الموروث الشعبي؟

ولتحليل ابعاد السؤال المركزي واخضاع الموضوع للمقاربة الانثروبولوجية، نحلل الطقوس الجنائزية انطلاقا من اعتبارها حدث عبور بطرحنا للاستئلة الجزئية التالية:

- كيف يتفاعل دور كل من الدين والموروث الشعبي في بناء الطقوس الجنائزية من خلال طقوس الفصل؟

- ماهي اسباب استمرارية التمثلات والممارسات الطقسية الدينية والموروثة داخل النسق الجنائزي خلال طقوس الهامش؟

- ما هي دلالات الطقوس الجنائزية الدينية والموروثة خلال طقوس التأسيس؟

وللاجابة عن هذه التساؤلات انطلقنا في بحثنا من الفرضيات الآتية:

- يتفاعل دور الدين والموروث الشعبي في بناء الطقوس الجنائزية خلال طقوس الفصل بتشكيلهما لمنظومة اللاوعي الجمعي المترجمة لتمثلات التنبؤ بحدث الموت، واحتواء لحظة الاحتضار كبداية لفصل الفرد الميت عن مجتمع الاحياء.

- تختلف اسباب استمرارية التمثلات والممارسات الطقسية الدينية والموروثة داخل النسق الجنائزي خلال طقوس الهامش بين ما هو اجتماعي وما هو ديني.

- تحمل طقوس الجنازة دلالات سوسيوثقافية تعبر عن دور الدين والموروث الشعبي في إعادة توازن و تماسك البناء الاجتماعي خلال طقوس التأسيس.

5.1. المفاهيم المستخدمة في الدراسة

5.1.1. الموت

أولاً: لغة

يعرف الموت لغة من " أصل الكلمة مات موتاً بمعنى مفارقة الحياة، ومات الشيء همد وسكن ويقال ماتت الرياح بمعنى سكنت وهدأت وماتت النار بمعنى خمدت وبردت وماتت الأرض بمعنى خلت من العماران ومن ساكنيه فهي موات " ¹

والموت في لسان العرب هو " المنية والوفاة حيث ورد فيه توفي فلان وتوفاه الله اذا قبض نفسه ويقال توفي الميت استيفاء مدته التي وفيت له وعدد أيامه، شهوره وأعوامه " ² ويستعمل لفظ وفاة للتعبير عن تصور أدق واشمل تجنباً لمصطلح " الموت " لما يحمله من خوف وقلق جراء فكرة فناء وعدم الوجود.

ثانياً: اصطلاحاً

في المعجم الإكلينيكي الموت هو " انقطاع كل الوظائف الحيوية عن العمل مع وقف كلي لجميع أنشطة الدماغ أو ما يمكن تعريفه بالموت السريري، مع توقف التنفس وتوقف عمل القلب مع وجود

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط 4، 2010، ص 890.

² محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، ص 90.

انخفاض كبير في درجة حرارة الجسم"¹ ، ويمكن القول ان هذه الخصائص الطبية التي تعرف حالة الموت هي نفس الخصائص التي يتم الاعتماد عليها لتأكيد حالة الوفاة.

ثالثا: اجرائيا

في دراستنا نقصد بالموت حدث اجتماعي تصاحبه العديد من الممارسات الطقسية التي تعمل على تسهيل عملية ادماج الافراد المنتمين لشبكة الفرد المتوفي في المجتمع بعد انفصال هذا الاخير عنهم.

2.5.1. مفهوم الاعتقاد

أولا: لغة

الاعتقاد هو " الاقرار بالأمر والإيمان به وهو مشتق من الفعل أعتقد ويقال اعتقد بالشيء أي اقتنع به "²

ثانيا: اصطلاحا

يقصد بالمعتقد في الاصطلاح " مسلمات يعتقد في صدقها أعضاء المجتمع وتختلف مصادرها فقد تكون معتقدات دينية وقد تكون قوى ما فوق طبيعية "³ ومنه نلاحظ ان كل من المعنى اللغوي والاصطلاحي للاعتقاد يحملان ذات الدلالة.

¹ A. Domart, G . Boumeuf, **La Rousse Medical**, Herissey Et Imprimerie, Gombar Evreux , 1982, P 649.

² محمد ابن مكرم ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص 301 .

³ محمد حسن عامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة ، ديوان المطبوعات الجامعي، الجزائر ، 1991، ص

ثالثاً: اجرائياً

الاعتقاد في مجتمع بحثنا هو التصديق بموضوع ما الى درجة التقديس بحيث يتفاوت من ناحية درجة اليقين الذاتي من فرد إلى آخر وهو مختلف في قابلية التحقق، وهو نتاج اجتماعي نشأ اما من خلال منبع ديني او موروث شعبي تناقله افراد مجتمع البحث جيلا عن جيل.

3.5.1. مفهوم الممارسة

أولاً: لغة

الممارسة في المعجم الوسيط من الفعل " مارس الشيء مراساً ومارسه عالجـه وزاوله، يقال مارس الامور والأعمال فعلها وقام بها وتمرس الشيء واحتك به بمعنى تدرب عليه " ¹، اي ان التعريف اللغوي للممارسة يربط بين لفظ مارس وكل ما يتم انجازه فعلاً وقولاً.

ثانياً: اصطلاحاً

ينطوي مفهوم الممارسة اصطلاحاً على معنى " المداومة وكثرة استغلال الشيء اما استخدامه اللاتيني Practice فهو من الأصل اليوناني براكتيكوس بمعنى تدرب ومارس وياشر" ² ، وقد استخدم لفظ الممارسة للدلالة على الانشطة المستمرة والتي توجهها مبادئ العلوم وتضعها موضع التطبيق، ومنه قولهم ممارسة الطب وممارسة السياسة.

ثالثاً: اجرائياً

في دراستنا نقصد بالممارسة كل الأفعال والأقوال التي تقام وتحدث خلال الطقوس الجنائزية او حدث الموت.

¹ جماعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ج 1 و ج 2، ص 470 .

² أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1978، ص 200 .

5.1.4. مفهوم الدلالة

أولاً: لغة

تعرف الدلالة على أنها من "مصدر فعل دل وهو من لفظة دلل التي تعني الإرشاد إلى الشيء والتعريف به ومن ذلك قولهم " دله على الطريق أي سدده إليه وفي التهذيب دللت بهذا الطريق " ¹ وبذلك فإن الدلالة تحمل معنى التوجيه الى المعنى.

ثانياً: اصطلاحاً

الدلالة في الاصطلاح بمعنى العلامة التي تؤدي معنى ما " وهي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Semion المأخوذة من Sema وتعني علامة، وعلم العلامة علم يهتم بدراسة أنواع الإشارات والعلامات بما في ذلك العلامات اللغوية" ²، أي ان مصطلح الدلالة ارتبط اساساً باللغويات وهو مفهوم الرموز اللغوية او معناها الباطني.

ثالثاً: اجرائياً

الدلالة في دراستنا تحمل معاني الممارسات الطقسية والتي تتعدى وتتجاوز الأغراض الواضحة والمباشرة لهذه الأفعال الاجتماعية.

5.1.5. مفهوم الرمز

أولاً: لغة

الرمز في اللغة هو " كل ما يشار إليه مما يبان اي بأي شيء أشرت إليه سواء بيد أو بعين، وهو لفظ مشتق من المصدر رمز يرمز رمزا " ³

¹ الزبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت، ص 497 .

² نهى محمود نايل، الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة، مصر، 2003 ، ص 05 .

³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، المجلد الثالث، 1992، ص 110.

ثانيا: اصطلاحا

تختلف تعاريف واستخدامات الرمز داخل الاختصاص الواحد غير اننا نجد معناه في الدراسات الانثروبولوجية مرتبطا بالعناصر الثقافية فقد عرفه لازلي هوايت بقوله " أن الثقافة هي تنظيم خاص من الرموز وتعامل الانسان باستخدام الرموز هو ما يميزه عن باقي الكائنات الأخرى فله قدرة فائقة على التعلم ونقل هذه الخبرات إلى الأجيال اللاحقة بواسطة الرموز " ¹

ثالثا: اجرائيا

ونقصد بالرمز في دراستنا القيمة التعبيرية التي تحملها أعمال و سلوكيات أفراد العينة .

2. المقاربة النظرية للدراسة

يؤكد مالينوفسكي أنه " على الباحث الانثروبولوجي معرفة معظم النتائج الحديثة للدراسات العلمية لكن في حالة ما إذا كان سيتخذها كأفكار مسبقة وكان عازما على إثبات بعضها، وإذا كان غير قادر على تغيير رأيه باستمرار وفق ما يفرضه الميدان، فلا غنى عن القول أن عمله سيكون عديم القيمة " ²، لذلك ومراعاة منا لخصوصية موضوع بحثنا مزجنا بين الاعتماد على النظرية الوظيفية البنائية والتأويلية الرمزية لمقاربة موضوع دراستنا:

1.2. المقاربة البنائية الوظيفية

البنائية الوظيفية هو مصطلح يطلق على الدراسات الانثروبولوجية البريطانية ³ لان مؤسسها راد كليف براون هو اول من ربط بين البناء والوظيفة وتخلّى عن التعلق بالنسبية الثقافية متخذا من

¹ عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 1983،

ص 70 .

² Bronislaw Malinowski, Argonauts Of The Western Pacific , London, G , Rout Ledge & Sons, New York, 1922, P 53.

³ جاك لومبار، مدخل الى الاثنولوجيا، ت: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1997، ص 233.

المسار السوسولوجي توجهها له فهو يطلق على الدراسة الانثروبولوجية في احد مؤلفاته عنوان " العلم الطبيعي للمجتمع " رافضا بذلك التقليد الكلاسيكي للانثروبولوجيين الامريكيين في تتبع مسار العناصر الثقافية منفصلة بعضها عن بعض، كما تستند النظرية البنائية الوظيفية على ثلاث مفاهيم رئيسية هي البناء والوظيفة والمسار تتدرج هذه المفاهيم ضمن فكرة جوهرية واحدة مفادها " انه لا يمكن ان يكون ثمة دلالة الا ببلورة العلاقات "¹ بما معناه انه على الباحث ان يحدد العلاقات القائمة بين عناصر الظاهرة المدروسة من اجل فهم دلالات ما تنتجه هذه العناصر من ممارسات ومفاهيم وتمثلات وغيرها، وتقوم النظرية البنائية الوظيفية على ثلاث مفاهيم رئيسية:

1.1.2. مفهوم الوظيفة

عرفها راد كليف براون انها " مساهمة العضو المجتمعي الواحد في اشتغال الاعضاء الاجتماعية الاخرى، وفي الحفاظ على الجسم المتعضي بأسره "² اي ان الوظيفة هي الدور الذي يقوم به كل عنصر داخل المجتمع سواء كان عنصرا ثقافيا او اجتماعيا وذلك بشرط ان يكون هذا الدور مهم في الحفاظ على استمرارية البناء الاجتماعي ككل اذ يقول راد كليف موضحا ضرورة هذه الاستمرارية " ان الوظيفة كمعاقبة الجريمة او الاحتفال المأتمني هي الدور الذي تقوم به هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية وبالتالي هي المساهمة التي تقدمها الظاهرة من اجل الحفاظ على ديمومة البناء والنظام الاجتماعي "³ فالحفاظ على استمرارية وجود البناء امر مهم في عملية اختيار العناصر المدروسة فيستبعد الباحث العناصر الشاذة التي لا تعمل على ديمومة هذا البناء العام، و

¹ المرجع نفسه، ص 235.

² المرجع نفسه، ص 266.

³ راد كليف براون، البنية والوظيفة في المجتمع البدائي، ص 280.

بذلك تهتم الوظيفية البنائية بوظائف العناصر الاجتماعية والثقافية الانية داخل النسق الاجتماعي والثقافي للبناء الاجتماعي العام والتي تستمر في الزمن

وذلك لتحقيق الغرض من دراسة العلاقة بين عناصر الثقافة وفق تفاعلها وانسجامها الوظيفي داخل البناء الاجتماعي والذي يتمثل في ان " الأداء الوظيفي للعنصر الثقافي داخل النسق الكلي للمجتمع هو الذي يفسر هذا العنصر ويكشف عن هويته الحقيقية ولا يمكن فهم العنصر الثقافي إلا من خلال الوقوف على طرق تأثيره وتأثره بعناصر النسق الاخرى " ¹ .

2.1.2 . مفهوم البنية

يعرفها راد كليف براون بقوله: " ان الملاحظة المباشرة تبين لنا ان الكائنات البشرية تتوحد ضمن شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية وعبرة البنية الاجتماعية انما تدل على هذه الشبكة من العلاقات القائمة بالفعل " ² اي ان البناء الاجتماعي يتحدد بشبكة العلاقات بين اجزائه والتي تتصف بالاستمرارية والتغير اذ ان استمرارية وجودها لا تمنع من خضوعها لمبدأ التغير الاجتماعي كما أعطى راد كليف براون مفهوم البنية الاجتماعية مكاناً مركزياً في نهجه وربطه بمفهوم الوظيفة اذ ان مكونات البنية الاجتماعية لها وظائف لا غنى عنها لبعضها البعض _ يعتمد استمرار وجود أحد المكونات على وجود المكونات الأخرى _ وبالنسبة للمجتمع ككل ، الذي يُنظر إليه على أنه كيان عضوي متكامل .

¹ محمد الجوهري، الانثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات، عملية دار المعرفة الجامعية، 2005، ص 346 .

² راد كليف براون، مرجع سبق ذكره، ص 291.

3.1.2 . مفهوم المسار

يقصد راد كليف براون بالمسار انه الحركة التي تجري بموجبها علاقات الحياة الاجتماعية وتداخلاتها انه " عديد من الافعال والتدخلات بين كائنات بشرية تفعل فعلها بصورة فردية او جماعية ¹

2.2. المقاربة التأويلية الرمزية

انبثق هذا التيار النظري من مجال الانثروبولوجيا الرمزية اذ يعد نتاجا لمجموعة من الدراسات الانثروبولوجية الثقافية الامريكية التي ازدهرت خلال ستينيات القرن الماضي ومن اهم رواده كليفورد غيرتز وجيمس كليفورد وجورج ماركوس ويعود الفضل الاكبر في ارساء تنظيم هذه المقاربة الى كليفورد غيرتز " بل يمكن القول دون تردد ان شهرة هذه المقاربة التأويلية انما يعود الفضل فيها للدور المتميز الذي لعبه غيرتز من خلال دراساته الميدانية المعمقة وقد اثر غيرتز كثيرا على الباحثين الشباب وساهم في تجديد الانثروبولوجيا ² كما ان هذا التيار النظري " احدث صدى واسعا في الدراسات الانثروبولوجية المعاصرة، بفعل الصيغ والرؤى التي تضمنها في معالجته للثقافة ³

ويعتبر موضوع بحثنا حقا خصباً للرموز ما دفعنا لاستعانة به ذلك ان النظرية التأويلية الرمزية تزودنا بآليات التفكير لقراءة النظام الرمزي الذي يحمله المجتمع في جميع ابعاده السلوكية وممارساته الثقافية اذ " تتطلق المقاربة التأويلية الرمزية من كون الاناسة الثقافية لا ينبغي لها ان تقتصر على وصف المعطيات العينية بل عليها ان تكشف عن اشكالها وان تعالج الدلالات

¹ المرجع نفسه، ص 243.

² Bonte Pierre Et Izard Michel, Dictionnaire De L'ethnologie Et De L'anthropologie, Paris,Puf, 2eme Edits,2002, P 301 .

³ Ibid, P 302

الموجودة في الاعماق"¹ ومن هنا فان المقاربة التأويلية انما تعالج الحياة الاجتماعية والانشطة الثقافية من حيث هي ظواهر يمكن دراستها على انها حوار للمعاني او نقاش يتعلق بالرموز المتضمنة لتلك المعاني"²

فبدلا من الاهتمام بما يقوله الافراد عن ثقافتهم يجب الاهتمام بالمعنى او الرمز المصاحبين للممارسات الثقافية"³ وهذا التفسير الرمزي للثقافة حسب رواد هذه النظرية انما يقوم على آيتين:

2.2. 1 . اعتبار الثقافة نص رمزي

تهدف المقاربة التأويلية الرمزية الى تفكيك البنية الرمزية للثقافة وذلك من خلال اعتبار هذه الاخيرة نص فوق وجهة نظر " غيرتز كليفورد ومارشال سالنس فان قراءة الثقافة كنص تمكن الباحث من فك اسرار الحركية الثقافية والاجتماعية لمجتمع معين "⁴ وما دامت الثقافة كما يعرفها غيرتز بانها " نظام رمزي فان هذا الاتجاه التأويلي الهادف الى دراسة الثقافة من خلال تحليل أنظمتها الرمزية انما يقتضي التعامل معها كنصوص معاشة "⁵.

¹ فولف كريستوف، علم الاناسة، التاريخ والثقافة والفلسفة، ت: ابو يعرب المرزوقي، تونس، الدار المتوسطة للنشر، ط 2009، ص 132.

² الاسود سيد حافظ، الانثروبولوجيا الرمزية، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2002، ص 112.

³ عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006، ص 63.

⁴ غيرتز كليفورد، نزال الديكة في جزيرة بالي بوصفه لعبة، ت: حامد خالدة، مجلة البحرين الثقافية، مملكة

البحرين، قطاع الثقافة والتراث الوطني، المجلد العاشر، العدد 37 ديسمبر، 2003، ص 38.

⁵ Bont Pierre Et Izard Michel, Op,Cit, P 30

2.2.2. الوصف المكثف

هذه الآلية جاءت كرد فعل على الاتجاهات الانثروبولوجية التقليدية التي تعتبر الموروث الشعبي او الفولكلور عبارة عن مجموعة من السمات تتم دراستها فقط بجمعها وتنظيمها ضمن اصناف وهي دراسة سطحية لا تؤدي الغرض العلمي القائم على فهم المعنى الحقيقي لهذه العناصر الثقافية فالوصف المكثف يؤدي بنا الى استنباط الدلالات والمعاني الرمزية العميقة التي تكمن وراء عناصر الموروث والثقافة عامة.

ولدراسة المعاني المتضمنة في الرموز او الافعال او الاحداث او الموضوعات طور غيرتز " الدراسة الاثنوغرافية وعمقها وجل منها منهاجها اطلق عليه الوصف المكثف الذي يعد جوهر المدخل التأويلي الرمزي"¹ وهي تقنية تمكن الباحث من الاحاطة بجانب الدراسة المادي والمعنوي معا ليحقق دراسة اكثر موضوعية وعمق و" يسعى المنهج الاثنوغرافي المكثف او ما يعرف بالوصف المكثف الى استخراج او استنتاج وجهة نظر الافراد موضوع الدراسة مع توضيح كيفية تأثير الابنية الثقافية والاجتماعية المختلفة على اشكال الفعل الاجتماعي، ذلك لان ما يواجهه الاثنوغرافي ليس مجرد ظواهر متفرقة بل عدد كبير من الابنية التصورية المعقدة المتداخلة فيما بينها، والتي تتطلب نوعا خاصا من الوصف الاثنوغرافي المكثف بالتركيز على الرموز الثقافية لكن ليس في شكل منفصل عن الواقع بل في وجودها وتغلغلها في نسيج الحياة الاجتماعية كما يعيشها الافراد في تفاعلهم الاجتماعي"²

¹ الاسود السيد حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 116.

² المرجع نفسه، ص 117.

وإذا كان من البديهي لدى الأنثروبولوجيين أن المجتمعات الإنسانية تنتج تأويلات لتجربتها الخاصة فإن الية الوصف المكثف تتيح للباحث الأنثروبولوجي وفق وجهة نظر التأويليين الرمزيين الالمام بالطريقة التي يطرحون بها اشكالية هذا التشكيل الرمزي"¹

كما تتيح امكانية التركيز اكثر على كل ما يبتدعه الانسان من بناءات ثقافية، وعلى المعاني التي يضيفها عليها من خلال الغوص في الاعماق الثقافية والانساق الرمزية التي تحملها"²

ولذا فإن الوصف المكثف يوفر للباحث الأنثروبولوجي فرص وامكانيات اوسع للتعامل مع الممارسة المجتمعية بشكل اكثر عمق ودقة خاصة في حالة اشتغاله على اشكال مختلفة من الخطاب الشفوي او ما يتعلق بالانظمة الرمزية الكامنة في الثقافة وضمن هذا السياق يحدد غيرترز اربع خصائص هامة للوصف الاثنوغرافي المكثف اولا انه تأويلي ثانيا ما يؤوله ويفسره في سياق الخطاب الاجتماعي، وثالثا التأويل يتضمن محاولة تأمين أو حماية ما يقال، وذلك من خلال تثبيته في حدود او كلمات او مصطلحات يمكن تتبعها، رابعا ان مثل هذا الوصف يكون محليا ومكتفا ومن منظور تفصيلي دقيق او يسعى الى الوصول الى ادق التفاصيل"³

¹ Ibid, P 384.

² السعيداني منير، التنوع الثقافي الانساني في الخطاب الاناسي بين الاختراع والمعرفة، مجلة الفكر العربي

المعاصر بيروت مركز الانماء القومي عدد 122-123، صيف 2002، ص 94.

³ الاسود السيد حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 116.

3. تقنيات ومناهج البحث المستخدمة في الدراسة

1.3. تقنيات وأدوات جمع البيانات

1.3.1. الملاحظة بالمشاركة

تعرف الملاحظة على أنها عملية مراقبة أو مشاهدة للسلوك الظاهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها البيئية والمادية ومتابعة سيرها وعلاقتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف¹، إذ " أن الباحث في هذه الطريقة يكون جزءا من الجماعات التي ينوي دراستها وذلك من خلال المشاركة مشاركة كاملة في حياتها وفعاليتها اليومية "

² وعليه كان استخدامنا لهذه التقنية بهدف جمع المعلومات وتوفير البيانات عن موضوع بحثنا حيث كانت مشاركتنا ومعايشتنا للمجتمع المبحوث مشاركة كاملة كوننا ننتمي الى المجتمع المبحوث وهذه المشاركة كان لها الفضل في تيسير معرفة وفهم العديد من الممارسات.

1.3.2. المقابلة

تعد المقابلة أفضل التقنيات لكل من يريد معرفة " اسباب سلوك الأفراد من خلال خصوصية كل حالة"³ ولقد عرفت المقابلة بأنها " مجموعة من الاسئلة يوجهها طرف الى طرف اخر في موقف مواجهة، حسب خطة معينة للحصول على معلومات عن سلوك الطرف الاخر او سمات شخصية او للتأثير في هذا السلوك"⁴ ومنه فإن المقابلة من اهم ادوات البحث العلمي لأنها تساعد الباحث

¹ مصطفى العليان، مناهج واساليب البحث العلمي، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 2000، ص 112 .

² إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1987، ص

³ Berthier Nicole , Les Techniques D'enquête En Sciences Sociales , Méthodes Et Exercices Corrigés, Paris , Armand Colin , Collection" Corsus, Série'travaux Dirigées ", 1998, P 220.

⁴ مصطفى سويف، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة انجلو، القاهرة، 1970، ص 379.

في الحصول على معلومات وبيانات غاية في العمق والدقة يتطلبها بحثه، وذلك بهدف الوصول الى نتائج علمية دقيقة أساسها الموضوعية.

أما في دراستنا هذه فقد اعتمدنا المقابلة النصف موجهة فقد استعنا بدليل المقابلة المسطر لهذه الدراسة والذي يتضمن المحاور والنقاط الأساسية الموجهة لأفراد عينة البحث " مع احتفاظنا بحق طرح أسئلة من حين لآخر دون خروجنا عن الموضوع " ¹ ولقد وقع اختيارنا على المقابلات النصف موجهة لما تتميز به هذه التقنية من مرونة تسمح بملاحظة المبحوث والتعمق في فهم الموقف الذي يستجيب فيه للمقابلة حيث كانت أسئلة المقابلات في مجملها مفتوحة، وقد زودت المقابلات ببعض الأفكار كان مصدرها إما ما اطلعنا عليه من جوانب جديدة عن الموضوع لم نكن على دراية مسبقة بها إلا بعد تطرق المبحوثات لها، أو إثر تحصلنا على مراجع تخدم الموضوع والتي أعانتنا في إدخال بعض التعديلات من حين لآخر. وتجدر الإشارة إلى أننا قمت بمقابلات جماعية وأخرى فردية علما أن المقابلات الجماعية تطرقنا فيها إلى جزء فقط من الدراسة وهو عملية الدفن وما يحيطها من دلالات ورمزية المقابر، أما الجزء الخاص بممارسة طقس التغميل فقد كانت مقابلاتنا فردية وذلك راجع لمخاوف القائمين بعملية التغميل من تلقي التهم حول أعمال الشعوذة، كما تجدر الإشارة الى ان هذه المقابلات قد اجريناها في اماكن مختلفة وعلى امتداد فترات زمنية متفاوتة اضافة الى حضورنا لخمسة عشر جنازة.

ولما كان على الباحث أن يكون متمرسا وذلك من خلال إدارة مقابلة ناجحة مع المبحوثين وهذا من خلال اشتغالها على كل ما يتصل بالمكان والزمان والأدوات، قمنا خلال بحثنا بالاستعانة بالأدوات التالية.

¹ نبيل حميدة، المقابلة في البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 08، جوان

3.1.3. التسجيل الصوتي والتصوير الفوتوغرافي

ان الهدف من " استخدام التسجيل الصوتي والتصوير كالتصوير الفوتوغرافي، أو الفيلم الاتنوغرافي مثلا، هو إلقاء الضوء، واستكشاف بعض صور ومعالَم الحياة اليومية بالوسط المدروس، والتي تعد تعبيراً عن جزئيات ومجريات الحياة اليومية، والواقع الاجتماعي لأفراد مجتمع الدراسة"¹ كما " يرى بعض الباحثين أن التصوير الفوتوغرافي أو الفيلم الاتنوغرافي يعتبر من أهم الوسائل التي يمكنها مساعدة الباحث على توثيق ملاحظاته، أو إبراز صور الممارسة أثناء دراسة الظاهرة، والمادة التي يجمعها الباحث بواسطة التصوير الفوتوغرافي يمكنه الانتفاع بها، فقد تكون مكملّة للملاحظة بالعين المجردة " ²

وعلى إثر ملاحظتنا لإنزعاج المبحوثين في المقابلات الأولى من طلبنا للتحدث ببطء والتكرار حيث كنا نكتب كل ما يتم سرده من بيانات حرصاً منا على عدم ضياع أو تفويت أي جزئية من الموضوع، استعنا بأداة التسجيل الصوتي الذي جعل المبحوثين أكثر راحة واسترسالاً في سرد البيانات، كما يعد التصوير الفوتوغرافي واحداً من أهم الأدوات و الوسائل التي يعتمد عليها البحث الأنثروبولوجي في توثيق الملاحظات الميدانية أو في تأكيد الوصف الذي يقدمه الأنثروبولوجي للواقع الذي يدرسه ³ وقد قمنا بتوظيف هذه الأداة في بحثنا من أجل

¹ مختار رحاب، مناهج و تقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام، مجلة العلوم الاجتماعية،

العدد 19 ديسمبر 2014، ص 93.

² محمد الجوهري، علم الفولكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، مكتبة النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 06، 2004، ص 267.

³ محمد الجوهري وآخرون، الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية،

مصر، 2006، ص 344 .

دعم وصفنا ولأن الصور قد تحمل معاني تعجز الألفاظ أحيانا عن إيصالها لكن انزعاج أفراد المجمع البحث من عملية التصوير ورفضهم لنشرنا لاي صورة من الصور، ادى بنا لاحترام موقفهم والاكتفاء بالاستعانة بالصور لوصف الممارسات التي تغيب عن ذهننا احيانا اثناء التوثيق.

4. 1.3 . تقنية تحليل المضمون

تحليل المضمون من اهم تقنيات تحليل البيانات في ميدان العلوم الاجتماعية وهو تقنية تساعد الباحث في الوصف وتصنيف المادة العلمية التي تم جمعها ميدانيا عن طريق المقابلات وفي دراستنا هذه قمنا بتطبيق هذه التقنية على محتوى المقابلات التي قمنا بجمعها خلال البحث الميدانية.

2.3.مناهج الدراسة

1. 2.3 المنهج الاثنوغرافي

عرف فيترمان الاثنوغرافيا على أنها " الفن والعلم المستخدم لوصف مجتمع أو ثقافة ما " ¹ اما وفقا لأنجروسينو فان " مهمة علماء الإثنوغرافيا هي البحث عن أنماط سلوكية يمكن التنبؤ بها في التجارب الإنسانية المعيشة من خلال المراقبة الدقيقة والملاحظة بالمشاركة في حياة الأفراد قيد الدراسة " ² وعلى هذا النحو فان الاثنوغرافيا هي طريقة لدراسة الأشخاص في مجموعات منظمة يمكن أن يصطلح عليها مجتمعات وللمنهج الاثنوغرافي خصائص مميزة ومتعددة حددها انجروسينو بالخطوات الاتية:

¹ Fetterman, D, **Ethnography: Step By Step** , Thousand Oaks, 2nd Ed, 1998, P 15.

² Angrosino, M, Doing **Ethnographic And Observational Research**, Thousand Oaks, 2007, P 20.

- البحث الاثنوغرافي يتم بواسطة باحثين هم على اتصال يومي وجها لوجه مع عينة البحث وبالتالي يعمل الباحث بالمنهج الاثنوغرافي كمشارك ومراقب في ان واحد لمجتمع البحث.
- العمل الاثنوغرافي يتم إجراؤه من خلال استخدام العديد من تقنيات جمع البيانات والتي قد تكون نوعية أو كمية.
- يتطلب البحث الاثنوغرافي التزاما طويل الأمد، أي يتم إجراؤه بواسطة باحثين يتفاعلون مع افراد عينة البحث لفترات طويلة من الزمن على الرغم من أن الإطار الزمني قد يختلف من بحث لآخر فيمتد من عدة أسابيع إلى أشهر او سنوات.
- يتصف البحث الاثنوغرافي بأنه استقرائي أي يتم إجراؤه بطريقة تستخدم تراكم التفاصيل الوصفية لتحديد أنماط عامة أو نظريات تفسيرية بدلا من ان يكون تنظيما لاختبار الفرضيات المستمدة من النظريات أو النماذج الموجودة مسبقا.
- وقد كان استخدامنا للمنهج الاثنوغرافي بسبب طبيعة الدراسة الانثروبولوجية التي تقتضي منا الوصف المكثف سواء لمجتمع البحث او لأبعاد الظاهرة المدروسة.

2.2.3 . المنهج التاريخي

المنهج التاريخي هو الأسلوب والطريق المؤدي لمعرفة الحقائق الماضية بالتحقيق في صدق مصادرها عن طريق الكشف والمقارنة.

وللمنهج التاريخي أهمية كبيرة في البحوث الاجتماعية والانثروبولوجية وتكمن هذه الاهمية في ضرورة استخدامه من قبل الباحثين عند دراستهم للتغير الذي يطرأ على شبكة العلاقات الاجتماعية و تطور النظم الاجتماعية وكذا التحول في المفاهيم و القيم الاجتماعية، كذلك عند دراستهم لأصول الثقافات و تطورها و انتشارها بل أن معرفة تاريخ المجتمع ضرورية لفهم واقعه، و عليه و لأهمية المنهج التاريخي في الدراسة الانثروبولوجية اعتمدنا عليه لفحص الطقوس الجنائزية خلال

مختلف الفترات الزمانية والحضارات المتعاقبة على منطقة شمال افريقيا عامة وعلى القطر الوطني خاصة.

4. الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات الأجنبية

الدراسة الأولى:

دراسة أمريكية لجاكلين ثيرسبي بعنوان " إحتفالات الجنائز في أمريكا، طقوس للحياة "¹، تمحورت اشكالية هذا البحث حول ايجاد أسباب تغير غالبية الجنازات الأمريكية الى طقوس ذات طابع احتفالي تعبر عن تمسك الافراد بالحياة اكثر من كونها طقوس مرتبطة بالموت كحدث مؤلم. ولقد انطلقت الباحثة في هذه الدراسة من فرضية ان التقاليد الامريكية الموروثة وبفعل مرور الوقت اختلطت بالممارسات المبتكرة حديثاً فأدى ذلك الى ظهور انماط سلوك جديدة مكنت الشخصية الامريكية من تكييف تقاليد طقوس الجنازة مع طرق الحياة المعاصرة. اهتمت الباحثة في هذه دراسة بالجانب الفولكلوري في الممارسات الطقسية فسلطت الضوء على التراث الشفوي والمادي ودور كل من العرف والمعتقد في تقاليد المجتمع الامريكي، كما ركزت على طقوس الجنازة المخترعة حديثاً مع تحليل الاستجابات الثقافية المتمثلة عادة في تغير طقوس اللباس والطعام والرتاء الجنائزي.

نتائج الدراسة:

انتهت الدراسة الى مجموعة نتائج مهمة تعكس مدى تحويل الفرد الأمريكي للطقوس الجنائزية الموروثة لتناسب مع حياته العصرية ونوردها كالاتي:

¹ Jacqueline S. Thursby , Funeral Festivals In America, Rituals For The Living, The University Press Of Kentucky, 2006.

- ان الحضارة الامريكية حضارة معقدة حيث تتكون من سكانها الاصليين بالإضافة الى جماعات متعددة الثقافات من جميع انحاء العالم، هذا التنوع أثر على تركيبة الطقوس الجنائزية فجعلها اكثر ابتكارا

- انقسمت الاعتقادات الامريكية حول مصير الموتى الى ثلاث فئات فئة تعتقد بالحياة بعد الموت وفئة تعتقد بالتناسخ وتكرار الولادة في هذا العالم، وفئة تعتقد بالفناء الدائم بعد الموت.

- يعتقد اغلبية افراد المجتمع الامريكي في ان حياتهم بعد الموت ترتبط بدوام وبقاء ذكراهم بين الاحياء لذلك يلاحظ اهتمام المجتمع الامريكي بذكرى الوفاة اكثر من اهتمامه بطقوس الجنازة في حد ذاتها، كما ان هذا الاعتقاد هو اساس اهتمام الفرد الامريكي بالشهرة لأنها قد تضمن لهم ذكرى ابدية بعد الموت.

- لحظة القاء النظرة الاخيرة على الميت تتم في وقت وجيز رغم حميمية اللحظة لكن يفضل الامريكان مرورها في فترة وجيزة للخروج بسرعة من فوضى الموت.

- وجود شركات للقيام بكل مراسيم الجنازة مع العناية بالجثة وتجميدها وتغليفها بمواد كيميائية الغرض منه الابقاء على تركيبة الخلايا كما هي دون تلف وذلك للوثوق في امكانية العلم على التوصل الى تقنية تعيد احياء هذه الجثث في المستقبل، ورغم التكاليف الباهظة التي تتقاضاها هذه الشركات ورغم خطورة المواد المستخدمة في عملية التحنيط هذه على الطبيعة اذا ما تسربت الى التربة، الى ان الحرص الشديد على احترام كل رغبات المتوفي وتنفيذ رغباته الاخيرة في الثقافة الامريكية جعل الدولة عاجزة امام هذه الشركات.

- ازدياد شعبية طقس الحرق لدى الامريكيين لانه اقل تكلفة من الدفن الذي يتطلب شراء قطعة ارض ونصب تذكاري، اضافة الى انه خيار صديق للبيئة ناهيك عن ان هذا الطقس كان يمارس من قبل بعض القبائل الامريكية الاصلية ويضاف اليه وجود متخصصين في طقس الحرق الى

غاية تقديم رفاة المتوفي في اوعية معدنية صغيرة حيث يقوم بذلك الامريكيين الآسيويين على وجه الخصوص.

- تغير مكان نثر الرفاة ففي التقاليد القديمة كان ينثر في حديقة يجب توفر الزهور والمنظر المريح للنفس فيها، اما حاليا فيتم نثرها في اماكن غير ذات صلة مثل استحداث اسلوب الدفن في الفضاء الخارجي باستخدام صاروخ لاطلاق رذاذ رفاة المتوفي في المدار لكنه مكلف جدا.

- ازدياد شعبية المواقع الكترونية التي تعرض خدمة التصوير الجنائزي مع العناية بمظهر الجثة، وذلك راجع لوجودها على شبكة الويب العالمية، فيمكن الوصول إليها من أي مكان وهي مفيدة بشكل خاص للأصدقاء والعائلة الذين لم يتمكنوا من حضور الطقوس بالإضافة الى انتشار استخدام المقابر الافتراضية على شبكة الانترنت حيث تمكن الفرد الامريكي من افراغ شحنة الحزن وتمكينه بان يحضا بلحظات عاطفية رمزية مع المتوفي، بوضع نصب تذكارية عبارة عن ايقونات الكترونية.

- يوافق اغلب أفراد المجتمع الامريكي ان هذه المواقع التي تقوم بخدمة طقوس الجنازة بشكل رمزي مجرد هي الانسب في عصره الحالي خاصة وان الالهة هو الاحتفاظ بذكرى المتوفي.

- كثرة المؤلفات الامريكية الخاصة بموضوع الموت والتي شملت جميع جوانبه البيوطبية الفلسفية النفسية الاجتماعية والانثروبولوجية، وكثرة الاقبال عليها من قبل القراء ما هي الا دليل على مواصلة الامريكيين البحث عن نظرة خاطفة وراء حجاب الفناء.

الدراسة الثانية:

دراسة الباحثة ميرا منزفيلد بعنوان " أنثروبولوجيا الاحتضار باستخدام الملاحظة بالمشاركة على عينة من الأشخاص المحتضرين بألمانيا " ¹ وتتمحور اشكاليه الدراسة حول كيفية التعامل مع المرضى المحتضرين في ألمانيا، الدراسة اهتمت بالبحث عن السبل المثلى للتعامل مع المحتضرين لتوفير نهاية جيدة لهم، وذلك ليس من وجهة نظر الافراد المرافقين للمحتضرين بل حاولت الباحثة تحديد اهم الانماط السلوكيه المرغوبه لدى المحتضرين من اجل توفير افضل معاملته تجاههم في فترة اقترابهم من الموت، مع تحديدها لمفهوم الاحتضار حيث فرقته بين الاحتضار القريب من الموت وهو الدخول في عملية الموت او سكرات الموت وبين الاحتضار البعيد وهو تشخيص مرض الفرد بالعضال والمرض القاتل وعدم جدوى أي علاج وهذا المفهوم هو ما قصدت إليه دراسة الباحثة.

هذه الدراسة تمت على عينة من الاشخاص المحتضرين بلغ عددهم 45 شخصا البعض منهم استمر وجوده لمدة اسابيع والبعض الاخر استمر وجودهم لعدة اشهر خلال الدراسة. المجال المكاني للدراسة تمثل في دور الرعاية التلطيفية بمدينة كولونيا وهذه المؤسسات تعتبر من المراكز الرائدة في مجال الابحاث والرعايه التلطيفية بألمانيا، اما المجال الزمني للبحث فقد امتد بداية من عام 2013 وتم الانتهاء منه في عام 2016، ولقد استخدمت الباحثة الملاحظه بالمشاركه كأداة لجمع البيانات وذلك بعد تطوعها بصفه ممرضه داخل دور الرعايه التلطيفية.

¹ Mira Menzfeld, Anthropology Of Dying, A Participant Opservation With Dying Persons In Germany, Springer Vs, 2017.

نتائج الدراسة: توصلت الباحثة الى عدة نتائج اهمها:

- تحديد مفهوم الموت الجيد بالنسبة للأشخاص المحتضرين في المانيا والذي يتمثل في رفضهم لوجود غرباء بجانبهم اثناء حدوث الموت فالموت الجيد هو حدوث ذلك داخل منزل العائلة وبحضور الافراد ذوي صلة القرابة من الدرجة الاولى بالنسبة للمحتضر.

- بعد تقديم اقتراحات متعددة للأشخاص المسنين والتي تنوعت بين الذهاب في نزهة او الانتقال من العيادة الى دار العجزة فقد اختار المحتضرون عدم المكوث مع اشخاص كلهم ينتظرون الموت وكانت اختياراتهم التي يمكن تعميمها هي رغبتهم في التواجد مع افراد عائلتهم رغم كل ما يتم تقديمه من خدمات داخل دور الرعاية لتحقيق رفايتهم، ولكن المحتضرين يفضلون التواجد مع اهلهم في ايامهم الاخيرة.

- يميل الاشخاص المحتضرون الى كره حقيقة اقترابهم من الموت لكنهم عادة ما يتوقفون عن تناول الادوية عمدا لتحقيق الموت بكرامه فعجز المحتضر عن خدمة نفسه مع صعوبة اهتمامه حتى بنظافته الشخصية هو ما يجعله يرفض المزيد من العلاج لأنه يريد الانتهاء والخروج من حالة العجز الذي يشعره بالإذلال فالموت هنا والاستسلام له يحقق له ما اصطلحت الباحثة عليه الموت بكرامه.

ثانياً: الدراسات العربية

الدراسة الاولى:

دراسة للباحثين عصمة محمد جاسم العبادي ومنى حميد حاتم العكيلي بعنوان " طقوس العبور

دراسة انثروبولوجية ميدانية لشعائر الوفاة في مدينة قلعة صالح ببغداد " ¹

تمحورت اشكالية البحث حول تشخيص ماهية طقوس الموت باعتبارها تشكل الحلقة الاخيرة من

حلقات طقوس العبور ومن اكثر الاحداث التي تترهب الانسان وتخيفه.

نتائج الدراسة: انتهى الباحثان الى عدة نتائج اهمها

- ان العنصر الذكوري يميل الى التأكيد في الوصية على الميراث ومكان الدفن اكثر من اهتمام

العنصر النسوي.

- طقس التسجية واغماض عيني الميت هو طقس عام ولا يختلف بالنسبة لكلا الجنسين وكذا

مختلف الفئات العمرية من ناحية التوجه نحو القبلة وذكر الشهادتين وقراءة بعض السور القرآنية

والأدعية

- يتم غسل الرجال في الجامع الكبير لوجود مغاسيل اما النساء والاطفال دون سن العاشرة فيتم

طقس الغسل في المنازل وتجري طقوس الغسل بصورة متماثلة دون تمييز.

- تختلف مجالس العزاء باختلاف المكانة الاجتماعية والمنزلة الخاصة بالمتوفي حيث يحضرا

السادة والشيوخ والوجهاء والاعنياء بمجالس عزاء كبيرة وبحضور الكثير من المعزيين من داخل

المدينة وخارجها وتكلف مبالغ كبيرة وكثافة الاطلاقات النارية وباتت عند البعض مصدرا للتباهي

والتفاخر وخروجها عن المؤلف .

¹ عصمة محمد جاسم العبادي ومنى حميد حاتم العكيلي، طقوس العبور دراسة انثروبولوجية ميدانية لشعائر

الوفاة في مدينة قلعة صالح ببغداد، المعهد التقني بغداد، 2013.

الدراسة الثانية:

دراسة محمد جلال حسين بعنوان " طقوس ومراسيم الموت بالنوبة المصرية: دراسة ميدانية في انثروبولوجيا الموت "¹ اهتمت هذه الدراسة بمحاولة معالجة اشكالية تحليل ممارسات الطقوس الجنائزية والمقارنة بين اشكالها حسب متغير العمر والجنس والمكانة الاجتماعية واعتمد الباحث على المقابلة الموجهة كأداة لجمع البيانات.

نتائج الدراسة: توصل الباحث الى النتائج الآتية:

- تتنوع الطقوس الجنائزية داخل المجتمع النوبي لكن الطابع الديني الاسلامي يبقى المتغير المهيمن على فعاليات هذه الطقوس.
- تمنع المرأة من المشاركة في العديد من الممارسات الطقسية الخاصة بالموت كتشييع الجنازة والدفن.
- تفرض على المرأة العديد من القيود خلال فترة الحداد.
- لا يوجد اختلاف بين الطقوس الجنائزية فيما يخص الفئات العمرية والجنس والمكانة الاجتماعية.

ثالثا: الدراسات الوطنية

الدراسة الأولى:

للباحث منصور مرقومة بعنوان " انثروبولوجيا الموت، تأملات في نهاية الانسان "²

¹ محمد جلال حسين، طقوس ومراسيم الموت بالنوبة المصرية: دراسة ميدانية في انثروبولوجيا الموت، مجلة

سوسيولوجيا، المجلد 5، العدد 3، 2021

² منصور مرقومة، أنثروبولوجيا الموت، تأملات في نهاية الانسان، ألفا للوثائق، 2012.

تدور اشكالية الدراسة حول الموت من منظور انثروبولوجي حيث تطرق الباحث الى محاولة تحديد مفهوم الموت ثقافيا واجتماعيا واكلينيكيا ما عدى الجانب الديني وذلك لتحفظ الكاتب واحكامه عن خوض هذا المجال لاسباب ذاتية واخرى علمية ذكرها في نهاية بحثه.

استخدم المنهج التاريخي المقارن لعرض تفاعل الانسان مع ظاهرة الموت منذ الوجود الانساني ومقارنة العديد من طقوس الموت في مختلف حضارات العالم قديما وحديثا، وصولا الى تعبير الانسان المعاصر عن تمثلاته للموت في الادب والسينما ومختلف الفنون المعاصرة، وتمت دراسته الانثروبولوجية بفحص التراث العالمي حول الموت في الابحاث الانثروبولوجية القديمة والحديثة للتأكيد في النهاية على ان هذا العمل هو تحفيز للباحثين لدراسة هذه الموضوع الحتمي في حياة كل انسان .

الدراسة الثانية:

دراسة الباحثة مباركة بلحسن بعنوان " الموت وصناعة الرمزي، طقوس ومخيال اجتماعي "¹ تمحورت الدراسة حول سؤال الموت وما يكتنفه من رموز ويرافقه من طقوس فأنت الدراسة مقارنة انثروبولوجية للموت من حيث المواقف والتمثلات في المجتمع الحساني وكان تركيز الباحثة على البيئة الحسانية وثقافة البيضان في منطقة تندوف بالجنوب الجزائري، ليس لاقصاء الفئات الاجتماعية الاخرى لكن لاعتبارات علمية خاصة بطبيعة الدراسة الانثروبولوجية والتي تتطلب التركيز على الخصوصية الثقافية والشمولية في الوقت ذاته كما تضمنت الدراسة توثيقا للطقوس الجنائزية في الدول الافريقية المجاورة سواء منها العربية او غيرها وذلك لإجراء المقارنة بينها وبين مجتمع البحث.

¹ مباركة بلحسن، الموت وصناعة الرمزي، طقوس ومخيال اجتماعي، منشورات الوطن اليوم، 2022.

نتائج الدراسة:

- رغم ما يظهر على مجتمع البحث من مظاهر الحداثة والانفتاح الى انه لا يزال محافظا على ممارسات افراده على مستوى الجانب الطقوسي وذلك ما مثلته حالة التفاوض التي قد يدخل فيها الفرد عندما يفقد قريبا اثناء جائحة كورونا حيث تلعب درجة القرابة والرابط الاجتماعي الدور الحاسم الذي يوجه الفرد اذا ما كان سيقدر المشاركة في طقس الجنازة ام لا.

- يتعامل الافراد مع حدث الموت بمنظومة قيمية وتعايير تقليدية وهو ما يفعله تجاه العديد من الوقائع الاجتماعية.

- كل المجتمعات باختلافها الثقافي تتمنى الديمومة ولو رمزيا واجتماعيا وذلك عبر الذاكرة الجماعية وما الطقوس التي ترافق الميت الا وسيلة لترسيخ الديمومة الرمزية الاجتماعية.

- بين من يعتبر ان طقوس الجنازة قد فقدت طابعها الاجتماعي المقدس وبين من يعتبر انها اصبحت تتخذ اشكالا مختلفة وطغت عليها مظاهر التمايز الاجتماعي فان ما هو ثابت ان الطقس كمفهوم ليس جامدا ولم يفقد مكانته كمصطلح علمي اساسي في حقل الانثروبولوجيا.

بالرغم من مظاهر الحداثة في المجتمع الجزائري والتقدم الطبي والعلمي والادعاء بأن النزعة الفردانية أصبحت الصفة المهيمنة مقارنة بالنزعة الاجتماعية الا ان " مجتمعنا لا يزال محافظا على مستوى التعايير والطقوس والممارسات الاجتماعية والمشاعر وهو ما اكدته تجربتنا خلال وباء

كورونا الذي بدأ الانتشار على المستوى المحلي بداية شهر فيفري 2020 " ¹.

رابعا: تعقيب عن الدراسات السابقة

ركزت الدراسات الاجنبية على مدى تأثير الحياة العصرية للمجتمعات الغربية ودورها في تغيير انماط الممارسات الطقسية سواء الخاصة بمرحلة الاحتضار او مرحلة الجنازة، فسرعة تطور الحياة

¹ المرجع نفسه، ص 158.

المدينة في الدول الغربية وامتزاج العديد من الثقافات فيها بسبب الهجرة عاملان أديا الى ابتكار ممارسات طقسية حديثة تتناسب مع احتياجات الافراد المعاصرة.

في حين ان الدراسات العربية اتسمت بأنها دراسات مقارنة للطقوس الجنائزية بين مختلف الفئات الاجتماعية مع التركيز على متغير الجنس حيث انتهت الى اختلاف الممارسات بين الجنسين حيث تمنع المجتمعات العربية الاختلاط بين الجنسين في اغلب المناسبات وخاصة الجنائزية كما لا تشارك النساء في اغلب طقوس الجنازة كالصلاة في المسجد على الميت وتشييعه ودفنه.

اما الدراسات الوطنية فقد كان تركيزها على مقارنة طقوس الموت في مختلف حضارات العالم قديما وحديثا بالإضافة الى محاولة رصد اهم التمثلات والدلالات الرمزية للممارسات الطقسية الخاصة بالموت، ان معظم نتائج الدراسات اكدت ان الطقوس الجنائزية متنوعة وتختلف من حضارة لأخرى.

كما اكدت الدراسات على اهمية تأثير التغير الحضاري والاجتماعي على تغير الممارسات الطقسية الخاصة بالموت.

ولقد نبهت الدراسات العربية الى وجود فروق بين الجنسين في القيام بالطقوس الجنائزية فاعلمت الدراسات العربية والوطنية يمكننا وصفها بانها دراسات مقارنة للطقوس الجنائزية سواء بين فئات المجتمع او بين الثقافات المحلية والأجنبية

وعلى هذا الاساس جاءت دراستنا هذه للتركيز على مصادر الطقوس الجنائزية وكيفية تفاعلها داخل منظومة النسق الجنائزي في مجتمع بحثنا هذه المصادر تمثلت في متغير الدين والموروث الشعبي.

2. صعوبات الدراسة

- كثرة المادة البيبليوغرافية الأجنبية وندرة المراجع العربية بالإضافة الى تشعب الموضوع وسعته ورغبنا في التطرق لكل الجزئيات الهامة في هذه الدراسات اضاع لنا الكثير من الوقت وصعب علينا مهمة حصر المادة البيبليوغرافية في اهم ما نحتاجه لخدمة بحثنا.

- تحفظ المبحوثين في الاجابة عن بعض الاسئلة خاصة في موضوع السحر بأدوات وماء غسل الميت

- عدم الرغبة في الحديث عن موضوع الموت بسبب التشاؤم كما يعتبر الحديث عنه تجديدا للأحزان

- تحفظ المبحوثات القائمات بتغسيل الموتى ما ادى بنا للمشاركة فيها بغية التعرف على كل جزئياتها وفحص المسكوت عنه.

- بعض السيدات كن قد اتهمن ببيع ادوات تغسيل الميت فعند مقابلتنا لهن انزعجن من الاسئلة التي اعتبرنها اتهام صريح والحقيقة اننا لم نعلم بالتهمة المنسوبة لهن الا بعد اجرائنا للمقابلات التي تحولت في بعض المرات الى مشادات كلامية من طرف المبحوثات انتهت بنا الى تقديم كل انواع الاعتذار.

- تشاؤم افراد المجتمع المبحوث من ذكر الموت بلغ الى اتهامنا بان موضوع بحثنا قد جلب الموت للمنطقة خاصة بعد كثرة الوفاة بسبب فيروس كورونا رغم ان الجائحة كانت عالمية، بل امتد --- الاتهام وبقينا نعاني من المضايقات حتى من قبل الافراد المقربين الذين يرون ان البحث في موضوع الموت قد جلبه بالفعل الى بيت الباحثة.

- اعتراض بعض افراد المجتمع المبحوث على عملية التصوير التي قمنا بها سواء في الجنازات أو في المقبرة مع تهديد مباشر وتحذير من نشر الصور في اي مجال كان، وذلك ان أفراد المجتمع

المبحوث يرون في حدث الموت قداسة ورهبة وعملية التصوير ونشر الصور فيه نوع من الاستهتار بآلام الآخرين.

- عند مشاركتنا لعملية تغسيل الميت تعرضنا لمراقبة شديدة وكثرة الاسئلة حول سبب رغبتنا وقيامنا بهذه العملية، هذه التساؤلات كان سببها الخوف من امكانية تسريب مواد تغسيل الميت.

- عدم تمكننا من حضور طقوس التشييع الى المقبرة وعدم حضور طقوس تجهيز القبر والدفن مما ادى بنا الى الاستعانة بالمخبرين والذين لم يحبذوا ذكر كل التفاصيل مما ادى بنا الى وصف الممارسات كما اقرها الشرع بصيغة قولنا وهل تفعلون كذا والمخبر يرد نعم هو كما قلتي، ودائما كان السبب وراء هذا الاعراض هو كره موضوع الموت.

خاتمة الفصل:

تمكنا من خلال هذا الفصل ان نحدد اطار دراستنا النظري والمنهجي كما ساعدنا هذا القسم من الدراسة في شرح وضبط مفاهيم الدراسة وتحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة، لضبط اشكالية بحثنا حول الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي بدقة علمية ليكون هذا الفصل قاعدة علمية لانجاز باقي الفصول النظرية.

الفصل الثاني:

الدين وطقوس الجنازة في الأديان السماوية

تمهيد:

الدين من اهم العناصر الثقافية التي تعمل على تحديد مختلف قواعد العمل الاجتماعي، فهو يضبط الخصائص العامة التي تحدد العديد من الممارسات الاجتماعية وذلك ما يجعل منه عامل تأثير قوي في تكوين الهوية الجماعية والفردية كما وانه يعتبر مصدرا مهما من مصادر الانظمة الثقافية والاجتماعية، ولذلك انصب اهتمام البحث الانثروبولوجي منذ بدايته على البحث في موضوعاته، فتمت دراسته كمصدر لمعاني ورموز وهياكل الثقافات قديما وحديثا.

وجاء هذا الفصل من أجل تبيان مفهوم الدين وأبعاده الأساسية، بالإضافة الى استقراءنا لدراسة الدين في الحقل الانثروبولوجي، واختتمنا الفصل بالطقوس الجنائزية في الديانات السماوية سعيا منا لربط متغير الدين بموضوع البحث.

1. مفهوم الدين

1.1. الدين لغة

الدين لغة كما جاء في لسان العرب هو الطاعة ومن الدين جاءت لفظة " ديان " وهي من اسماء الله، ومعناها الحاكم القاضي والقهار، ويوم الدين هو يوم الجزاء كما جاء في قوله تعالى " وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين " ¹ ، ودانه يدينه ديناً أي أذله واستعبده وفي الحديث الشريف " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " ² و من خلال التعريف اللغوي يتجلى لنا تأثير الدين ودوره الكبير في توجيه السلوك العام للأفراد وذلك من خلال نصوصه التي تحدد طرق العبادات والمعاملات.

2.1. الدين اصطلاحاً

يصطلح على الدين في علم الاجتماع بأنه " مجموعة من المعتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظاماً متصلاً ويتعلق في الغالب بعالم ما بعد الطبيعة وممارسة شعائر وطقوس مقدسة والاعتقاد في قوة روحية عليا وقد تكون هذه القوة متكررة او احادية" ³ كما حدده دوركايم في " انه منظومة من الطقوس والعقائد المتعلقة بأشياء مقدسة... وان هذه العقائد تؤلف بين قلوب أتباعها جميعاً في اطار اتحاد معنوي" ⁴ أي أنه " نظام موحد من الاعتقادات والممارسات المتصلة بالأشياء

¹ القرآن، سورة الصافات، الآية 20

² فلاح جابر جاسم ، الدين وآليات الضبط الاجتماعي، مجلة أوروك، العدد 2، المجلد 10، 2017، ص 417.

³ بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، 1982، ص 353.

⁴ Duvignaud Durkeim, Sa Vie Son Oeuvre, Puf, Paris, 1965, P 113

المقدسة والتي تعني الممنوع والمرفوض، وتلك الاعتقادات والممارسات التي تتوحد في أخلاق المجتمع الواحد تعرف باسم كنيسة وعلى الجميع أن يلتزم بها ¹

أما في مجال الانثروبولوجيا فقد اصطلح عليه علماءها بأنه يمثل " العلاقة الروحية والعاطفية بين الانسان وقوى ما فوق الطبيعة او الكائنات التي يقدم لها العبادات ويقيم لها الممارسات الطقوسية التي تعينه على الاتصال بهذه القوى وتمكنه من ادامة تلك العلاقة التي تصبح مقننة في النظام الاجتماعي " ² ومنه فان الدين من منظور انثروبولوجي هو كل فكرة تصاحبها ممارسة طقسية وتمتاز بالتكرار في الزمن وهو ما يكسبها قوة فاعلة في نظام المجتمع من خلال اقرار الجماعة بصدق هذا المعتقد مهما كان مصدره.

2. أبعاد الدين الاساسية

يمثل الدين ظاهرة عامة في المجتمعات الانسانية وهو الإيمان بالأمور الغيبية المقدسة وهناك عناصر مشتركة تميز الاديان في مختلف المجتمعات وهي:

1.2. المعتقدات

ونقصد بها مجموعة المعتقدات التي توجه سلوك الفرد ورغم انها قد لا تتفق مع المنطق أو العلم ولكن الانسان يؤمن بها لأنها أمور متصلة بعقيدته وتعرف المعتقدات على انها " مجموعة من الافكار الواضحة والمباشرة، التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين عالم الانسان، وغالبا ما تصاغ هذه الافكار على شكل صلوات وتراتيل وجوهر المعتقد يكمن

¹ أحمد محمد جاد، المناهج الاجتماعية لدراسة الأديان، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، مصر، ص 13.

² Malinowski B , Magic Science And Religion And Other Essays, The Free Press, 1948, P 310.

في الجزم بوجود قوة قدسية ثانية منفصلة عن عالم دنيوي¹ أي ان الاعتقاد يجب ان يرتبط بقوة غيبية ليصبح ذا دلالة فاعلة في نفوس الافراد لتترجم بعدها الى ممارسات طقسية.

2.2. المقدسات

جميع الأديان تشتمل على جوانب مقدسة يجب على الفرد أن يؤمن بها وهي حسب ما يرى دوركايم متصله بالقوى فوق الطبيعية والتي تحتل مكانة أعلى من قدرات الإنسان والقوى الطبيعية المحيطة به والمقدس يشكل جوهر الاعتقاد الديني " فهو في تظاهراته الواقعية مكان وزمان وإنسان، والاضرحة أمكنة مقدسة، لأنها قبور لاناس مقدسين يملكون قدرات خارقة من أجل التوسط عند الله لاجل قضاء الحاجات وإبعاد الكوارث والأهوال، تؤدي هذه المزارات الدينية وظيفه الترياق ضد القلق والتوتر وتمنحهم الطمأنينة المنشودة، وهذا الاعتقاد هو جزء من الحياة الدينية السائدة والمنسجمة والمتوافقة مع التنظيم الاجتماعي ومع الحس المشترك². " ويعد دوركايم اول من تطرق الى دراسة مفهوم المقدس في كتابه الاشكال الاولى للحياة الدينية معتبرا ان المقدس يشمل كل ما هو ديني وهو ما يعاب على تنظير دوركايم للظاهرة المقدسة حيث ان المجتمعات قد تصنف امور اخرى ضمن المقدس ولا علاقة لها بالدين، ومنه لا يمكن اعتبار المقدس الديني شاملا لكل مقدسات المجتمع.

¹ خزعل الماجدي، بخور الآلهة، منشورات الاهلية، لبنان، ط1، 01، 1998، ص 79.

² المختار الهراس، إدريس بن سعيد، التحولات والتغيرات الاجتماعية في البوادي المغربية، منشورات كلية الادب

والعلوم الانسانية، الرباط، ط1، 2002، ص154.

ويمكننا تلخيص خاصيات المقدس لدى دوركايم على الشكل التالي:

- انفصال الشيء أو الفكرة عن الواقع لتصبح مختلفة جذريا عن المندس الواقعي، فالمقدس هو المندس الذي تغيرت طبيعته ودلالته بفضل إرادة الإنسان، من هنا فإن الإنسان هو الذي يخلق وينتج المقدس.

- هذا الانفصال ناجم عن سيرورة اجتماعية.

- يخلق النظام الاجتماعي في اللحظة التي يستطيع فيها الإنسان أن يعزل داخل المجتمع، "مكانا للقوة" وذلك لغرض شرعنة القواعد والقيم الجماعية التي تفرض لضمان حد أدنى من الانسجام الاجتماعي¹

3.2. الطقوس

وهي سلوكات فردية أو جماعية نابعة من اعتقاد الجماعة بضرورة تكرارها لدفع ضرر أو لجلب منفعة و هي كما عرفها فان دورلو " إحياء وتحيين لتجربة مقدسة "² ذلك ان " الطقس يعمل على إثبات استمرارية الحدث التاريخي المرتبط به، ومن خلال تكراره واستدامته وبتكرار القواعد التي تثبته فهو يعمد إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الاسطوري الذي أوجده، فهو إذن إعادة خلق وإحياء لماضي غامض غالبا "³ وقد حدد علماء الانثروبولوجيا خصائص الطقس فيما يلي:

- التعقيد : اذ ان سبب خضوع الجماعة والأفراد معا إلى جملة من القواعد والضوابط المنظمة والمعقدة في ان واحد والتي بدونها يفقد الطقس خصوصيته الوجدانية والغيبية.

¹ Durkheim (E), Les Formes Élémentaires De La Vie Religieuse, Puf, Paris, 1985, P 65.

² نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت،

باريس، ط1، 1988، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 34.

- التكرار : ويتم بتكرار الأفعال والسلوكيات والممارسات بشكل نمطي موغل في الإعادة وذلك وفق خطة معينة ومحدد.

- الشحنة الرمزية : وهي حمولة الطقس الرمزية والدلالية التي تختلف بحسب المواضيع والتمثلات التي يحملها الأفراد فالطقوس دائما لا تخلو من بعض الدلالات والرموز المرتبطة والمتداخلة فيما بينها والمعبرة عن تمثلات الأفراد حول وجودهم الاجتماعي.

4.2. الجماعات الدينية

هي وحدات اجتماعية ذات كيان واضح المعالم يلتزم أفرادها إزاء بعضهم البعض بالعديد من العلاقات وصور المساعدة¹ وكل دين له مؤسسة تمثل الجماعة الدينية و تكون مسؤولة عن هذا الدين حيث تخدم أهدافه مثل نشر تعاليمه والإشراف على تطبيقها في كافة المناسبات الدينية.

3. الدين في الدراسات الانثروبولوجية

ان المستقريء لتاريخ دراسة الدين في الحقل الانثروبولوجي سيجد ان الدراسات للدين مرت بثلاث مراحل تختلف كل مرحلة باختلاف تطور المدارس الانثروبولوجية

1.3. النظريات المتعلقة بأصول الدين

بدأت دراسة الدين في الأنثروبولوجيا مع رواد النظرية التطورية والتي ظهرت مع بدايات القرن التاسع عشر، حيث اعتقد رواد هذه المدرسة أن " المجتمعات البشرية قد مرت بعمليات من التطور إلى أن أصبحت أكثر تعقيدا وعقلانية وأقل بساطة وبدائية، فعلى غرار التطور الموجود في الحياة

¹ محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ،

البيولوجية هناك تطور موجود أيضا في الحياة العقلية ¹ ومن اهم الدراسات التطورية للدين نورد امثلة عن الدراسات التطورية للدين الدراسة التي قام بها جون لوبوك في كتابه " أصل الحضارة والحالة البدائية للإنسان" ² اذ تعتبر من اوائل محاولات دراسة نشأة الدين، حيث قام بجمع الادلة الاثرية لشعوب ما قبل التاريخ لمحاولة اثبات وجود فكر ديني في تلك الحقبة وانتهى على اثر هذه الدراسة لوضع مخطط تطوري بدءا من الإلحاد او غياب الأفكار الدينية ثم انتقالا الى عبادة الطبيعة والطوطمية التي هي نظام من المعتقدات يتضمن علاقة حيوانات معينة بالعشائر ثم الى الشامانية والتي تعني نظام إيماني يركز على الشامان والشخصية الدينية التي لديها قوى علاجية ونفسية ثم اخيرا الى التوحيد وهو الإيمان بالله واحد.

تليها دراسة إدوارد تايلور في كتابه حول الثقافة البدائية، حيث وضع فيه نظرية متكاملة عن الدين عرفت باسم نظرية الارواح ومفادها ان الانسان في بداية وجوده ادرك حقيقة انفصال الروح عن الجسد من خلال الاحلام، فاعتقد ان الامر الذي يحدث في الغيبوبة والموت هو ان الروح تتفصل عن الجسد وتستطيع بذلك التأثير على الاشخاص الاحياء و" نتيجة خوفه من هذه الارواح قام بالتقرب اليها عن طريق ممارسات طقسية دينية متمثلة في الصلوات والاضاحي، وهكذا نشأت عبادة الاسلاف ومنها نشأت ديانات اخرى واهمها عبادة الطبيعة التي تقوم على اساس الاعتقاد بوجود قوى ما وراء الطبيعة الميتافيزيقية الكامنة في النبات والحيوان" ³

¹ أحمد محمد جاد، المناهج الأنثروبولوجية في دراسة الأديان، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، عدد

خاص، 2007، ص1.

² Robert Segal, Ninian Smart And Others, The Encyclopedia Britannica , Science, Literature And General Information ,Cambridge, England, At The University Press, July 20, 1998, P 201.

³ سليم شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، الكويت، 1981، ص 142.

فالأرواحية اذا هي الاعتقاد بوجود كائنات روحية عديدة مكلفة بشؤون البشر سواء بالخير أو بالشر، ومن خلال تلك النظرية رأى تايلور أن الطقوس التي يقوم بها البدائي ما هي إلا صلوات للتقرب من تلك الأرواح التي تدخل بعد الموت في جسد آخر فتصيبه بالمس أو الجنون، وهذه الأرواح يمكن تقييدها عن طريق الفتشية¹؛ أي التعبد لتلك الأشياء التي تسكنها الأرواح.

قام هربرت سبنسر في كتابه " مبادئ علم الاجتماع " بوضع تصور خط تطوري لنشأة الدين مماثل لما قدمه تايلور غير انه وضع عبادة الاسلاف مكان الارواحية فعرفت نظريته " بنظرية الشبح حيث ارجع أصل الدين الى عبادة الأجداد الذين يظهرون في شكل أشباح تتم عبادتهم بتقديم قربانين وذبائح لابعاد شرها عن الاحياء " ².

كما قدم جيمس فريزر في مؤلفه " الغصن الذهبي " تفسيراً آخر لنشأة الدين حيث وضع خطأ لتطور المعتقد الانساني في قوى غيبية بداية من السحر وتطور ليأخذ الدين مكانه³ تعرضت النظريات التطورية لانتقادات لاذعة خاصة بعد اثبات دراسات من رحم البحث الانثروبولوجي وجود فكرة الاله الواحد داخل المجتمعات البدائية وغالبا ما يكون هو المشرع الاخلاقي لهذه المجتمعات منها ابحاث الانثولوجي الألماني فيلهلم شميدت التي قام بجمع نتائجها في كتابه " أصل فكرة الله"⁴.

2.3. النظريات المتعلقة بوظائف الدين

فضل البعض الآخر من الباحثين الانثروبولوجيين الابتعاد عن البحث في ماهية الدين الى الاهتمام بوظائفه حيث يرى رواد هذا الاتجاه أن المجتمع ككل مثل الكائن الحي " فكما أن لكل عضو من أعضاء الكائن الحي وظيفة محددة كذلك المجتمع أيضا، لكل وحدة من وحداته وظيفة محددة،

¹ إيفانز برتشارد، الأناسة المجتمعية، ت: حسن قبيسي، دار الحداثة، 1982، ص190

² Edwards, Philosophy Of Religion, P. 39

³ Ibid, P 40.

⁴ Ibid, P 40.

وبين هذه الوظائف علاقات تعمل على التكامل والاستمرار¹، ويمكن القول إن الرؤيا الوظيفية في الأنثروبولوجيا تبدأ من أعمال إميل دوركايم حيث كانت النقطة الرئيسية في نظريته حول الوظائف الاجتماعية للمعتقدات والممارسات الدينية، ووفقا لدوركايم تعد الطوطمة اقدم شكل من اشكال التدين و الطوطم يدل على كل أصل نباتي أو حيواني تتخذه عشيرة ما رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، ويعتقد افرادها أنه يؤلف معهم وحدة اجتماعية كما ان للطوطم وظائف معينة منها انه يجمع أفراد القبيلة الواحدة.

كما انه يمثل رمزا للسلطة والوحدة، وقد يكون هذا الطوطم حيوان أو نبات وهو يحمي صاحبه، وفي المقابل يحترمه صاحبه ويقدسه، فإذا كان حيوانا لا يقوم بقتله، وإذا كان نباتا لا يقوم بقطعه لكن وجهت انتقادات لنظرية دوركايم اذ اعتبر انه شكل ديني عالمي عرفته كل القبائل البدائية وهو ما تفنده الابحاث الاركيولوجية.

ولقد وصلت الأنثروبولوجيا الوظيفية ذروتها على يد مالمينوفسكي فقد كان أول أنثروبولوجي لا يستقي معلوماته عن الشعوب البدائية من الرحالة والمبشرين، حيث تعايش مع أهالي ميلانيزيا لمدة أربع سنوات وقام بدراسة العلاقة بين الاساطير والطقوس لدى هذه القبائل، ولقد قام على اثر دراسته بنقد نظرية تايلور حيث رأى أنها قد أقيمت على فرضية تجعل من البدائي فردا تأمليا وعقلانيا أكثر من اللازم، فأوضح أن البحث الميداني الذي قام به على أهالي ميلانيزيا أوضح له أن البدائي يهتم بصيده وزراعته أكثر من التفكير حول الأحلام والرؤى.

كما عقد مقارنة بين الدين والسحر فانتهى الى ان " كلاهما يعمل على مواقف الضغط الانفعالي التي يتعرض لها الإنسان في حياته مثل الموت والحب والكراهية، فالدين والسحر بمثابة مخرج من

¹ أحمد محمد جاد، المناهج الأنثروبولوجية في دراسة الأديان، مرجع سبق ذكره، ص 13.

تلك الأزمات حيث لا يوجد طريق عملي تجريبي للخلاص من تلك الأزمات سوى مشاعر الإيمان بعالم غيبي¹.

3.3. الدراسات الانثروبولوجية الدينية المتخصصة

بعد تفرع الحقل الانثروبولوجي الى ميادين اكثر تخصصا ظهرت الانثروبولوجيا الدينية و يعتبر كليفورد غيرتز من بين علماء الانثروبولوجيا المعاصرين الذين اهتموا بالظاهرة الدينية فقدم مجموعة من المقاربات الانثروبولوجية للدين في مقالته "الدين كنظام ثقافي" اظهر من خلالها البعد الرمزي للثقافة ككل وللمنظومة الدينية بشكل خاص إذ أكد " ان السلوك الانساني سلوك رمزي وله معنى لهؤلاء الذين يشتركون في هذا السلوك، ويعتقد جيرتز أن الإنسان هو المخلوق الذي يرتبط بنسيج المعاني الذي يقوم هو شخصيا بنسجها فالثقافة من وجهة نظره هي نسق المعاني، ومهمة الأنثروبولوجي فهم هذه المعاني من وراء الأفعال الثقافية أو الأنماط الثقافية.² والدين باعتباره عنصرا من عناصر الثقافة لا يخرج عن هذه القاعدة ولفهم الظاهرة الدينية لابد من دراسة ابعادها الرمزية التي تحملها الممارسات الطقوسية.

4. وظائف الدين بين البعد الاجتماعي والنفسي

1.4. دور الدين في الدراسات الاجتماعية والنفسية الكلاسيكية

اولا: الدور الاجتماعي للدين

يعد الدين من أهم وأقوى وسائل الضبط في الحياة الاجتماعية وذلك من خلال ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع لاستقرار النظم الاجتماعية، ولذلك اهتم العديد من علماء الاجتماع

¹ مالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ت: فيليب عطية الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر،

² فاروق احمد مصطفى ، محمد عباس ابراهيم، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، ص 98 .

بدراسته ووضعه على قمة النظم الاجتماعية، ومن بين هؤلاء نجد دوركايم الذي يعتبر من أوائل الباحثين في الظاهرة الدينية حيث ألف بحثاً هاماً حول الدين يحمل عنوان " الأشكال الأولى للحياة الدينية " حدد فيه تعريفاً للدين مبيناً من خلال هذا التعريف دور الدين في المجتمع فالدين " هو منظومة متلاحمة من الاعتقادات والممارسات المرتبطة مع الأشياء المقدسة، تقوم بها جماعة واحدة تتخبط في مؤسسة دينية تسمى الكنيسة "¹ ومنه ندرك ان دور الدين عند دوركايم متصل بفكرة المقدس فالدين عنده هو الشكل المنظم والمؤسساتي للمقدس من جهة، وهو نمط لإنتاج المعايير الجماعية والوعي الاجتماعي من جهة ثانية، وهو بالتالي ما يضمن ويحقق الاندماج الاجتماعي او التلاحم والانسجام وهو ما يتم خلال الطقوس الدينية.

الدين نظام اجتماعي شامل لا يسمح لأي فرد أن يسلك سلوكاً خارجاً عن تعاليمه، وبذلك فإنه يضبط سلوك الأفراد في المجتمع من خلال ما يأمر به وما ينهى عنه ومن خلال هذه الاوامر والنواهي يمتد تشريع الدين وتنظيمه من حياة الفرد الى ما بعد حياته، أي ان الدين لا يهتم فقط بتنظيم كيفية الحياة بل حتى بمصير الانسان بعد الموت وانتهاء وجوده المادي فالمجتمع ومن خلال مؤسساته الدينية يعمل على توجيه سلوكات الافراد ليصبح الدين بذلك أداة ضبط اجتماعي، لها فاعليتها في ضبط سلوك الأفراد، " فحياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لا يمكن أن يستقرا بفعل قوة القوانين الوضعية فقط، بل لا بد من الردع الروحي والإيمان بالقيم الدينية وبالتالي يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى "²

ويمكن للباحث ان يلحظ دور الدين في توجيه سلوك الأفراد في مختلف المناسبات الاجتماعية كالزواج و الميلاد و الموت التي يعمل الدين فيها على تنظيم العلاقات والممارسات التي يجب ان

¹ Durkheim (E), Les Formes Élémentaires De La Vie Religieuse, PUF, Paris, 1985, P 11.

² محمد بن عبدالله الزامل، الدين والضبط الاجتماعي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، ص6.

يلتزم بها الفرد خلال تعامله مع الغير في مختلف المواقف، وشعور الفرد بهذه الإلزامية في تطبيق تعاليم الدين بالإضافة الى ما يحيط هذه التعاليم من قداسة هو ما يعزز دوره في عملية التنشئة الاجتماعية ويضبط للأفراد سلوكياتهم .

كما يعمل الدين من خلال اقامة طقوسه الجماعية على احياء الترابط بين افراد الجماعة فهو وسيلة تترك إحساس مشترك لدى جميع الأفراد بالميل للبقاء والإستمرار في مسيرة واحدة تعظم شعائر هذا الدين، بذلك يؤدي الدين دورا هاما في ترابط الناس وتماسكهم وذلك بما يفرضه على معتقيه من القيام بممارسات وشعائر جماعية تجمع الافراد في مكان واحد ووقت واحد، بالإضافة الى صفة الاستمرارية التي تطبع هذه الممارسات الدينية فتؤدي هذه الاخيرة الى تقوية روابط الجماعة حيث " تسعى الديانات الى غرس قيم مشتركة بين الأفراد تميزهم عن غيرهم من الأديان وهذا بالتالي يساعد على ترابط الافراد و يؤدي الى تماسكهم و وحدتهم " ¹ فتتشكل لديهم هوية دينية واحدة وهي " مجموعة القيم والمعايير والمبادئ التي تفرضها الديانة الواحدة على الأفراد المؤمنين بها" ²، هذه القيم والمعايير و المبادئ المشتركة تخلق بينهم وعيا جمعيا بهوية دينية واحدة تميزهم عن غيرهم من افراد الديانات الأخرى.

اما في الدراسات الانثروبولوجية فقد توصل راد كليف براون الى ان الدين هو الاساس الذي يحدد شكل البناء الاجتماعي للمجتمعات البدائية وذلك من خلال دراسته لعبادة الاجداد والطوطمية في استراليا فالدين من منظوره هو اساس تنظيم كل مؤسسات المجتمع وذلك في قوله " نتيجة لهذا الدين نشأ المجتمع القديم على أساس الأسرة، والنسب الخارجي، وقوانين الوراثة، والملكية والزواج، وأسس السلطة الأبوية، وحدد ترتيب العلاقات، وكرس حق الملكية وحق الميراث، هذا الدين نفسه،

¹ سلوى الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مكتبة الشقري للتوزيع والنشر، ط2، 2009، ص 61.

² المرجع نفسه، ص 62.

بعد أن قام بتوسيع الأسرة، شكل اتحادا أكبر تمثل في ظهور المدينة وحكم فيها فحدد قضاتها وحكامها وضبط علاقات أفرادها ومنه جاءت جميع مؤسسات القدماء¹ أي ان الدين هو ما يحدد للمجتمعات القديمة طرق الزواج ويضبط علاقات القرابة وأشكال الملكية بل انه الاساس الاول في تكون المجتمعات وانشاء المدن من خلال ظهور الزواج الخارجي وتحريم الزواج الداخلي مما ادى الى ظهور التحالفات وتوسع المجتمعات القديمة لتصبح ما هي عليه اليوم.

ومنه فعلاقة الدين بباقي مؤسسات المجتمع هي علاقة سببية حيث ان الدين يمثل السبب وتمثل باقي مؤسسات المجتمع النتيجة لكن راد كليف براون يؤكد ان هذا التحليل يتماشى فقط مع نمط التفكير الذي كان في القرن التاسع عشر، ومنه لا يمكننا فهم المؤسسات الاجتماعية والقانونية والسياسية في المجتمعات القديمة ما لم نأخذ الدين بعين الاعتبار، و لقد اعتبر براون ان " علاقة الدين بالبناء الاجتماعي الكلي في المجتمعات المعاصرة علاقة غير مباشرة في كثير من النواحي وليس من السهل تتبعها دائما " ²

ومنه يمكن استنتاج الادوار الاجتماعية للدين فيما يلي:

أ. الدين وسيلة للضبط الاجتماعي

يعتبر الدين عنصرا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية حيث يمد الافراد بالوعي بالواجب من خلال الطقوس، والتي لا تحمل تعابير عفوية وانما هي في اغلبها شعور بالالتزام مرتبط بالمعتقد الديني فمن واجب كل فرد المشاركة في هذه الطقوس بكيفيات مختلفة تملئها تعاليم الدين المشترك بين افراد الجماعة وبذلك تعبر هذه الطقوس عن التضامن الاجتماعي

¹ Radcliffe-Brown, **Structure And Function In Primitive Society**, The Free Press Glencoe, Illinois, 1952, P 109.

² Ibid, p 110.

فيحقق الدين بذلك الوحدة بين الافراد من خلال هذه الطقوس التي تعمل على تشكيل هوية دينية واحدة لدى الجماعة فتعزز روح الوحدة والانتماء بين افرادها، كما يعمل الدين على تجديد روح التضامن هذه من خلال تكرار ممارساته الطقسية في المناسبات المختلفة.

ب. دور الدين في تماسك البناء الاجتماعي

يتضح من المناقشة أعلاه أن الاحتفالات والطقوس الدينية هي وسيلة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية، هذه الاحتياجات الاجتماعية يتم تحقيقها على النحو التالي:

- الطقوس الدينية تعمل على دعم وجود البناء الاجتماعي في اذهان افراده من خلال تنظيم الطقوس للسلوك الفردي داخل الجماعة الطقسية وكذا تنظيم وتقوية مشاعر الانتماء داخل البناء خلال الممارسات الطقسية.

- تؤثر المشاعر الدينية على التماسك الاجتماعي من خلال الاحتفالات والطقوس حيث يتجدد الوعي بوحدة الجماعة.

- يعمل الدين على تنظيم التعبير الاحتفالي داخل الطقوس ويحافظ عليه في ذهن الأفراد لنقله من جيل الى اخر.

ثانيا: الدور النفسي للدين

تمثلت غايات الدين عند علماء الانثروبولوجيا في تبديد القلق لكن الاختلاف بينهم كان في منبع هذا القلق والخوف فالدراسات التطورية التي اعتنت بالبحث في بداية وجود الفكر الديني لدى الانسان ومراحل تطوره قدمت تفسيراً للممارسات الدينية بمختلف اشكالها على انها استجابة سيكولوجية للقلق من الظواهر الطبيعية التي لم يفهم الانسان القديم حقيقتها فقام بعبادتها خوفا منها وتقربا اليها؛

اما في الدراسات الوظيفية التي تتمتع بصفة الحقلية اذ قام علماء هذا الاتجاه بالتوجه الى ميادين دراستهم مغيرين طريقة بحث الانثروبولوجيين الاوائل _ المتمثلة في جمع البيانات من الرحالة والمبشرين فانتهى بهم المطاف الى وضع تاريخ تخميني لمختلف الظواهر الانسانية منها الدين _ فاتجه اهتمامهم الى الممارسات الدينية المتمثلة في الطقوس ولقد اختلف كل من مالمينوفسكي وراد كليف براون حول مصدر القلق الذي تسعى الممارسات الدينية الطقوسية لإزالته وتبديده

فوجد مالمينوفسكي بعد دراسته لجزر التروبريوند يقرر ان الدين ذو وضيفة نفسية حيث يعتقد أن المعتقدات الدينية تلبي الاحتياجات النفسية ولاحظ أن الدين لم يولد من التكهانات أو التأمل، وليس من الوهم أو التخوف، بل من المآسي الحقيقية للحياة البشرية، ومن الصراع بين الخطط البشرية والحقائق؛

وذلك خلال مشاركته سكان جزيرة تروبرياند في طقس الكولا وهو طقس يتطلب من الرجال بناء زوارق والإبحار في رحلات طويلة وخطيرة بين الجزر المجاورة لتبادل العناصر الطقسية، ولاحظ برونيسلاو مالمينوفسكي أنه وقبل هذه الرحلات الخطرة كان لابد على افراد القبيلة من أداء العديد من الطقوس المعقدة، لكن الإبحار العادي لرحلات الصيد لا يتطلب شيئاً خاصاً من هذه الاستعدادات.

انتهى برونيسلاف مالمينوفسكي إلى أن الرحلات الطويلة لم تكن خطيرة فقط، لكنها مصدر لإثارة المزيد من القلق وذلك راجع الى شعور السكان أن لديهم سيطرة أقل على ما يمكن أن يحدث خلال الرحلات الطويلة، ففي هذه الاخيرة هناك العديد من الأمور التي يمكن أن تسوء، والقليل منها يمكن التخطيط له أو تجنبه، وجادل بأن الطقوس الدينية توفر وسيلة لتقليل القلق أو السيطرة عليه عند توقع هذه الظروف، وقد تم توثيق استخدام الطقوس لتقليل القلق في العديد من الحالات الأخرى؛

ومنه فالدين بالنسبة لمالينوفيسكي هو " مخرج من المواقف التي لا نستطيع ان نخرج منها عبر الطريق التجريبي ولا حل لها الا بواسطة الشعائر والاعتقاد والايمان بما هو روحاني او فوق عضوي"¹ اما راد كليف براون فيرى ان الدين ما هو الا تعبير عن الحالات الذهنية العاطفية " فكل طقس هو تعبير عن الحالات العاطفية الذهنية لعقل شخصين أو أكثر، وهكذا فإن طقوس البكاء تعبر عن مشاعر التضامن الاجتماعي"² اذن فدور الدين مرتبط بقوانين تنظم الحياة العاطفية من منظور راد كليف براون فيمكن تفسير كل طقس بالرجوع إلى القوانين الأساسية التي تنظم الحياة النفسية للمجتمع

أ. دور الدين في الحياة النفسية حسب دراسات المخ والاعصاب المعاصرة

لفهم دور الدين في الحياة النفسية قام مجموعة من العلماء الامريكيين بدراسة حول تأثيرات التدين على حدوث حالات الاكتئاب لدى الاشخاص المسنين وشملت هذه الدراسة عينة من كبار السن في خليج سان فرانسيسكو وذلك عام 2005³ وكان الهدف من هذه الدراسة هو " السعي إلى فهم ما إذا كان التدين يحمي من الاكتئاب في المستقبل واذا ما كان يلعب دورا في الشفاء من الاكتئاب بين كبار السن، ولقد قدمت النتائج المتحصل عليها أدلة تدعم أن التدين يحمي من الاكتئاب كما وجد أنه يساعد في التعافي من الاصابة بالاكتئاب خاصة لدى اولئك الذين ينتظمون في حضورهم لأداء طقوس الصلاة"⁴ فنتائج هذه الدراسة اكدت أن التدين يشكل حاجزا ضد الاكتئاب بين من يعانون مستويات صحية متدنية في مقابل شيوع الاكتئاب لدى أقرانهم غير المتدينين رغم تشاركهم

¹ فلاح جابر جاسم الغرابي، الدين وآليات الضبط والبناء الاجتماعي، مجلة اوروك، العدد الثاني المجلد العاشر

2017، ص 425.

² Radcliffe-Brown, Structure And Function In Primitive Society, Op.Cit, P 119.

³ Corina R Ronneberg, Edward Alan Miller, Elizabeth Dugan , Frank Porell , The Protective Effects Of Religiosity On Depression, The Gerontologist, 2016, Vol. 56, No. 3, P 427.

⁴ Corina R Ronneberg, Edward Alan Miller, Op.Cit , P 428.

في نفس مستويات الصحة المتدنية مما يوضح لنا دور الدين والقيام بالطقوس في الحفاظ على سلامة وتوازن الحياة النفسية

كما دعمت دراسة اخرى نتائج الدراسة السابقة اذ أكدت هذه الدراسة التي أجريت حول " أسباب الاكتئاب في أواخر العمر " والتي نشرت نتائجها في حوليات الطب النفسي سنة 2010¹ أكدت على تحسن استجابة المرضى المعالجين من المشكلات النفسية مثل الاكتئاب أو القلق إذا كان لهم دين يعتنقونه ويقومون بالطقوس التي يملئها هذا الدين.

كما ذكر الدكتور هارولد كونيغ رئيس قسم الروحانيات والصحة في المركز الطبي لجامعة ديوك في مراجعة له لثلاثة وتسعون دراسة عن الدين والصحة نشرت في 2012²، على وجود علاقة عكسية بين ظهور أعراض الاكتئاب وبين التدين حيث يقول كونيغ " يبدو أن الملتزمين دينيا والمنخرطين أكثر في الممارسات الدينية قادرون على تحقيق استجابة أفضل للضغوط النفسية، ومن أسباب ذلك أن الدين يمنح الناس إحساسا بوجود معنا وهدفا لحياتهم وذلك ما يساعدهم على التعامل مع المواقف السلبية التي تعترض طريقهم، إضافة إلى الدعم الذي يقدمه المجتمع الديني للفرد إذا دخل في مثل هذه الصراعات³

قام الدكتور أندرو نيوبيرج وهو اختصاصي في العلوم العصبية في جامعة توماس جيفرسون بدراسة " العلاقة بين الدماغ والممارسة الدينية " وقد ضمنها في كتابه الذي يحمل عنوان " مبادئ علم اللاهوت العصبي⁴ والذي يحاول فيه وضع أساس لنوع جديد من الحوار العلمي واللاهوتي حيث يرى نيوبيرج أن علم الأعصاب يمكنه تطبيق العلم والطريقة العلمية على اللاهوتية من خلال

¹ Blazer, D. G, **The Origins Of Late-Life Depression**, Psychiatric Annals, 2010, P 89.

² Harold G Koenig , **Spirituality And Health Research: Methods, Measurements, Statistics, And Resources**, Templeton Press, 2012, P 179.

³ Ibid, P 180.

⁴ Andrew B. Newberg , **Principles Of Neurotheology**, Routledge, London, 2016, P 09.

دراسات الدماغ حيث يصف نيوبيرغ تجاربه " نحن نقيس ما يحدث في أدمغة الناس عندما يكونون في ممارسة روحية عميقة مثل التأمل أو الصلاة " ¹ ثم قارن هو وفريقه ذلك بحالة نشاطات نفس الأدمغة وهي في حالة راحة " لقد منحنا هذا حقاً نافذة رائعة على ما يعنيه أن يكون الناس متدينين أو روحيين أو يقومون بمثل هذه الأنواع من الممارسات الطقوسية " ² انطلقت ابحاث نيوبيرج من فرضية إمكانية تأثير الدين في نشاطات الدماغ وتحسين عمل خلاياه من خلال ممارسة الطقوس يقول الدكتور أندرو نيوبيرج " قد تقدم الدراسات التي أجريت على أدمغة المتدينين تفسيراً للصلة بين الدين والآثار الإيجابية على الصحة النفسية حيث تشير الدراسات إلى إسهام التأمل والصلاة التأملية (مثل الصلاة التي تتكرر فيها عبارة محددة) في تنشيط مناطق الدماغ المسؤولة عن تنظيم الاستجابات العاطفية الواقعة ضمن الفص الجبهي للدماغ " ³

وانتهت الدراسة التي أجراها نيوبيرج وزملاؤه حول العلاقة بين الدماغ والممارسة الدينية لدى راهبات التبت سنة 2010 ⁴ والتي شملت مقارنة بين التصوير الطبي لأدمغة الراهبات المنخرطات في الصلاة منذ مدة زمنية طويلة وبين الراهبات الجديديات اي اللاتي قمن بممارسة القليل من طقوس الصلاة مقارنة بسابقاتهن وانتهت الدراسة الى تسجيل نشاطا أكبر في مناطق القشرة الدماغية الواقعة أمام الفص الجبهي لدى الراهبات المنخرطات في نشاطات تأملية منذ زمن، مقارنة بمن لم يمارسن مثل هذه النشاطات على المدى الطويل حيث علق الدكتور نيوبيرج على هذه النتائج قائلاً " إن تعزيز هذه المناطق الدماغية قد يساعد الأفراد على أن يكونوا أكثر هدوءاً وأقل فوضوية مع قدرة أكبر على التعامل مع الضغوط " ⁵ .

¹ Ibid, P 11.

² Ibid, P 11.

³ Ibid,P 16.

⁴ Ibid Ipid,P 18.

⁵ Ibid, p 20.

ومنه فان التجربة تؤكد على صدق تأثير المعتقدات والتعاليم التي ينادي بها دين ما مثل التسامح والحب والرحمة في طريقة عمل الدماغ والخلايا العصبية فنيوبيرج يؤكد على أن زيادة فعالية الاتصالات العصبية في أدمغتنا مترادف تماما مع زيادة استخدامنا لها خلال الطقوس الدينية وعليه فإن الدين الذي يدعو إلى التعاطف سوف يعزز الدوائر العصبية المسؤولة عن التفكير في التعاطف ويحسن من وظائفها لذلك نسترجع هذه المشاعر والعواطف الإيجابية التي تقلل بدورها من القلق فتتخفف مستويات هرمونات التوتر لدينا، كما انه قد تدعو بعض الأديان أيضا إلى الابتعاد عن السلوكيات المرتبطة بالمخاطر الصحية مثل التدخين أو شرب الكحول أو الإفراط في تناول الطعام وبذلك فان الابتعاد عن هذه السلوكيات غير الصحية قد يحسن أيضا من وظائف الدماغ.

5. الطقوس الجنائزية في الديانات السماوية

1.5. الطقوس الجنائزية في الديانة اليهودية

تتمثل مصادر التشريع الديني اليهودي في الكتاب المقدس والتلمود وقد " عرف الكتاب المقدس أو العهد القديم بالعبرية بال "تاناخ"، والذي يشمل الأسفار الخمسة للتوراة والأنبياء " نفيئيم"، والكتب المدونة " ختوفيم" ¹ اما التلمود " فهو الشريعة الشفوية التي تحوي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة " التوراة " وينقسم الى جزئين المشناه والجمارا ² وقد استعنا في بحثنا حول الطقوس الجنائزية على آيات من الأسفار التوراتية ونصوص من التلمود.

ذكر الموت في العهد القديم على أنه النهاية الطبيعية للحياة، فالموت هو القدر المشترك للناس جميعا كما جاء في التوراة " لا بد أن نموت ونكون كالماء المهرق على الأرض" ³ وجاء في سفر

¹ حسن ظاظا، الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971، ص 8.

² المرجع نفسه، ص 12.

³ التوراة، سفر صموئيل، الاصحاح 14، التكملة 14.

أيوب " يسلم الروح كل البشر جميعا ويعود الإنسان إلى التراب"¹ أما في قاموس الكتاب المقدس فنجد تأكيد العقيدة اليهودية على حتمية الموت " وليس المراد بذلك أنه يجري حكم الموت عليه في ذلك اليوم بعينه، بل المراد أنه يكون على يقين من نزوله به "²

فالموت حتمية لا تفرق بين الغني والفقير كما جاء في سفر أيوب "هذا يموت في عين كماله فكله مطمئن وساكن، أحواضه مملوءة لبناً، ومخ عظامه طري، وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً، كلاهما يضطجعان معا في التراب، والدود يغشاهما"³ أما ما يتخلل حالة الموت من طقوس جنازية فإن التقاليد والطقوس اليهودية تقدم إطاراً يساعد المفجوعين على تخطي فترات الحزن والفقد عبر الحداد الذي يمثل عملية تستغرق وقتاً يشمل عدة طقوس تشكل دورة الحداد اليهودي التي تتكون من الطقوس الآتي ذكرها على التوالي:

- أنينوت وهي الفترة ما بين لحظة الموت والجنازة؛
- شيفا وهي أيام الحداد السبعة التي تبدأ يوم الجنازة؛
- شيلوشيم وهي فترة الثلاثين يوماً التي تلي الجنازة، وتختتم دورة الحداد بشناعة وهي الأشهر الاحدى عشر التالية لشيلوشيم.

¹ التوراة، سفر أيوب، الصحاح 34، التكملة 15.

² صموئيل حبيب، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية، 1988، ص 929.

³ التوراة، سفر أيوب، الاصحاح 21، التكملة 23.

أولاً: طقوس الاحتضار والفيديوي

في الديانة اليهودية عند الاحتضار يوجه حكماء التلمود المجتمع اليهودي الى ممارسات طقسية تخص هذه اللحظة بقولهم " من مرض ويميل الى الموت فعليه قول الاعتراف " ¹ " على افراد المجتمع اليهودي اثناء احتضار احدهم ان يقوموا بتشجيعه على تلاوة الاعتراف بالخطايا " ² هذا الاخير الذي يتمثل في صلاة اعترافية يطلق عليها فيديوي viddui او الاعتراف الأخير اثناءها " تنهض الجماعة بأكملها وتضرب صدرها رمزياً بينما يقوم المحتضر بتلاوة الاعتراف بالخطايا " ³ هذا الاعتراف هو تقديم لعيوب الشخص المحتضر امام خالقه سعياً منه للمصالحة النهائية وبذلك يتم تأمين مكان المحتضر في العالم الآخر وهي تتلى بقوله " أعترف أمامك يا رب الهي واله ابائي ان شفائي وموتي في يدك نرجو ان تكون ارادتك ان تشفيني بالكامل، واذا مت فليكن موتي كفارة عن كل الخطايا التي ارتكبتها وامنحني نصيبي في جنة عدن واسمح لي ان استحق العالم الاتي الذي تخصصه للابرار " ⁴

ثانياً: طقوس الأنينوت ما بين لحظة الموت والجنائز

تبدأ عملية الحداد بالمرحلة الأولى المعروفة باسم أنينوت، حيث يظهر فيها أقارب الميت من الدرجة الاولى (الوالدين والزوجين والابناء وأشقاء المتوفي) مشاعر الحزن العميقة وذلك ما شبهته أنيتا ديامانت بأرض الحزن في وصفها لطقس الأنينوت حيث تصف هذا الطقس بقولها " يدخل المعزين أرض الحزن التي يطلق عليها في التقليد اليهودي أنينوت، وأولئك الذين يسكنون هذه

¹ فريق اللاهوت الدفاعي، التلمود المشنا، السبت 32، ت مصطفى عبد المعبود، مكتبة النافذة، الجيزة ، ط1،

2007، ص 22.

² Gerry Cox, Neil Thompson, Managing Death: International Perspectives, Springer, 2022, P 57.

³ Ibid, P 58.

⁴ Ibid, P 58.

الحالة المظلمة من الحداد يطلق عليهم اسم أنونيم، ومسؤوليتهم الوحيدة هي إظهار شرف الميت بالحن عليه ومهمة باقي المجتمع اليهودي هي بناء سياج وقائي قوي حول الانونيم، هذا السياج يتمثل في إعفاء اقارب الميت من جميع الأنشطة العادية لأنه غالبا ما تكون هذه الفترة من أشد فترات الصدمة والحن خلال حدث الموت " ¹ فأرض الحزن في الموروث اليهودي هي تعبير رمزي يحمل دلالة الفضاء المقدس لترجمة معاني الحزن لدى أقارب الميت من الدرجة القرابية الأولى، وذلك من خلال انعزالهم التام عن الحياة الاجتماعية بعدم مغادرتهم للمنزل وتوقفهم عن الاعمال اليومية المعتادة بغرض إظهار الاحترام للميت وتعبيرا عن ألم خسارته كفرد داخل الجماعة وعلى باقي الأفراد إظهار التكافل والتضامن مع جماعة الحزن او المفجوعين بتوفير كل احتياجاتهم العضوية والنفسية من خلال تقديم الطعام والمواساة.

ويبدأ هذا الطقس من لحظة إعلان الوفاة الى غاية انتهاء الجنازة ويصاحبه في هذه الفترة القيام بطقس آخر يحمل أيضا دلالات الحزن والصدمة يطلق عليه " الكريا " أو " تمزيق الثوب " فكما " يمزق الموت نسيج الحياة فان طقس الكريا من خلال تمزيق الثوب يرمز الى ان هذا الموت قد مزق حياة هذا الفرد وحطم قلبه وهو من أقدم طقوس الموت لدى اليهود والتي تعود الى ايام الكتاب المقدس" ² يتم تنفيذ الكريا مباشرة بعد وفاة أحد أفراد الأسرة فبعد سماع خبر وفاة أحد الأقارب، " توجه المعتقدات والتقاليد اليهودية الأفراد إلى تمزيق ملابسهم كتعبير أساسي عن الحزن " ³ و " يتم التمزيق أثناء سماع خبر الوفاة ويجب أن يمتد على طول نطاق اليد " ⁴ وعند تمزيق الثوب يتلو

¹ Rabbi Brian Walt , A Guide, **Jewish Practices And Rituals For Death And Mourning** , Tikkun V'or In 2012 ,P 9.

² Ibid, P 9.

³ Klein, Isaac, **A Guide To Jewish Religious Practice**, New York : Jewish Theological Seminary Of America ; Distributed By Ktav Pub. House 1979, P 278.

⁴ Ahavat Shalom, **Yehudai Gaon Sefer Halachot Pesukot**, Jérusalem, 1999 P 425 .

المعزين دعاء يصف الله بأنه " القاضي الحق و هذا الدعاء هو الخطوة الاولى في تقبل الفقد اما تمزيق الثوب فهو دلالة على الحزن الشديد، فيمزق الثوب جهة القلب اذا كان الميت احد الابوين ويمزق فوق الصدر على الجانب الايمن اذا كان قريبا اخر ولقد " استبدلت التقاليد اليهودية طقس تمزيق الثوب بارتداء شريط قماش أسود ممزق _ انظر ملحق رقم (01)_ وذلك مدة ثلاثين يوما كاملة وهي المدة التي تعرف بطقس شيلوشيم"¹

ثالثا: طقوس مراقبة الميت او الشاميرا

تؤكد التقاليد والديانة اليهودية على ضرورة اظهار الاحترام للمتوفي وذلك ابتداء من لحظة الموت حيث لا ينبغي ترك الجسد وحده بين لحظات الموت والدفن و " هذا تعبير عن فكرة مرافقة الميت حتى الدفن ويلتزم الشيفرا قاديشا او الجماعة المقدسة بهذه المهمة مع الشومير او حارس الميت "² و عادة ما " يجلس الشومير مع الجسد ويقرأ من سفر أيوب او المزامير او من الكتابات المعاصرة عن الروحانيات او من مؤلفات تحمل موضوع الموت "³ والشومير معناه المرافق وهو شخص يتم تكليفه بالجلوس الى جانب الجثة الى غاية دفنها _ انظر ملحق رقم (02).

" تاريخيا، كانت الشميرة شكلا من أشكال واجب الحراسة المقدس، لمنع تدنيس الجسد قبل الدفن و يؤدي الحراس الشخصيون أو أوصياء الموتى، مهمة غير مرغوب فيها بالمعنى الحرفي للكلمة " "⁴ وهي حراسة الجثة حتى موعد الدفن ولقد كان الغرض قديما من الشميرا او مراقبة الميت هو الحماية من القوارض والهوام لكي لا تدنس الجثة وهي فكرة مشتقة من سفر التكوين من التكملة "

¹ Rabbi Brian Walt , Ibid, P 10.

² Ibid, P11 .

³ Ibid , P 11.

⁴ Raphael, Dr. Simcha Paull , **Jewish Views Of The Afterlife**, Jason Aaronson Inc, 1994, P 415.

وَلَتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ، قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ " ¹.

رابعاً: تطهير الجثمان وتحضيره للدفن

تبدأ الاحكام الخاصة بالنجاسات والطهارات في التوراة بداية من " الاصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين وحتى الاصحاح الخامس عشر هذا بالإضافة الى فقرات متفرقة في سائر اسفار العهد القديم" ² وجثة الميت في الكتاب المقدس اليهودي نجسة وتتجس كل ما حولها " هذه هي الشريعة إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ فِي خَيْمَةٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْخَيْمَةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْخَيْمَةِ يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ" ³ ولتطهير الميت من نجاسة الموت " يقوم اعضاء الشيفرا قديشا بطقس الطهارة بالمياه الحية من المكفاه وذلك تقديسا للحظات الانتقال المهمة كما انها طقوس لتكريم الجسد كوعاء خارق للروح في الحياة، إنه عمل أبدي لا يمكن سداه يتم فيه الحرص على كرامة جثة المتوفي" ⁴ والمكفاه هي بركة او مكان يتم فيه تجميع المياه الطبيعية التي تستخدم في الطهارة الطقوسية اليهودية وعادة ما يتكون المكفاه عن طريق السماح لماء المطر بالتجمع في وعاء مصمم بطريقة خاصة ويستخدم اليهود التقليديون المكفاه أي المياه القادمة من مصدر طبيعي خصوصا المطر في اغراض عديدة منها تطهير الجسد اليهودي قبل دفنه " ⁵ _ انظر الملحق رقم (03) -

¹ التوراة، سفر التكوين، الاصحاح 9، التكملة 02.

² فريق اللاهوت الدفاعي، طهارات الطهارات، ترجمة لمتن التلمود المشنا القسم السادس، ت مصطفى عبد

المعبود، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2007، ص 07.

³ التوراة، سفر العدد، الاصحاح 19، التكملة 14.

⁴ Ibid , p 12.

⁵ جون هيلينس، معجم الأديان، الدليل الكامل للأديان العالمية، ت: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة ،

القاهرة 2010، ص 447.

خامسا: تحضير الجثة بالزيوت والعطور

تتضمن عملية تحضير الجسد للدفن المزيد من الطقوس فبعد غسل الجسد بمياه المكفاه يتم تجهيز الجثمان بدهنه بمجموعة من الزيوت والعطور ثم يلف الجسد بملابس من الكتان الأبيض تحتوي أيضا على عطور وذلك ما ذكر في سفر يوحنا في الاصحاح التاسع عشر في التكملة 19 والتاسعة والثلاثون والاربعون على التوالي " و جاء أيضا نيقوديموس الذي اتى اولا إلى يسوع ليلا و هو حامل مزيج مر و عود نحو مئة منا " ¹ " فاخذا جسد يسوع و لفاه باكفان مع الاطياب كما لليهود عادة ان يكفنوا " ².

غالبا ما تضمنت الزيوت والعطور المر وهو صمغ من الأشجار العربية معروف برائحته العطرة والصبار وهو خشب عطري يمزج غالبا مع المر ، وبلسم أو بلسم جلعاد وهي نبتة تنمو في سهول أريحا والواديان الحارة في جنوب فلسطين، وخلط هذه الزيوت والعطور يكون تحت اشراف جماعة من اللاويين كما هو مذكور في الكتاب المقدس " وَبَعْضُهُمْ أَوْثَمُوا عَلَى الْآنِيَةِ وَعَلَى كُلِّ أَمْتَةٍ الْقُدْسِ وَعَلَى الدَّقِيقِ وَالْخَمْرِ وَاللَّبَانِ وَالْأَطْيَابِ " ³ " وَالْبَعْضُ مِنْ بَنِي الْكَهَنَةِ كَانُوا يُرْكَبُونَ دَهُونَ الْأَطْيَابِ " ⁴،

سادسا: تحضير الجثة للدفن بتلبيس الجسد

يكفن اليهودي في لباس صلاته الذي يطلق عليه الطاليت_أنظر الملحق رقم (04)_ وهو قطعة قماش تتميز بحبال التزيين الطويلة التي عادة ما تكون ملفوفة بها عقد منظمة وفي كل ركن من

¹ التوراة، سفر يوحنا، الاصحاح 19، التكملة 39.

² التوراة، سفر يوحنا، الاصحاح 19، التكملة 40.

³ التوراة، سفر الاخبار، الاصحاح 9، التكملة 29.

⁴ التوراة، سفر الاخبار ، الاصحاح 9، التكملة 30.

اركان الطاليت الاربعة يتدلى احد حبال التزنيذيت وهو تطبيق لوصايا موسى في سفر العدد " كلم بني إسرائيل و قل لهم ان يصنعوا لهم اهدابا في اذيال ثيابهم في احيالهم و يجعلوا على هذب الذيل عصابة من اسمانجوني " ¹ " فتكون لكم هدبا فترونها و تذكرون كل وصايا الرب و تعملونها و لا تطوفون وراء قلوبكم و اعينكم التي انتم فاسقون وراءها " ² حيث ان هذه الحبال تذكر اليهودي بوصايا الله فيتسنى له الوفاء بها ويدفن أي يهودي متدين بشال صلواته، إلا انه يتم إزالة واحدة من حبال التزنيذيت مسبقا باعتباره إشارة إلى أن الميت لا يحتاج لتطبيق الشريعة الدنيوية بعد الان.

" لقرون كان اليهود يدفنون تقليديا في أكفان من الكتان الأبيض و هذا التقليد تماشيا مع الاعتقاد اليهودي بأن الجنازة يجب أن تكون بسيطة، دون إظهار الثراء " ³ فالبساطة تعزز المفهوم اليهودي بأن اليهود جميعا متساوون أمام الله وتقليديا " يدفن المتوفي وهو يرتدي ملابس الشارع هو ما يمارسه الان العديد من اليهود " ⁴ اما في تعاليم الدين اليهودي " ان يدفن اليهودي في طاليتيه مع إزالة طرف واحد من حبال التزنيذيت الاربعة كما يتم دفن اليهود بدون أي معادن او مجوهرات " ⁵

¹ التوراة، سفر العدد الاصحاح 15، التكملة 38.

² التوراة، سفر العدد، الاصحاح 15، التكملة 39.

³ Rabbi Brian Walt , **A Guide, Jewish Practices And Rituals For Death And Mourning** , Tikkun v'Or In 2012, P 13.

⁴ Ibid, P 14.

⁵ Ibid, P 14.

سابعا: الدفن وأهمية الارض المقدسة

حسب المعتقدات اليهودية فان مصير الموتى لا يتوقف على ما اقترفوه من آثام وما فعلوه من حسنات وانما على الطريقة المادية للدفن، اولا يجب مراعاة مكان الدفن ويكون في الارض المقدسة فلسطين اذ يعتقد اليهود " ان ارض اسرائيل فلسطين طاهرة وقبورها تعد طاهرة "¹

لان التواجد في الارض المقدسة يضمن الخلود لليهودي بعد الموت لذلك يشتري اثرياء اليهود قطع ارض في فلسطين ليدفنوا فيها موتاهم كما ان البعض منهم يأخذ تراب من الارض المقدسة لرشه على رأس الميت قبل دفنه ولا يجوز اخراج جثة اليهودي المدفونة في الارض الا لاعادة دفنها في الارض المقدسة ويقال في التلمود " ان جثة الميت خارج فلسطين ترحف تحت الارض بعد دفنها حتى تصل الى الارض المقدسة وتتوحد معها "

وعند الوصول بالجثمان إلى القبر يتم وضع النعش على الأرض بالقرب من فتحة القبر، ويوضع على بطن الميت سبع قطع من الفضة أو النحاس أو من أي معدن آخر ويطوف رجال الحفرا قاديشيا العشرة وهي طائفة مكلفة بحمل النعش في شكل حلقة سبع مرات حول النعش ويرددون الصلاة المقدسة

وبعد الانتهاء من الصلاة يبدأ الدفن " حيث يكلف الأكبر سنا من طائفة الحفرا قاديشيا أحد الأشخاص بإدخال الميت إلى القبر، كما يتم إنزال الميت عن طريق قدميه وتكون ناحية بيت المقدس ويوضع في القبر على ظهره ووجهه إلى أعلى وقدميه ناحية بيت المقدس؛ وذلك دليل على أن الإنسان عندما يبعث بعد ذلك ينهض من مرقده ويتجه ناحية بيت المقدس، ويوضع حجر تحت رأس الميت، ومن يدفن خارج فلسطين وقد توافر له تراب منها ينثر قليل من هذا التراب تحته

¹ فريق اللاهوت الدفاعي، طهارات الطهاروت، ترجمة لمتن التلمود المشنا القسم السادس، مرجع سبق ذكره،

وأيضاً عليه؛ معتقدين في ذلك أن وجود هذا التراب أو الثرى برفقة صاحبه يكفر عنه ذنوبه، وعلى الميت وعلى كل أعضائه نوعاً من البركة والقداسة كما توصي الشريعة اليهودية، أنه عند عملية دفن الميت لابد من وجوب اتصال الجسد بالتراب، كما ورد في التوراة "لَأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ"، وبأن يكون دفن الميت اليهودي بواسطة اليهود، ولا يشارك في الدفن غير اليهود كما شددت الشريعة اليهودية على اليهود عدم السماح لغير اليهود في النظر إلى وجه الميت، ولا إلى الميت وهو في القبر، حتى وإن كان وجهه مغطى.

وعند الانتهاء من الدفن يبتعد المشيعون عن القبر ويكونون صفوفاً متقابلة، يمر أقارب الميت بينهم خالعين نعالهم ويقوم المشيعون بتقديم التعازي لهم، وعند العودة من المقابر يقوم المشيعون بنبش التراب واقتلاع العشب من الأرض ونثره على ظهورهم، وعندما ينبشون التراب يرددون " يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ " واقتلاع العشب هو رمز لبعث وإحياء الموتى، كما ورد في العهد القديم " وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ الْأَرْضِ "

ثامناً: بداية طقوس الحداد شيفا

تبدأ مدة الحداد منذ اليوم الأول للجنائز وتمتد لمدة سبعة أيام كفترة رسمية للحداد من قبل عائلة المتوفى المباشرين، هذه الفترة تسمى شيفا وهي مشتقة من الكلمة العبرية التي تعني سبعة وهي المرحلة الأولى من الحداد " من خلالها يبدأ أولئك الذين في حالة حداد عملية تقودهم في النهاية إلى العودة إلى الحياة العادية والاندماج مرة أخرى في عالم الأحياء " ¹ خلال فترة الشيفا يتم التعامل مع المفجوعين بعناية فائقة الاحترام حيث تتم تلبية احتياجاتهم من قبل المجتمع، سواء احتياجاتهم المادية، مثل وجبات الطعام ومجالسة الأطفال وما إلى ذلك واحتياجاتهم الروحية والعاطفية كما تضاء الشموع طيلة الايام السبعة.

¹ Rabbi Brian Walt , Op.Cit, P 15.

تاسعا: طقوس حداد شيلوشيم و شناعة

بعد شيفا يقوم اليهود بفترة حداد أخرى تعرف باسم شيلوشيم مما يعني ثلاثين لمدة ثلاثين يوما تبدأ من يوم الجنازة حيث يعود المعزين إلى العمل لكن يقومون بطقس شيلوشيم عن طريق تجنب الحفلات الموسيقية وغيرها من أشكال الترفيه العام وعند انتهاء شيلوشيم تكون قد انتهت فترة الحداد الرسمية، باستثناء من يكون على حداد بسبب وفاة احد الوالدين فان فترة الحداد الحداد الرسمي تستمر أحد عشر شهرا يطلق عليها شناعة.

2.5. الطقوس الجنائزية في الديانة المسيحية

الموت هو جوهر الدين المسيحي حيث يوجد الصليب في كل المقابر وأماكن العبادة حاملا دلالة موت المسيح للتكفير عن خطايا آدم وحواء بعد خطئهما في استغلال الحرية التي منحت لهما في جنة عدن وانتقلت الخطيئة أيضا إلى نسلهما " فخطايا الآباء تلحق بالأبناء وبما أن " اجرة الخطية هي الموت " ¹ أصبح الموت هو المصير الشامل لكل البشر " لذلك كما دخلت الخطيئة الى العالم بإنسان واحد و بالخطية دخل الموت و هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس " ² وكان الخلاص الرئيسي هو المعمودية لموت يسوع المسيح " أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما اقيم المسيح من الاموات بمجد الاب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة " ³

¹ انجيل بولس، سفر رومية الاصحاح 6 التكملة 23.

² انجيل بولس سفر رومية الاصحاح 5 التكملة 12

³ انجيل بولس سفر رومية الاصحاح 6 التكملتين 3 ، 4.

والسيح بموته يخلص البشرية من الخطيئة وهذا ما جاء في سفر يوحنا " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم "¹

أولاً: طقس الاعتراف عند الاحتضار

عندما يحتضر المسيحي " يأتي الكاهن لسماع الاعتراف النهائي كما يقوم هنا بطقس المسحة المقدسة والذي يستخدم خلاله زيت الزيتون الذي قام الكاهن بمباركته مسبقاً "² فيأخذ مقداراً من الزيت على راحة يده ويمسح جبين المحتضر مع تلاوة الصلاة والادعية كما جاء في العهد الجديد " هل بينكم مريض؟ فليدع شيوخ الكنيسة، فيصلوا عليه ويدهنوه بالزيت باسم الرب "³ ثم يقرأ الكاهن " رتبة فراق الروح من الجسد والتي تتكون من صلوات وأدعية لتشجيع المحتضر على التوبة والمساعدة في تسهيل انتقال الروح من الحياة الأرضية إلى الآخرة " ⁴ بعد ذلك يأتي دور طقس الغفران والذي يتم لحظة اعلان الوفاة

ثانياً: طقس الغفران لحظة الموت

بعد اعلان الوفاة وإذا لم يأتي الكاهن بعد فانه من واجب اهل الميت ان يقوموا بغسل جسده ودهنه بالزيت وتعطيره بالروائح الطيبة⁵ كما جاء في العهد الجديد " و حدث في تلك الأيام انها مرضت وماتت فغسلوها و وضعوها في عليّة "¹

¹ انجيل بولس سفر يوحنا الاصحاح 3 التكملة 16 ، 17.

² Hapgood, Isabel, **Service Book Of The Holy Orthodox-Catholic Apostolic Church**, Antiochian Orthodox Christian Archdiocese, 2nd Edition, N.J,1922, P 360

³ انجيل يوحنا، سفر يعقوب، الاصحاح 5 التكملة 14.

⁴ Ibid, p 361

⁵ Sokolof Archpriest , **A Manual Of The Orthodox Church's Divine Services** ,Prints Hop Of St Job Of Pochaev , NY, 2001, P 172

اما بالنسبة للكاهن فحالما يتم ابلاغه بوجود وفاة فانه يحضر نفسه " بارتدائه ملابسه ذات لون أسود ويمكنه كذلك أن يرتدي قفازات بنفس اللون، ثم يتوجه إلى بيت المتوفى ومعه خادمان على الأقل، يحمل أحدهما الصليب ويحل الآخر الماء المبارك والمبخرة، ثم يدخل الكاهن إلى البيت، فيسلم على الحاضرين سلاماً أبوياً" ² يعرب به عن تعزية الحاضرين ثم يتلو آية افتتاحية " تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، أبو المرحام، وإله كل تعزية، فهو الذي يعزينا في جميع شوائبنا " ³ ثم يقرأ من المزمور الاصحاح 129 كاملاً، وأثناء ذلك ينضح الكاهن الميت بالماء المبارك ويتلو الصلاة ويردد الحاضرين امين.

ثم يبدأ بأداء طقس الغفران ويكون بوضعه لصليب الغفران _ انظر الملحق رقم (05) _ على صدر الميت وهو " صليب من الرصاص يوضع على صدر المتوفى، محفور عليه بضع كلمات لهذا الغرض وهذا الطقس مفروض في الدساتير الرهبانية لرئيس الاساقفة لانفرانك " ⁴ فطقس مغفرة الموتى هو " عبارة عن سلسلة من الصلوات من أجل ان ينال الميت العفو من خالقه و هي تتلى على جثة المسيحي المتوفى قبل الدفن وبذلك فإن غفران الموتى لا يغفر الخطايا ولا يمنح سر التوبة، بل هي سلسلة من الصلوات إلى الله حتى لا تعاني روح الميت من العقوبة في المطهر بسبب الخطايا التي اقترفها خلال حياته " ⁵.

وأثناء هذا الطقس يتلو الكاهن صلاة الغفران ويبخر التابوت ويرشه بالماء المقدس ثم يرتل صلاة " في الفردوس " وعند الانتهاء يحمل النعش الى الكنيسة لأداء قداس الموتى، وغالباً ما يتم تعليق

¹ انجيل لوقا، سفر اعمال الرسل الاصحاح 9 التكملة 37.

² Grand Rapid And Others , **The Encyclopedia Of Christianity**, San Francisco Library, Volume 2 , 1999, P 50.

³ انجيل بولس، كورنثوس، الاصحاح 2، التكملتين 3، 4.

⁴ Ibid,p 51.

⁵ Ibid, p 48.

قطعة قماش تحمل رسم الصليب على الباب الأمامي لمنزل المتوفي كعلامة على أن المنزل في حالة حداد، ولدعوة كل من يمر بالصلاة من أجل المتوفى، _انظر الملحق رقم (06) _

ثالثاً: تجهيز الجسد حسب الرتب الاجتماعية

- **الراهب:** اذا كان الميت راهباً يتم تجهيز جسده على يد أحد إخوته في الدير " فيلبس ثوبه الرهباني ويوضع في يده حبل الصلاة ثم يتم لفه في عباءته والتي سيتم قطع ثلاث اشربة منها لتلف هذه الاشربة حول جسمه، بحيث تعبر الصدر والخصر والساقين، وبذلك فإنها لا ترمز إلى الصليب فحسب، بل أيضاً إلى الأقمطة التي لف بها يسوع وهو طفل، لأن موت الجسد يعتبر بمثابة ولادة للروح في حياة جديدة"¹

- **الكاهن:** يتم تحضير جسد الكاهن أو الأسقف المتوفى من قبل رجال الدين " ويدهن بالزيت ثم يلبس ثيابه الإفخارستية² الكاملة ووجهه مغطى بالآير وهو الحجاب الليتورجي³ الذي تغطي به الأسرار المقدسة المتمثلة في الكأس والصحن المستخدمان في القداس الإلهي، كما يوضع كتاب الإنجيل على صدره"⁴ _ انظر الملحق رقم (07) _

¹ A Nun Of The Orthodox Church, **"Let's Talk About Death"**, The Shepherd, Volume 3, N 2 , November, 1995, P24.

² افخارستيا معناها شكرا وهذا المصطلح استخدم في العهد الجديد للتعبير عن الشكر لله وتمجيده حيث وصف بها الرسل عمل يسوع على الخبز والخمر في العشاء الاخير فاطلقتها الكنيسة الاولى على الاحتفال بذكرى العشاء الرباني الذي كان يبدا بشكر الله على افضاله (الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية، بيروت لبنان، ط 1، 2007، ص 14)

³ ليتورجيا هي مصطلح اطلق على خدمه او خدمه الله عن طريق الطقوس الخوري (ناصر جميل الرموز

المسيحية، المرجع نفسه، ص 15)

⁴ Herbermann Charles , **Christian Burial, Catholic Encyclopedia**, Robert Appleton Company, New York, 2008, P 81.

- **الأسقف:** عندما يموت الأسقف " يلبسه رجال الدين ثيابه الأسقفية الكاملة بما في ذلك التاج، وعندما يلبس عليه كل ثوب يؤرجح الشمامسة المبخرة _ انظر الملحق رقم (08) _ ويقرؤون صلوات التتويج وذلك تماما كما حدث له عندما توج لخدمة القديس الإلهي اول مرة، وبعد ذلك يتم وضع الأسقف في وضع مستقيم على كرسي ويتم وضع الديكيريون والتريكيريون _ انظر الملحق رقم (09) _ وهوما الشمعدانان اللذان يستخدمهما الأسقف لمباركة الناس فيوضعان في يديه بينما يهتف رجال الدين للمرة النهائية ترنيمتين لاتينيتين هما في العادة عبارة عن ترانيم التزكية التي ترددها الجوقة تكريما للأسقف، ثم اخيرا يوضع في تابوته"¹

- **عامّة الناس:** اذا كان المتوفي شخصا عاميا بلغ سن الرشد فان اهله وبعد تغسيله ودهنه بالزيت يقومون بتلبيسه ملابس جديدة كما يجوز اذا كان المتوفي قد شغل منصبا رفيعا او خدم في الجيش فيمكنه أن يرتدي زيه العسكري وقبل حمله للنعش يقوم الكاهن برش التابوت بالماء المقدس من الجهات الأربع، ويوضع المتوفى في التابوت، ثم يبدأ طقس النظرة الاخيرة او طقس الايقاظ على الفور و " عادة إلقاء النظرة الاخيرة على الموتى هي ممارسة قديمة ربما تكون مستمدة من العادة اليهودية المماثلة المتمثلة في الوقفة التقيّة على جسد المتوفي وأصولها ليست معروفة "² وبالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس يتم طقس إلقاء النظرة الاخيرة بقراءة مستمرة لسفر المزامير بصوت عال، ولا ينقطع إلا من خلال خدمة بانخيدياس وهي خدمات تذكارية قصيرة يتم خلالها حمل الشموع المضاءة من قبل الحاضرين ويقوم رجل الدين الحاضر معهم بتحريك المبخرة طوال الخدمة التي هي عبارة عن ترديد صلاة يسمح فيها لأي شخص بالقراءة، وغالبا ما يتناوب أفراد العائلة والأصدقاء في قراءة المزامير طوال الليل حتى يحين وقت نقل الجسد إلى الكنيسة.

¹ Ibid, p 82.

² Ibid, P 85.

رابعاً: طقوس في الطريق إلى الكنيسة

وبعد البانيخيداس النهائي في منزل المتوفى، يتم إحضار الجثمان إلى الكنيسة في موكب يتقدمه الصليب والرايات ويسير الكاهن أو الشماس بالمبخرة أمام التابوت و أثناء الموكب يغني الجميع التريساجيون وهو مصطلح يوناني يحمل معنى " مقدس " وهو عبارة عن سلسلة من ثلاث ابتهالات " الله القدوس، القدير القدوس، القدوس الذي لا يموت وتنتهي بدعاء ارحمنا "

كما تفرع الأجراس فيتم ضرب كل جرس على حدا مرة واحدة، من الأصغر إلى الأكبر، في قرع بطيء وثابت بعد ذلك يتم ضرب جميع الأجراس معا في نفس الوقت، وضرب الأجراس من أصغرها إلى أكبرها يرمز إلى مراحل حياة الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته، أما الضرب الأخير لجميع الأجراس معا فيرمز إلى نهاية هذه الحياة الأرضية

وبمجرد وصول الموكب إلى الكنيسة، يتم وضع التابوت إما في وسط صحن الكنيسة، أو إذا كان الرواق كبيراً بدرجة كافية يتم وضعه هناك ثم توضع أربع شمعدانات حول التابوت لتشكل صليباً و ييخر الكاهن حول التابوت ويبدأ البانيخيداس مرة أخرى ثم تستمر قراءة سفر المزامير حتى بداية قداس الموتى وهو الطقس النهائي قبل نقل التابوت الى القبر

خامساً: طقس قداس الجنازة

قبل البدء في قداس الجنازة يجب وضع التابوت امام المذبح الذي يجهز لهذا الغرض بطقوس غنية بالرمزية وذلك لتقديم القربان المقدس لطلب الخلاص لروح المتوفي

سادساً: طقس القربان المقدس

يقام هذا الطقس على المذبح الافخارستي _ انظر الملحق رقم (10) _ الذي هو عبارة عن مائدة صخرية يوضع عليها القربان المقدس ويوضع عليها صليب وشموع مضاءة اضافة الى الكتاب المقدس وكأس وصينية بحجابهما، وخبز وخمر وهما مادة التضحية إضافة الى المبخرة ويجب أن

يغطي المذبح بثلاثة أقمشة من الكتان الأبيض يتدلى الجزء الخارجي منها من الجانبين بحيث يلامس الأرض، ولقد علق الاب فرونسوا على رمزية المذبح وكل لوازمه باعطائنا دلالات متعددة لهذه الممارسات الطقسية خلال تقديم القربان لطلب الخلاص للميت فالمذبح يرمز إلى المسيح الذي به وبواسطته يقدم كل قربان ولأنه لا شيء يمكن أن يقدم بشكل مقبول لله إلا بالمسيح وبواسطته" و المذبح مصنوع من الحجر أولاً، لأنه يرمز إلى المسيح الذي هو الحجر السري كما جاء في الكتاب المقدس " وكان الجميع يشربون شراباً روحياً واحداً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعة لهم والصخرة كانت المسيح " ¹.

يقدم الاسقف المذبح بمسح حجره بالزيت للدلالة على المسيح الممسوح بالكنوت لتقديس جميع المسيحيين ثم يغطي المذبح بثلاثة أقمشة بيضاء من الكتان ليس فقط لأن القربان المقدم يجب أن يكون طاهراً بل يجب أيضاً تقديمه بطريقة طاهرة كما ان قماش الكتان الأبيض يرمز إلى طهارة الميت فتستخدم الأقمشة الكتانية الثلاثة للدلالة على النقاء الثلاثي للمتوفي لعقله وقلبه وبيده، كما ان هذا القماش يتدلى حتى يلامس الأرض ليشير إلى الطهارة الكاملة للمتوفي التي ينبغي أن تزينه كله من الرأس إلى القدمين

وصورة المسيح المصلوب المرفوع على المذبح تشير إلى أن المذبح الإفخارستي هو تضحية حقيقية تتجدد فيها ذبيحة المسيح الدموية بطريقة غير دموية ويوضع الصليب في مكان بارز، حتى يجذب إليه أعين وقلوب الجميع "وأنا إن ارتفعت عن الأرض فلأجذب إلي كل شيء" ².

¹ انجيل بولس، كورثينوس، الاصحاح 4، التكملة 10.

² انجيل يوحنا الاصحاح 12 التكملة 32.

و الشموع التي تتوج المذبح ليست فقط علامة كرامة وفرح بل أيضا هي تمثيل للمسيح الرب، الذي هو نور العالم، وكأنما هو شعلة من السماء تقذف نارا في العالم " لقد جئت لألقي نارا على الأرض، فماذا أريد إلا أن تشتعل "¹.

أما الكأس والصحن المصنوعان من الذهب أو الفضة فيقدسان بالزيت المقدس، لكي تقدم فيهما مادة الذبيحة فيوضع في الصحن خبز الفطير فيتحول بعد ذلك إلى جسد المسيح ويسكب في الكأس خمر مع قليل من الماء والماء هنا عند مزجه بالخمر يصبح رمزا للماء الذي سال من جنب المسيح على الصليب وهو رمز لشعب الله المتحد بذبيحه المسيح² ، فيتحول بعد ذلك إلى دم المسيح الذبيح الالاهي ويغطي كل من الكأس والطبق الموجودان في وسط المذبح بحجاب وهذا الاخير يرمز أولا إلى حجاب الإيمان وثانيا الى الحجاب الإفخارستي الذي يستر جسد المسيح وثالثا حجاب العمى الذي يغطي عيون الشعب اليهودي وكل المذنبين

اما الخبز المستخدم في الذبيحة والذي يتحول تحولا ماديا الى جسد المسيح خلال صلاه القداس³ المقدسة فيجب أن يكون مصنوعا من أنقى أنواع القمح، فطيرا على شكل دائري، والخمر المستخدم في تكريس الكأس يجب أن يستخرج من العنب ويخلط مع قليل من الماء.

¹ انجيل لوقا الاصحاح 12، التكملة 49.

² مسعود بودريالة، تشكل الرمز المقدس في المخيال الديني نماذج من الرموز المسيحية المقدسة، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 53 ، 2021 ، ص 275

³ جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، ت: يعقوب جورجس نجيب، معهد الدراسات القبطية، مصر ط 1، 1964، ص 44.

ويعرف هذا الخبز باسم "الأزيمات"، أو الخبز المصنوع بدون تخمير وفي ذلك مماثلة للخبز الذي استخدمه المسيح في العشاء الأخير " أما تعلمون أن خميرة صغيرة تفسد العجين كله؟ نقوا منكم الخميرة العتيقة لتكونوا عجينة جديدة كما أنتم فطير " ¹

ويتم تشكيل قربان الفطير في شكل دائري لأن الدائرة هي أكمل الأشكال كما انها ترمز إلى الخلود أو اللانهاية ولهذا السبب فهي الشكل الأنسب لتمثيل حضور ذاك الذي لا نهاية في مزايا ذبيحته. والمبخرة ترمز الى " المبخرة التي استخدمها هارون قديما في الهيكل، والتي تستخدم الآن في قداس المسيح، وهي إناء يحرق فيه البخور ثم يقدم للرب كعلامة على أعلى درجات الاحترام والبخار هو رمز لناسوت المسيح " ².

هذه الشعائر كانت ترمز الى تقديم يسوع المسيح كذبيحة للتكفير عن الخطيئة الاصلية لبني البشر وإقامة العهد الابدي مع الله ³

سابعا: طقس الدفن

بعد ادخال التابوت الى الكنيسة يوضع مباشرة امام المذبح لبدء طقوس قداس الجنازة واذا ما كان الميت من العامة فانه يوضع بحيث توجه اقدامه الى الشرق اما بالنسبة لرجال الدين فان الأسقف أو الكاهن المتوفي يجب أن يوضع نعشه في نفس مكانه في الكنيسة كما في الحياة، في مواجهة شعبه الذي علمه وباركه باسم المسيح " يجب أن يتراأس الكاهن القداس فإذا غاب وحظر فقط الشماس فلا يتم هذا الطقس ولكن بإمكان اهل المتوفي إقامة قداس تذكاري لاحقا على المتوفى،

¹ انجيل بولس، كورثينوس، الاصحاح 5 التكملة 6 ، 7.

² Fr. François Schouppe, **The Altar And Its Furnishings**, Radical Catholic, 4 November, 2014, P 15.

³ مسعود بودريالة، المرجع نفسه، ص 277.

ويقوم حينها الشماس بقيادة الصلوات الاخيرة على الميت ¹ يبدأ القداس بتوزيع الشموع المضاءة على كل الحاضرين كما تضاء الشموع حول التابوت ويتم الاحتفاظ بها مضاءة طوال اداء القداس وحتى تقديم الذبيحة المقدسة المتمثلة في الخبز والخمر ويرجع ثالهوفر فالتنين في كتابه دليل الليتورجيا الكاثوليكية ارتباط الشموع بالحنائز في قوله " ويمكن القول بان ارتباط الشموع المضاءة بالحنائز المسيحية قديم جدا، ويعترف الليتورجيون هنا بوجود إشارة رمزية إلى المعمودية التي بموجبها يصبح المسيحيون أبناء النور " ²

بعد اضاءة الشموع يكون التابوت مغطى بغطاء ابيض يرمز الى قيامة المسيح، بينما يرتدي الكاهن ثيابا سوداء باستثناء اذا ما كان المتوفي طفلا معمدا دون سن الرشد فان الكاهن يرتدي ثيابا بيضاء كرمز لبراءة المتوفى وما يصاحب ذلك من اعتقاد بأن الطفل سيتم قبوله على الفور في السماء دون الحاجة إلى مروره بالمطهر ³

يبدأ الكاهن طقوس الجنازة في الكنيسة بالصلاة الافتتاحية ثم قراءة العهد القديم فالزمور ثم قراءة العهد الجديد والهليلويا تليها قراءة الإنجيل ثم العظة وتلاوة أحد قوانين الإيمان وصلاة الحاضرين وتقديم القربان والاحتفال بالإفخارستيا والثناء الاخير يحتوي الثناء على صلاة من أجل الموتى، بما في ذلك صلاة الراحة الأبديّة ⁴ مع ملاحظة انه يتم تلاوة قداس نذر الملائكة في قداس موت الاطفال اما المسيحي البالغ فتنتم تلاوة قداس القيامة

بعد الانتهاء من قداس الجنازة وقبل نقل النعش الى القبر يتم الوداع الرمزي للمتوفى من خلال القبلة الأخيرة التي يتقدم خلالها المسيحيون ويعطون قبلة السلام الأخيرة للراحل، ثم يوضع على

¹ Ibid, P 15.

² Ibid, P 16.

³ Ibid, P 16.

⁴ Gould, James, **Understanding Prayer For The Dead: Its Foundation In History And Logic**, Wipf And Stock Publishers, 2016, P 51.

راس المتوفي شريط على شكل تاج يكتب عليه التريساجيون كما توضع في يده اليمنى أيقونة صغيرة للمسيح أو والدته الإله أو الصليب كما يجوز أن يوضع في يده اليسرى حبل الصلاة.

ثامنا: طقوس مباركة القبر

عند الوصول بالجثمان الى القبر يبدأ الكاهن بطقوس مباركة القبر وذلك بصلاة قصيرة يتلوها اثناء رشه للقبر بالماء المبارك ثم يأخذ حفنة من التراب ويرسم بها اشارة الصليب في القبر ويرنم " للرب الأرض وملؤها" وهنا تنتهي بركة القبر ثم يتم احضار النعش الذي يغلق بدق اربع مسامير تذكيرا بتثبيت المسيح على الصليب ثم يشرع بانزال التابوت الى القبر فتتهف الجوقة " افتحي أيتها الأرض، واستقبلي الذي خلق بيد الله من قبل، والذي يعود مرة أخرى إليك التي ولدته. الذي كان على صورته قبله الخالق لنفسه. فلتسترد ما هو لك " ثم يسكب الكاهن بعضا من الزيت المكرس على التابوت ثم يسكب الكاهن رماد المبخرة في القبر المفتوح" وتتلى الصلاة الربانية بصمت بينما يرش التابوت مرة أخرى بالماء المقدس، وأخيرا يدعو الكاهن بالدعاء التالي :

نسألك يا رب أن تمنح الرحمة لعبدك الراحل، حتى لا ينال جزاء أعماله السيئة فلقد حفظ مشيئتك عن طيب خاطر، ومثلما انظم الحاضرون هنا بإيمان حقيقي فلتضمه رحمتك فوق مع صفوف الملائكة، من خلال يسوع المسيح ربنا آمين

والدعاء الاخير الذي يتلوه الكاهن هو " فلتنتقل روحه وأرواح جميع المؤمنين الى رحمة الله بسلام " . وعند هذا الحد تكون طقوس القبر والدفن قد اكتملت .

تاسعا: رسوم الدفن

لم تكن هناك رسوم للدفن المسيحي وذلك وفقا لما يمليه القانون الكنسي الروماني حيث يمكن للكاهن ان يدفن اي شخص مسيحي مجانا دون أي مقابل مادي بل كان تحصيل الاموال جراء القيام بالدفن او مباركة الزواج او الاحتفال باي سر من الاسرار المقدسة يعتبر جريمة في نظر

الكنيسة الرومانية، لكن بعد القرن الحادي عشر ومنذ بداية المسيحية الغربية، تغير القانون الكنسي ليصبح التعويض المادي للكاهن أو أي رجل من رجال الدين جراً اشرافه على طقوس الدفن أوطقوس الزواج أوطقوس المعمودية فان ذلك يتطلب مقابلاً مالياً، ولقد وضعت العديد من الابريشيات جداول حددت فيها اثمان كل عمل طقسي كما ان العديد من الكنائس حددت اسعاراً يقوم اهل الميت بدفعها من اجل مكان داخل الكنيسة يتم فيه دفن فقيدهم او حتى مقابل استخدامهم لساحة الكنيسة او الكنيسة نفسها اثناء أي طقس من الطقوس ورغم ما لاقتته هذه القوانين من استياء من قبل أفراد المجتمع المسيحي واصفين إياها بأعمال الجشع الى ان الكنيسة بررت موقفها برغبتها في استفادة رعاياها من الراهبات والكهنة من هذه الاموال لسد حاجاتهم خاصة فيما يتعلق بالكنائس التي تقطن المناطق الريفية ولتوقيف هذه الاحتجاجات قامت الكنيسة بتوحيد هذه الاسعار ووضع جداول لها في جميع الابريشيات خاصة انجلترا وفرنسا هذا التقنين جاء لامتناس غضب المجتمع المسيحي من سوء استغلال رجال الدين لمكانتهم المقدسة وخدماتهم الدينية¹

عاشراً: فترة الحداد

المسيحيون لا يعتبرون الموت نهاية بل بداية ومع ذلك، فإن الحزن على فراق شخص عزيز هو أمر طبيعي بالنسبة لحالة الإنسان في اللاهوت المسيحي يفهم بكاء يسوع على صديقه لعازر على أنه إظهار لملء إنسانيته كما جاء في انجيل يوحنا² لكن مع ذلك فان المسيحيين يتعلمون ألا يحزنوا " كالباقين الذين لا رجاء لهم"³

¹ Alfred Nothum, **La Rémunération Du Travail Inhérent Aux Fonctions Spirituelles Et La Simonie De Droit Divin**, Libreria Editrice Dell'università Gregoriana, Roma, 1969, P 73.

² انجيل يوحنا، الاصحاح 11، التكملة 35.

³ انجيل تسالونكي، الاصحاح 4 التكملة 13.

تستمر فترة الحداد التقليدية الأولى للمسيحيين لمدة أربعين يوما وخلال هذه الفترة تعتبر أيام معينة ذات أهمية خاصة وهي على التوالي اليوم الثالث والذي تقام فيه عادة الجنازة واليوم التاسع، واليوم الأربعين ومن بين هذه الأيام الثلاثة، يعتبر اليوم الأربعون هو الأهم، لأنه يعتقد أنه في ذلك اليوم تخضع النفس للدينونة الخاصة، والتي ستحدد حالة الروح حتى اتحادها بالجسد الممجد عند المجيء الثاني، بالنسبة للأقارب المقربين، عادة ما تستمر فترة الحداد لمدة عام عادة، بعد أربعين يوما، تقام الذكرى بعد ثلاثة أشهر، وستة أشهر، وتسعة أشهر (مصطلحات تتوافق مع الثلاث المقدس)، وفي سنة وفي كل سنة لاحقة في ذكرى الوفاة، لمدة سبع سنوات متتالية، من الممارسات الشائعة أن يطلب الأصدقاء والعائلة إقامة نصب تذكاري على الأقل في ذكرى وفاة المتوفى. يتم الاحتفال بالذكرى السنوية الأولى في جميع أنحاء العالم تقريبا، وتستمر العديد من العائلات في طلب إقامة نصب تذكارية سنوية في كل ذكرى سنوية للوفاة.

" يوم الأربعون بعد الوفاة هو حفل تأبين تقليدي وتجمع عائلي ومراسم وطقوس تخليدا لذكرى المتوفى في اليوم الأربعين بعد وفاته، يتم الاحتفال باليوم الأربعين بعد الوفاة في التقاليد السريانية مالابار والأرثوذكسية الشرقية، تمثل هذه الطقوس الشفاعة الروحية من جانب الموتى، الذين يعتقد أنهم ينتظرون يوم القيامة بشكل جماعي " ¹

¹ Stefon, Matt And Others, Christianity, Concepts Of Life After Death, Linwood , 2020, P

خاتمة الفصل:

بناء على ما تم عرضه يتضح ان الدين هو منظومة من الطقوس والعقائد المتعلقة بالمقدسات، ومنه فانه لفهم الظاهرة الدينية لابد من دراسة ابعادها الرمزية التي تحملها الممارسات الطقسية، كما ان الدين مساهم قوي في البناء الانساني من خلال دوره في التنشئة الاجتماعية، بالاضافة الى انه يعد عاملا فعالا لتماسك البناء الاجتماعي من خلال ما يفرضه من طقوس وشعائر دينية تؤدي الى استقرار حياة الفرد والجماعة.

كما ان الدين يمثل نظام اجتماعي شامل لا يسمح لأي فرد أن يسلك سلوكا خارجا عن تعاليمه، وبذلك فانه يضبط سلوك الأفراد في المجتمع من خلال ما يأمر به وما ينهى عنه، ومن خلال هذه الأوامر والنواهي يمتد تشريع الدين وتنظيمه من حياة الفرد الى ما بعد حياته، أي ان الدين لا يهتم فقط بتنظيم كيفية الحياة بل حتى بمصير الانسان بعد الموت وانتهاء وجوده المادي.

الفصل الثالث:

الطقوس وتافونومي شمال إفريقيا

تمهيد:

ان مراجعة الجوانب السلوكية للإنسان خلال وجوده، منذ ولادته وحتى وفاته، تؤدي حتما الى ملاحظة حضور الطقوس كآليات رمزية توجه العلاقات بين الافراد والثقافات على مدى وجودهم، وتسمى هذه الآليات الرمزية طقوس المرور وهي تشكل أفعالا فردية وجماعية يجب الالتزام بها باتباع قواعد منظمة وهذه الاخيرة هي التي تجعل من هذه الأفعال طقوسا، بحيث تتميز بقدرتها التعبيرية، وتكرارها، ورمزيتها ويشارك أتباعها في هذه الطقوس من أجل تعزيز الشعور بالتضامن لدى الجماعة كجانب أساسي للتغلب على التحولات الحيوية ذات الطبيعة الاجتماعية والطبيعية التي يفرضها علينا الوجود نفسه والتي نشير فيها الى حتمية حدث الموت، ومنه جاء هذا الفصل لتعريفنا بالطقوس والتطرق لانواعها ووظائفها بالاضافة الى البحث في اشكال الطقوس الجنائزية عبر الحضارات المتعاقبة على منطقة شمال افريقيا رغبة منا لمقاربتها في الدراسة الميدانية ومعرفة جذور الممارسات الطقسية في مجتمع البحث.

1. مفهوم الطقوس

1.1. الطقوس لغة

كلمة طقس " Rite " في القواميس الغربية مشتقة من الكلمة اللاتينية " Ritus " التي تعني العبادة أو احتفال ديني¹ اي ان الطقوس في الدراسات الغربية تحمل معنى الممارسات الدينية اما في الدراسات العربية " فلا وجود لكلمة طقوس في المعاجم العربية القديمة، وانما يوجد بدلها مصطلح شعائر، وهو التعبير الاسلامي عن مفهوم الطقوس وتعني افعال العبادة التي يقوم بها المؤمن استجابة لأمر ديني مقدس " ²، اي ان الطقس يمثل الجانب العملي في الدين ويقصد به ايضا كل الممارسات الاحتفالية المرتبطة بمعتقدات غيبية.

1.2. الطقوس اصطلاحا

في الدراسات الانثروبولوجية يعرف لنا علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية الطقس على انه " مجموعة حركات سلوكية متكررة، يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها " ³ ولقد استعمل " راد كليف براون " في كتاباته الأنثروبولوجية مصطلح القيم الطقوسية، وتنص فرضيته حول الطقوس بأن القاعدة الأساسية للطقس هي تطبيق القيم الطقسية على الأشياء والحوادث والمناسبات التي يمكن اعتبارها بمثابة الأهداف ذات المصالح المشتركة التي تربط

¹ بيار بونيت، ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ت: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية

للدراسات والنشر، 2016، ص 201

² عصمة العبادي، منى العكلي، طقوس العبور دراسة انثروبولوجية ميدانية لشعائر الوفاة في مدينة قلعة صالح

، هيئة التعليم التقني، المعهد الطبي التقني، بغداد، 2013، ص 4.

³ بيار بونيت، ميشال ايزار، المرجع نفسه، ص 222.

أعضاء المجتمع الواحد، أو تمثل تمثيلا رمزيا لجميع الأشياء التي تستند على تأثير السلوك الرمزي بأنواعه المتعددة ومنه يمكن اعتبار فرضيته حول الطقوس بأنها فرضية عامة للرموز لها تأثيراتها الاجتماعية المهمة، وهكذا نجد مفهوم الطقوس عند راد كليف براون عبارة عن حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية معبرة.

وبذلك يكون موضوع الطقوس هو المناسبات الدينية ومصدر الطقس هو المعتقدات التي تتصل غالبا بالعالم الماورائي اما عن تجسيدها في ارض الواقع فيكون بشكل متواتر وبكيفية يوافق عليها افراد المجتمع تتجسد خلاله ممارسات تحمل دلالات رمزية تعكس قيم الجماعة الفاعلة للطقس، و الطقوس في بحثنا هي عبارة عن وسائل وطرق عملية وأخرى كلامية في السر أو في الجهر وبواسطة هذه الوسائل العملية واللفظية يحقق الفاعلين الاجتماعيين غايتهم من اجراء هذه الطقوس.

2. انواع الطقوس

قسم باحثوا وعلماء الانثروبولوجيا الطقوس الى خمسة انواع كبرى نذكرها كالاتي طقوس سحرية، دينية، واقعية تأسيسية وموضوعية وطقوس المرور، واعتبروا أن الطقوس تمثل رمزا حيويا لمعتقدات الفرد وقيمه وأعرافه المجتمعية وتتخذ أشكالا متعددة وتخدم أغراضا مختلفة في حياة الإنسان ومن أمثلة الطقوس ما يلي:

1.2. الطقوس السحرية

وهي طقوس تستدعي قوى أو طاقات خارقة للطبيعة لتحقيق النتائج المرجوة حيث " يشير العمل السحري إلى مجموعة من الممارسات الطقسية التي تهدف إلى الوصول إلى القوة أو الطاقة الخارقة للطبيعة واستخدامها للتأثير على العالم الطبيعي"¹ ولقد لعبت الممارسات السحرية دورا

¹ Tyson, D, **Ritual Magic**, Llewellyn Worldwide, London, 1992, P 30.

رئيسيا في العديد من الثقافات حول العالم مثل المجتمعات الإفريقية والمجتمعات الأمريكية الأصلية والأوروبية القديمة فقد كان السحر جزءا لا يتجزأ من تقاليدهم منذ آلاف السنين " كما تظهر المخطوطات الاثرية أن حضارات مثل مصر وبلاد ما بين النهرين كانت منخرطة بالفعل في أشكال مختلفة من هذه الممارسة من السحر والشامانية " ¹ وبشكل عام، " يسعى الفاعلون للطقس السحري إلى السيطرة على الطبيعة أو التلاعب بها من خلال وسائل خارقة للطبيعة ويمكن أن يشمل ذلك استدعاء الآلهة أو الأرواح وإلقاء التعاويذ أو اللعنات باستخدام كلمات أو أشياء محددة يعتقد أن لها خصائص سحرية " ² ان "الايمان بوجود قوة سارية في جميع مظاهر الكون وهي قوة غير مشخصة، بمعنى أنها تصدر عن اله أو أي كائن روحاني ذي شخصية محددة واردة مستقلة فاعلة، كما أنها قوة حيادية، بمعنى أنها فوق الخير والشر بالمفهوم الاخلاقي المعتاد" ³ وهناك أنواع مختلفة من الأعمال السحرية التي قد ينخرط فيها الممارسون حدد هيويز أهمها في ما يلي:

أولا: السحر الوقائي

هو السحر الذي يهدف إلى طرد الأرواح الشريرة من المنازل؛

ثانيا: العرافة

هي نوع من طقوس السحر تهدف إلى رؤية المستقبل حتى يتمكن الناس من التخطيط وفقا لهذه

الرؤية؛

¹ Miller & Brandon, **Beliefs, Rituals, And Symbols Of Ancient Egypt**, Mesopotamia, And The Fertile Crescent, Cavendish Square Publishing, London, 2014, P 108.

² Tyson. D, Ibid, P 30.

³ فراس السواح، **الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية**، التكوين للطباعة والنشر، دمشق،

ثالثاً: طقوس الشفاء

طقوس تقام لمعالجة الأمراض الجسدية أو الروحية؛

رابعاً: طقوس الخصوبة

وهي تهدف إلى تعزيز الإنتاجية وكل ما يتعلق بالتكاثر سواء نباتي أو انساني أو حيواني¹

وأشهر التصنيفات الثنائية التي ذكرها طواهري ميلود هي: "السحر الدفاعي والسحر العدواني، والسحر الابيض والسحر الاسود وسحر العامة، سحر الخاصة والسحر التشاكلي، والسحر الاتصالي"²

2.2. الطقوس الدينية

يقصد بها الطقوس التي يتم إجراؤها من خلال التقاليد الدينية المختلفة للتعبير عن الإيمان والإخلاص و" يشمل العمل الديني مجموعة من الممارسات والاحتفالات والطقوس المرتبطة بالديانات المنظمة أو المعتقدات الروحية الفردية"³ وهي حسب دوركايم أشكال الممارسات التي تظهر في أفعال الناس كالاحتفالات والممارسات المنظمة والعادات الاجتماعية، والتي يتم من خلالها إفراغ مستويات الوعي الجماعي والفردية تجاه المقدس، فالمعتقدات الدينية تقوم بشكلها البسيط والمعقد على تمييز المقدس والمدنس"⁴ و " يبدو أن الاعتقاد بوجود القوة السحرية هو أول شكل من أشكال الاعتقاد، فالطقوس نشأت من أجل التعامل مع القوى السحرية التي تمثل أول

¹ Hughes, **Magic For The Resistance**, Llewellyn Publications, London, 2018, P 75.

² طواهري ميلود، **المقدس الشعبي تمثيلات مرجعيات وممارسات**، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط 1،

2012، ص 68.

³ Hoffmann, **Understanding Religious Ritual**, Routledge, New York, 2013, P 13.

⁴ Durkheim E, **Sociologie Religieuse Et Théorie De La Connaissance**, Presses Universitaires De Presses, 1909, P 50

أنواع الطقوس، وتهدف إلى التأثير على القوة الحيادية وتوجيهها لتحقيق غايات معينة¹ تضمن هذه الأعمال الدينية عادة العبادة والإخلاص للآلهة وأوامرها الإلهية، والتعبير عن الامتثال لهذه القوى الإلهية، وطلب البركات للنفس أو لأحبائها و" يمكن إرجاع أصول الطقوس الدينية إلى عصور ما قبل التاريخ عندما اعتقد البشر أن القوى الخارقة للطبيعة كانت خارجة عن سيطرتهم وأثرت على جوانب مختلفة من حياتهم " ² فقاموا بالطقوس من أجل تسخير هذه القوى لخدمتهم من خلال محاولة استرضائها عن طريق تقديم القرابين وغيرها من الطقوس و" مع تطور الحضارات بدأ الدين يتخذ أشكالاً أكثر تنسيقاً وتنظيماً تشمل المعابد ورجال الدين والنصوص المقدسة والمهرجانات وغيرها من الممارسات المحددة المتعلقة بآلهة متعددة أو آلهة معينة " ³

تؤكد العديد من ديانات العالم على العمل الديني كعنصر أساسي في ممارساتها ففي المسيحية، على سبيل المثال يعد حضور قداس الكنيسة مثل قداس الأحد أمراً ضرورياً للحياة الدينية، يتم أيضاً تنفيذ الأعمال الدينية أحياناً لأغراض محددة بناءً على الأعراف الاجتماعية السائدة، على سبيل المثال مع مرور الوقت، تطورت تقاليد الجنازة عبر ثقافات متعددة، وغالباً ما تتضمن احتفالات محددة تهدف إلى تكريم روح الشخص المتوفى قبل دفنه أخيراً وفقاً لعادات محددة⁴ لذا فإن الطقوس الدينية يمثل جانباً مركزياً متأسلاً في الدين المنظم ولكنه أيضاً بارز بين الممارسات الروحية الشخصية للأفراد وتعمل هذه الممارسات التقليدية على توفير الراحة مع خلق مساحة للتأمل الشخصي⁵.

¹ فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، مرجع سبق ذكره، ص 113.

² Reynolds, Transitions And Transformations In The History Of Religions, BRILL, New York, 2018, P 20.

³ Hoffmann, Op.Cit., P 15.

⁴ Ibid, P 16.

⁵ Reynolds, Transitions And Transformations In The History Of Religions, Op.Cit, P 22.

إنها تسمح للممارسين بالتواصل مع شيء يتجاوز أنفسهم، سواء كان ملموساً أو غير ملموس، مع تلبية الاحتياجات الروحية والمجتمعية القادرة على جلب الراحة والسلام والقبول للمجموعة أو الفرد.

3.2. الطقوس الموضوعية التأسيسية

وهي الطقوس التي تحتوي على أهمية اجتماعية ثقافية مثل البدء في وضع اجتماعي جديد أو الانتقال من وضع لآخر مثل التخرج من الجامعة و " تشير الطقوس الموضوعية أو التأسيسية إلى مجموعة من الإجراءات التي تنشئ علاقات وحقائق اجتماعية جديدة داخل المجتمع " ¹ يتم تنفيذ هذه الطقوس " لإحداث تغيير دائم في الوضع أو الهوية أو العضوية داخل المجتمع " ²

يمكن إرجاع أصول الطقوس الموضوعية إلى الثقافات القديمة حيث تم الاحتفال بأحداث مهمة مثل الزواج والولادات والوفيات باستخدام احتفالات محددة متوارثة جيلاً بعد جيل و " تعمل هذه الطقوس كدلالة مهمة للانتقال من مرحلة من مراحل الحياة إلى أخرى " ³ لذا فإن الطقوس الموضوعية أو التأسيسية ضرورية في ترسيخ الحقائق الاجتماعية داخل المجتمعات من خلال البروتوكولات التقليدية والعرفية.

تعمل هذه الإجراءات الرمزية بمثابة نقاط انطلاق رسمية للانتقالات بين المراحل في حياة الأفراد، مما يشير إلى التقدم من مرحلة إلى أخرى، مما يساعد على إقامة علاقات بين الأفراد خارج أنفسهم نحو هوية أكثر أهمية.

¹ Lan, **Defining And Classifying Ritual Based On Belief Theory**, The Journal Of Chinese Sociology, 5(1), 2018, P 105.

² Grimes, **The Craft Of Ritual Studies**, Oxford University Press, Oxford, 2014, P 30.

³ Ibid, P 30.

4.2. الطقوس الواقعية

الطقوس التي يتم تنفيذها لتغيير طبيعة أو غرض شيء، و " تشير الطقوس الواقعية إلى مجموعة من الإجراءات التي تحول الأشياء أو الكيانات إلى شيء مختلف من خلال الإجراءات الرمزية " ¹ مثل نحت أعمدة الطوطم الأمريكية الأصلية من الأشجار لتحديد مكان احتفالي أي ان الطقوس الواقعية يتم تنفيذها لتغيير طبيعة الشيء وإضفاء أهمية أو قيمة خاصة له، و " يمكن إرجاع أصول الطقوس الواقعية إلى الثقافات القديمة، حيث اعتقد الناس أن بعض الأشياء أو العناصر لها قوة روحية " ² ومن خلال أداء طقوس معينة اعتقدوا أنه يمكن تحويل هذه الأشياء إلى عناصر ذات خصائص سحرية واستخدامها لأغراض مختلفة لذلك تساعد الطقوس الواقعية في ترسيخ الرمزية مع تحويل المفاهيم المتصورة للشيء مما يعزز القيمة الروحية له بأهمية متجددة تمثل جوانب راسخة في التراث الذي ينتقل من جيل إلى جيل ويتغير بمرور الوقت ويعكس القيم الثقافية لممارسيها.

5.2. طقوس المرور

يعد فان جينيب أول من وضع تصور نظري لهيكل تنظيمي يشمل كل الطقوس العالمية منطلقا من فرضية ان المجتمع يعيش في وحدات وينتقل الفرد داخل هذه الوحدات عبر طقوس وهو يشرح ذلك بقوله " يحتوي كل مجتمع على عدة تجمعات بداخله وهي منفصلة بشكل واضح بالإضافة إلى ذلك، تتفكك كل هذه المجموعات إلى مجتمعات أصغر في مجموعات فرعية " ³ ينتمي افراد المجتمع الى جماعات يحدث المرور عندما يترك الفرد جماعة ليدخل في جماعة اخرى

¹ Lan, Defining And Classifying Ritual Based On Belief Theory, Ipid, 2018, P 120.

² Forde & Gluckman, Essays On The Ritual Of Social Relations. Manchester University Press, Manchester UK, 1975, P 18.

³ Van Gennep, The Rites Of Passage, The University Of Chicago Press, Chicago, 1960, P 49.

مثل مرور الفرد من جماعة الاحياء الى جماعة الموتى ويتطلب هذا المرور طقسا من طقوس العبور حيث يقصد بها " مرور التغيير في الوضع الاجتماعي للشخص في أذهان المشاركين ومنحه موافقة المجتمع أو شرعية التغيير " ¹

ونجد ان علماء الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع قد " اعتمدوا المقاربة النظرية لفان جينيب في تحليلهم لعناصر لموروث الشعبي داخل الثقافات منهم ليفي ستروس وبورديو وغيرهم " ² الا انهم لم كنتقوا بالوصف والتصنيف بل قاموا بتحويل هذه المقاربة حسب ما يتطلبه تخصص كل باحث منهم حيث يهتم علماء الاجتماع بتحليل بنية الطقوس ومكانتها بين جملة الافعال الاجتماعية المركبة في حين يهتم الانثروبولوجيون اكثر بالتداخل والتفاعل الرمزي لعناصر هذه الطقوس مع ثقافة ونظام المجتمع ككل.

وغالبا ما تتكون هذه الطقوس من أنشطة ثقافية وقد حدد فان جينيب طقوس المرور في هيكل ثلاثي الأجزاء :

- طقوس الفصل: في هذه المرحلة يتم إزالة الفرد من وضعه السابق، وهو في بعض المجتمعات انفصال مفاجئ للفرد عن المجتمع، وفي مجتمعات أخرى يحدث على مدى فترة طويلة من الزمن، وغالبا ما تتكون طقوس الانفصال من أنشطة تقليدية.

- طقوس الهامش: خلال هذه المرحلة تجري عدة أنشطة تؤدي إلى تغيير الوضع.

- طقوس التأسيس: حيث يتغير الوضع الاجتماعي للفرد، بمعنى يغير علاقته الاجتماعية مع أعضاء المجتمع الآخرين " ³

¹ L Stein & L Stein, The Anthropology Of Religion , Magic And Witchcraft, New York, P 122

² D'Allondans, Thierry Goguel, Rites De Passage Rites D' Initiatio, Op.Cit, P 40.

³ Van Gennep, The Rites Of Passage, Op.Cit, P 50.

اذن يحدد جينيب مراحل مرور الفرد داخل الوضع الاجتماعي بداية بمرحلة الانفصال التي ينسحب فيها الفرد من وضعه المألوف ليستعد للانتقال الى وضع جديد حيث يتضمن هذا الانفصال سلوكا رمزيا للدلالة على اتمام عملية الانفصال من البنية الاجتماعية السابقة ثم ينتقل الى مرحلة الهامش او المرحلة الحدية يكون فيها الفرد فاقد الهوية الاجتماعية السابقة ولم يكتسب بعد الهوية الجديدة لينتقل الى مرحلة اعادة التأسيس ليتخذ الفرد هويته الجديدة ويدخل المجتمع مرة اخرى بمركزه الجديد عبر اتمام طقوس العبور .

3. خصائص الطقوس

حدد سليم دريسي¹ خصائص الطقوس في ثلاث ميزات هي انها ذات طابع جماعي مما يعني أن الطقوس تحقق التعبير عن الهوية وتعزز الشعور بالانتماء وتجدد التضامن؛ اضافة الى ان طابعها الإلزامي ليس مجرد عرض ادائي، بل هو في الواقع شكل من أشكال الخطاب يحتفظ به المجتمع لنفسه؛ كما تمتاز الطقوس بانها تتجاوز إطار العقلانية النفعية الصارمة مما يسمح لها بتطوير المعنى.

ومن خلال دراستنا للتراث النظري للطقوس نجد انها تحمل عدد كبير من الخصائص اختصرنا اهمها فيما يلي:

¹ Salim Drici, Genèse Et Permanence Des Pratiques Funéraires De La Préhistoire Au Monde Antique En Afrique Du Nord, Insaniyat , 68 , 2015, P 15

1.3. الاهتمام بالنص الطقسي

تستخدم الطقوس مجموعة صارمة من التعبيرات الرسمية فهي " تلزم المشاركين باستخدام مفردات محدودة وترديد جمل متناسقة في النغم وما إلى ذلك، فغالبا ما تتعلق نصوص الطقوس بالأسلوب أكثر من المحتوى " ¹ أي ان الطقوس عادة تحتوي شق عملي وشق قولي ويمتاز الشق القولي بترديد عبارات غالبا ما تعتمد نفس القافية لتسهيل حفظ نص الطقس وتسهيل تناقله من جيل الى جيل.

2.3. الطبيعة التاريخية للطقوس

ترتبط الطقوس عادة بحوادث تاريخية وقد لا يكون الحدث التاريخي في حد ذاته حقيقيا ويكون مجرد اسطورة هذه الاخيرة التي تعد ناتج من نواتج الطقس الأسبق عليها، فالطقوس المؤسسة قديما تفقد بمرور الأيام معناها وغاياتها وتتحول إلى إجراءات مبهمة قد يجهل ممارسوها مدلولاتها ومضامينها، عندها " تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، مقدمة تبريرا مقنعا لتلك الإجراءات المتناقلة عبر الأجيال " ² بمعنى ان السند الاسطوري كفيل بحفظ بقاء الطقوس داخل أذهان ممارسيه.

3.3. خاصية الثبات

الطقوس لا تتغير وتهدف إلى التكرار الخالد خاصة بالنسبة للطقوس الدينية وأحد الأمثلة الرئيسية للثبات هو الانضباط الجسدي خلال الصيام والذي يهدف إلى تهذيب السلوك اضافة الى اننا كثيرا ما نجد هذا النوع من الطقوس في الطقوس الجماعية مما يعزز ممارساته بعيدا عن محتواه الاعتقادي فكلما كانت الطقوس جماعية كلما زادت نسبة ثباتها والعكس.

¹ Bloch, Maurice , Symbols, Song, Dance And Features Of Articulation, Cambridge University Press,1974,P 11.

² فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، مرجع سبق ذكره، ص 145.

4.3. خاصية الرمزية

الطقوس تصدر من داخل نظام معتقدات المجتمع فهي تحمل معتقدات وقيم ثقافية في قالب رمزي طقوسي والغرض الأساسي منها هو تفعيل نظام معتقدات الجماعة بشكل رمزي وبالتالي نقله إلى نفسية المشاركين فيه ومواءمة معتقداتهم وقيمهم الفردية مع معتقدات الجماعة وقيمها. ونجد يونغ يشير إلى أن " الأساطير والطقوس كانت ترتبط تقليديا بالدين ومن ثمة أصبحت تؤدي أدوارا معينة في حياتنا اليومية، وأن للطقوس معاني رمزية في مواقف الشدة كالموت أو الميلاد " ¹

5.3. خاصية الأداء

تتضمن الطقوس أفعالا يتم ادائها من قبل المشاركين بطريقة صارمة لنقل معاني ودلالات يحملها الطقس " فمن خلال الأفعال تشكل الطقوس الأفكار " ²، وكثيرا ما تتطلب الطقوس ارتداء ملابس ذات ألوان محددة بسبب رمزية الألوان، وذلك لنقل أفكار ومعتقدات ثقافية خلال الاداء والممارسة الطقسية.

6.3. خاصية التكرار

تمتاز الطقوس بالتكرار من أجل تحقيق أقصى قدر من الفعالية، فتركز الطقوس على إيصال مجموعة واحدة من المفاهيم التي تكرر بشكل مستمر وما يتكرر في الطقوس يشمل مناسبة أدائها ومحتواها اللفظي والفعلية والفضاء الذي يتم فيه الطقس، ان هذا التكرار يعزز كفاءة الطقوس في إيصال أي تمثيلات تهدف إلى ترسيخها في أذهان الجماعة.

¹ عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1982، ص 63.

² Myerhoff, Barbara , Secular Ritual, Van Gorcum, 1997, P 58.

7.3. خاصية حمل المتناقضات

تمتاز الممارسات الطقسية بإظهار الابعاد المتناقضة من اجل تسهيل فهم الفاعلين للطقس مثل المقدس والمدنس لأن بضدها تتميز الاشياء، ومن اهم هذه المتناقضات تذكر مباركة بلحسن¹ الفناء والخلود، الحضور والغياب، الاقتراب والابتعاد، الفقدان والاسترجاع، النسيان والذاكرة والظوري والعارض.

4. وظائف الطقوس

1.4. الوظيفة الدينية

لم تعد علاقة الطقس بالدين بحاجة إلى برهنة فكل دين إلا ويفرز طقوس خاصة به يستخدمها في نمط ثابت لأهداف دينية وأخرى تذكارية لطمئنة فكر الإنسان المرتبك، فالاحتفال الطقسي يبحث عن مناسبة للتقرب من القدرة فوق طبيعية التي تقلق وتهيمن في نفس الوقت " فالقصيدة الدينية للطقوس تجد حقيقتها في تحولات الوضع البشري ومن بين هذه التحولات الأكثر إرباكا هي الشعور الذي يدركه الإنسان حول المقدس وهو شعور مبهم ومحير يضطره إلى إحداث تعديلات متلاحقة ومنظمة لوضعه المرتبك² فالطقس بمختلف بدائله التطهيري والسحري لا هدف له سوى إعادة التوازن الداخلي للإنسان وهكذا تكون وظيفة الطقس الدينية .

2.4. الوظيفة الاجتماعية

تعمل الطقوس على المحافظة على الانسجام من خلال ترسيخ قيم الجماعة حيث تعتبر الية للتحفيز على الالتفاف حول اهداف مشتركة للجماعة بفضل التكرار الدوري للطقوس فهذه الاخيرة في الغالب هي ممارسات نمطية متكررة ورمزية في ان واحد تحمل معتقد أو قيمة ثقافية تعمل على

¹ مباركة بلحسن، الموت وصناعة الرمي، مرجع سبق ذكره، ص 12.

² نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات ، مرجع سبق ذكره، ص 38.

تعزيز التماسك الاجتماعي، لأن غرضها الأساسي في معظم الحالات هو مواءمة نظام معتقدات الفرد مع نظام معتقدات المجموعة، فكلما تم تفعيل نظام الاعتقاد من خلال الطقوس كلما تم تعزيز التماسك الاجتماعي.

3.4. الوظيفة الرمزية الثقافية

مهما تكن الدوافع الاجتماعية والدينية المفسرة للنشاط الطقسي يوجد دائما دافع واحد نفسي له الغلبة، وهنا يشير اريك فروم أن الطقس في نهاية المطاف " ما هو إلا تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل " ¹ فعبير الثقافات وعبر التاريخ تستخدم جميع الثقافات البشرية الطقوس كوسيلة جسدية ونفسية للتعامل مع الغموض وعدم القدرة على التنبؤ بالعوالم الطبيعية والاجتماعية والكونية، الأدوار الثقافية للطقوس لا تعد ولا تحصى وهي تشمل توليد المعتقد، والحفاظ على الحيوية الدينية، وتحفيز التبادل الاقتصادي، وتعزيز الشجاعة، وإحداث الشفاء، وتحويل الوعي الفردي وفي كثير من الأحيان تعمل على جعل الحدث الطقسي يتماشى مع قيم المجموعة.

5. الطقوس الجنائزية في الدراسات الانثروبولوجية

تأخذ أنثروبولوجيا الموت على عاتقها مهمة فهم العبارة "يموت كل البشر ومع ذلك فانه في كل ثقافة يموت كل منهم بطريقته الخاصة " لهذا تستكشف أنثروبولوجيا الموت كيفية استجابة المجتمعات البشرية لهذا الحدث حيث انصب اهتمام الباحثين في هذا الحقل بالجانبين المفاهيمي والتنظيمي لتمثلات وطقوس الموت، ونقصد بالجانب المفاهيمي ما يعتقد الناس عن الموت والحياة ما بعده اما الجانب التنظيمي فهو ما يمارسه الافراد فعليا عندما يواجهون أزمة الموت.

ولقد اعتمدت البحوث الانثروبولوجيا منهجين رئيسيين لدراسة هذا الموضوع وهما الإثنوغرافيا والمقارنة فاذا كان استخدامهم للمنهج الإثنوغرافي يهدف الى معرفة كيفية تعامل الثقافات مع زوال

¹ المرجع نفسه، ص 41.

وجود أعضاء جماعاتها، فانهم حاولوا من خلال المنهج المقارن فهم التنوع الثقافي الهائل في قضايا الطقوس مثل طرق التخلص من الجثة وسلوك الحداد المتوقع من التكالى والمفجوعين، بالإضافة الى محاولة فهم العلاقات المستمرة بين الأحياء وأمواتهم.

1.5. المقاربات النظرية للموت وطقوس الجنازة

ان المتصفح لمكانة الطقوس الجنائزية داخل البحوث الانثروبولوجية سيجد ثلاث نماذج تحليلية اعتمدها علماء الانثروبولوجيا في دراسة وتحليل الطقوس نستنتجها من اعمال كل من " دوركايم وهيرتز ممثلين عن المدرسة الاجتماعية الفرنسية، اضافة الى اعمال مالمينوفيسكي وراي كليف براون الوظيفيين البريطانيين واخيرا مقارنة فان جينيب " ¹ ونستعرض كل منها كالآتي:

اولا: الموت كعملية اجتماعية، مقارنة هيرتز

ان العديد من الافكار المركزية في انثروبولوجيا الموت كانت نتاجا لتحليل روبرت هيرتز للجنازة الاولى والثانية التي استنتج من خلالها ان المجتمع ينظر إلى الموت على نطاق اوسع من كونه حدث لحظي بل هو عملية اجتماعية والموت هو نقطة البداية فقط لهذه العملية، وأن الموت أقرب إلى الشروع في الحياة الاجتماعية الآخرة، وبالتالي فهو يشبه نوعا من الولادة الجديدة.

ركزت دراسته على الطقوس المتمثلة في الجنازة الثانية، أو بشكل أكثر دقة المعالجة الثانوية للرفات والجثث حيث استنتج من خلالها " ان الاعتقاد بوجود طبيعة مزدوجة لدى الانسان تتمثل في كونه جسد وروح هو أحد الأسباب الأيديولوجية الرئيسية للاحتفال المزدوج الذي غالبا ما تفصله عدة سنوات عن الوقت الفعلي للوفاة " ² فعادة ما ترتبط الجثث بطقوس التلوث والحزن حيث تسعى الجنازة الأولى، بالمعنى الحرفي والرمزي إلى التخلص من هذه الجوانب الملوثة والمحزنة، في حين

¹ Baranovitchi H, **Death: A Cross-Cultural**, Cambridge Uni-Versity Press, Cambridge, 2nd Edn, 1984, P 15.

² Robert Hertz , **Death And The Right Hand**, Rout Ledge, 1960, P 130.

ترتكز الجنازة الثانية على بدء وجود أرواح الموتى في عالم الأجداد حيث سيستمرون في العمل كممثلين لمورد ثقافي يراقب ويوجه الأحياء، وقد سلط هذا المنظور البنيوي الضوء على أوجه التشابه بين تحلل الجثة ومصير الروح.

ثانيا: طقوس الموت وعلاقتها بالقيم الثقافية، مقارنة مالينوفسكي

خلال حدث الموت يفقد المجتمع ثقته في سبب وجوده حيث موت افراده "يضرِب المجتمع في مبدأ حياته في الإيمان الذي يحمله في نفسه"¹ لذلك يبرر المنظور الوظيفي ضرورة اقامة الطقوس الجنائزية كمساعد على تثبيت الميول التخريبية التي تظهر لدى افراد المجتمع في اوقات الوفيات.

وأوضح مالينوفسكي كيف أن الطقوس الجنائزية " تمتص طاقات الخوف والفرع والإحباط الطاردة المركزية المرتبطة بالموت، وتوفر وسيلة قوية لإعادة دمج معنويات الجماعة المرتبكة بسبب الفرع من الموت "² حيث يجب أن توفر الطقوس إجابة لمعنى الحياة والموت معا لأفراد المجتمع خلال وقت الوفاة هذا الاخير الذي يكون سببا في فقدان اليقين بأي معنى للاستمرار في الحياة الاجتماعية، ونتيجة لذلك يرى مالينوفسكي ان دراسة طقوس الموت توفر فرصة فريدة لدراسة القيم الأساسية لأي ثقافة حيث ان حدث الموت يعكس ويحدد قضايا الميراث وإعادة توزيع الأملاك فضلا عن دمج المشيعين في الحياة اليومية.

ثالثا: الموت كطقس عبور، مقارنة جينيب

تصور معظم الثقافات الموت على أنه مرحلة انتقالية للإنسان، ففي العديد من الثقافات ينظر إلى هذا الانتقال على أنه رحلة إلى مكان آخر قد يكون مكان إعادة ميلاد هذا الميت او

¹ Ibid, P 130.

² Malinowski B, Man And Culture, Rout Ledge & Keg An Paul, London, 1960, P 193.

موطن اجداده وقد يكون مكان ذو طبيعة ألوهية جنة ونار او يذهب الى عالم النسيان كل هذه التصورات جمعها الانثروبولوجيون خلال بحوثهم الميدانية لكن، فان جينيب قدم منظور يشمل كل هذه التمثلات الطقسية حيث يرى انه رغم اختلاف التمثلات حول مصير الميت الى ان كل الطقوس تشترك في بنية مكونة من ثلاث اجزاء تبدأ بالانفصال ثم الهامش وتنتهي بالتأسيس او اعادة الدمج حيث يجب أن يتم فصل أرواح الموتى عن أدوارهم الاجتماعية كأعضاء في مجتمع الأحياء وأن تدخل في حالة بينية غير محددة، وأخيرا يتم دمجهم مرة أخرى في وضع جديد ينتهي بانتهاء الطقوس وفي كثير من الأحيان يتمثل افراد الجماعة مصير الروح على غرار مصير الجسد فكلما طال موعد دفنه ووضعه في مكان راحته الاخير فان الروح تبقى قلقة لانها بلا مأوى فتشكل خطرا على الاحياء وبالمثل فإن الحالة الطقسية للمشييعين ترتبط بدورها بمصير الجثة في عملية تحليلها فلا يحس اهل الميت بالراحة الا بعد اتمام الطقوس.

وقد لاحظ فان جينيب أيضا كيف أن " طقوس الموت غالبا ما توازي طقوس دورة الحياة الأخرى، ولا سيما الولادات وحفلات الزفاف فمن الناحية النظرية غالبا ما ينظر إلى الموت على أنه ولادة في عالم آخر " ¹، بينما ينظر إلى الولادة على أنها ولادة جديدة فعلية لسلف متوفى وبالمثل في حفلات الزفاف فكما قد تترك العروس عائلتها كذلك تغادر روح المتوفى إلى عالم آخر ففي ريف اليونان على سبيل المثال يتم غناء نفس الكلمات في حفلات الزفاف والجنائز .

¹ Van Gennep, The Rites Of Passage, Op.Cit, P 50.

6. تافونوميا¹ الطقوس الجنائزية في شمال افريقيا

مر تاريخ منطقة شمال افريقيا بتعاقب عدة حضارات، كونها منطقة استراتيجية تعتبر بوابة العالم نحو افريقيا ناهيك عن الموارد والثروات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة، ذلك ما جعلها مطمعا للعديد من الحضارات منذ فجر التاريخ.

تتنوع ممارسات الدفن في عصور ما قبل التاريخ، لكنها رغم ذلك تخبرنا الكثير عن حياة المجتمعات التي مارسها فالبشر هم النوع الوحيد الذي يهتم بموتاه ويتصرف حيالها وفق معايير ثقافية تسود تلك الفترات الزمنية، وهذه المعايير عادة تتجاوز مجرد التخلص من الجثث الى التعبير الرمزي والطقسي اللذان يحملهما طابع الدفن المعثور عليه في بقايا المقابر وفي الهياكل الجنائزية وقد تكون هذه الهياكل العظمية كاملة وقد تكون بقايا مكسورة او بقايا جثث محروقة

ان الكثير من هذا التباين يأتي نتيجة لنشاط الانسان تجاه موتاه، وقد يكون ايضا نتيجة لتغيرات تطرأ على الجثة ومكان الدفن بسبب طبيعة التربة ونوع الدفن وكذا عوامل الترسيب والضغط الناتج عن الصخور الراسبة او حتى سلوكيات البشر في وقت لاحق تجاه هذه المدافن التي غالبا ما تدل طريقة تصميمها على رغبة اصحابها في حماية الجثث من الخطر الحيواني والحد من تأثير العوامل الطبيعية التي تؤدي الى تلف الجثث وضياع العمل الطقسي، ومن ناحية اخرى قد تساهم الطقوس بشكل لا ارادي في تدمير او اختفاء جزء او اجزاء من الهيكل العظمي البشري مثل

¹ التافونوميا هي دراسة تتعلق بالانتقال من الحي الى غير الحي جيولوجيا وتشمل العمليات الطبيعية والثقافية

المراقبة لهذا الانتقال أي انه العلم الذي يهتم بالمراحل التي تمر بها بقايا الكائن من موته إلى دفنه أي أنه علم

متخصص بماذا حصل للكائن الميت من زمن موته إلى حين اكتشافه أنظر :

Lee Lyman, **What Taphonomy Is, What It Isn't**, Journal Of Taphonomy ,Volim 3, 2010 , P

طقوس الحرق، وفي دراستنا هذه نحاول فهم الممارسات والطقوس الجنائزية للتجمعات البشرية المتواجدة في منطقة شمال القارة الافريقية في حقبة تاريخية مختلفة من اجل معرفة وفهم السلوك البشري في ماضي هذه الرقعة الجغرافية بالاعتماد على أدلة الدفن البشري الاثرية.

كان التنقيب عن المدافن و يبقى في كثير من الأحيان معتمدا فقط على عمل علماء الآثار وهم " معتادون على قراءة تسلسل الطبقات الصخرية ومعرفة الميزات المعمارية اكثر من معرفتهم بتشريح الانسان او الهياكل العظمية ونتيجة لذلك نجد أن تقاريرهم تعكس فقط ما تم تدريبهم على مراقبته ¹

وما يجعل عدم تدخل عالم الانثروبولوجيا في هذا المجال امرا مؤسفا هو " ان تقارير علماء الآثار الجنائزية يغلب عليها الطابع المورفولوجي فقط وهو ما يجعلنا محرومين من فهم السياق الثقافي لهذه المدافن، لذلك فان تطور البحوث الاثرية في هذا المجال دون مخاطبة أي معلومات خاصة بالموقع بخلاف عدد الموتى وأعمارهم وجنسهم ² يجعل من هذه التحليلات الاثرية الشهادة الملموسة الوحيدة المشتقة من الجثة التي كانت بلا شك هي سبب وجود القبر والتركيز المركزي حوله والتي تم لأجلها تنظيم الطقوس الجنائزية، إن محاولة إعادة بناء مثل هذه الطقوس هو هدف علم أنثروبولوجيا الموت الآنني لذلك نجد محاولات قليلة لفهم الصورة كاملة حول ما حدث داخل المواقع الاثرية الجنائزية من طقوس، من بينها نجد دراسة دافيد ستون ودراسة الجزائري سليم دريسي لطقوس وممارسات الدفن في منطقة شمال افريقيا كلاهما حاول من خلال ما قدمه علم الآثار فهم وتحديد الطقوس الجنائزية وتمثلات الموت لشعوب شمال افريقيا عبر الحقب الزمنية والعصور الماضية.

¹ Rebecca Gowland & Christopher Knüsel, **Social Archaeology Of Funerary Remains**, Oxbow Books, 2012, P 45.

² Ibid, P 45.

1.6. تافونومي ما قبل التاريخ

يعتقد أن أقدم البشر عاشوا في إفريقيا منذ ما يقارب أربع ملايين سنة¹ وهم من يعرفون بانسان النياندرتال او منتصبوا القامة ولقد صرح علماء الآثار ان إنسان النياندرتال قد " طور طقوسا واحتفالات للمساعدة في العبور من فضاء الأحياء إلى عالم الأموات، ويعتقد أنهم أول من دفنوا موتاهم بإقامة الطقوس والتضحيات وأصداف الزينة والأدوات الحجرية والطعام "²

تنتشر العديد من الآثار الجنائزية الصخرية في مناطق واسعة من شمال إفريقيا والتي تعود لعصر ما قبل التاريخ ولقد صنف موقع أفالو بو روميل في بجاية الجزائر من أقدم هذه المواقع وهو " يحتفظ بأول مقبرة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ اكتشفت من قبل عالم الآثار أرامبورغ في عام 1927"³

أطلق أرامبورغ على هذه المقبرة اسم " صندوق عظام الموتى ووصفها بأنها كتلة ذات مخطط دائري تقريبا، ويتطابق مركزها تماما مع الإسقاط الأفقي للقبو "⁴

وينقسم الفضاء في موقع أفالو بو روميل إلى ثلاثة أقسام الفضاء الخارجي والفضاء الداخلي والمقبرة واحتلت هذه الأخيرة المساحة الثالثة بعيدا عن مناطق المعيشة وهي عبارة عن شق صخري باتجاه اسفل الموقع " تحتوي المقبرة على حوالي خمسين جمجمة بالإضافة إلى أجزاء عديدة من الهياكل العظمية وبعض العظام تشكل أكواما موزعة دون اتجاهات معينة كما بها العديد من الجثث محبوسة في الجرار او مقيدة " ويبدو أن أحد الأشخاص تلقى رعاية خاصة ربما بسبب

¹ Harari, **Homo Sapiens: A Brief History Of Humankind**. Vintage, 2015, P 100.

² Despelder & Strickland, **The Last Dance: Encountering Death And Dying**, 11th Ed, McGraw-Hill, 2019, P 22.

³ Colette Roubet Et Slimane Hachi, **Nécropoles Préhistoriques, Encyclopédie Berbère**, 33, N 22, 2012, P 59.

⁴ Ibid, 60.

وضعه المميز داخل مجموعته العرقية فهو الوحيد الذي دفن في وضعية الاستلقاء وتشير نتائج التنقيب إلى أن هذا هو أقدم هيكل عظمي في المقبرة¹.

وتتكون المواد الأثرية المكتشفة في هذا الموقع من صناعات حجرية وعظمية، وشظايا فخارية وبقايا زخرفية مصحوبة بالحيوانات ولصبغة المغرة الحمراء²، " إن إعداد قبر لكل رفات، يحمل بحسب بحث ياسمينه شايد، قصدية لا تعني بالضرورة وجود فكر ديني منظم³ كما " يعزو سليمان حاجي هذا النشاط الفني في مقبرة افلو إلى المكانة الخاصة التي تمنحها المجموعات البشرية للمكان فالعناية بكل جثة تحمل دلالات التسلسل الطبقي الاجتماعي⁴.

تنوع واختلاف طرق الدفن معناه تنوعا ديموغرافيا ثقافيا في شمال افريقيا، حيث ان الانسان مهما بلغ تأثره بثقافة الآخرين الى انه في مواجهة الموت يخضع خضوعا تاما لمعتقدات جماعته فيمارس طقوس اجداده، ان وجود تماثيل حيوانية وهيكل عظمي لقرد المكاك مع الجثث قد يفسر على انها اضاحي وقرابين للقوة التي تهدف إليها هذه الهدايا وهذه الروح.

ان وجود المغرة الحمراء على عظام ورفات الجثث يمكن تفسيره بسببين اولهما انها ممارسة طقسية لحماية كل من روح المتوفي وارواح الاحياء والسبب الثاني والذي يقدمه دافيد ستون هو ان الحمراء اختص بوضعها كعلامة او رمز للشعوب الفينيقية وتركها على رفات الموتى دليل على

¹ Salim Drici, Genèse Et Permanence Des Pratiques Funéraires De La Préhistoire Au Monde Antique En Afrique Du Nord , Insaniyat , 68 , 2015, P 16.

² هي صبغة أرض طينية طبيعية عبارة عن مزيج من أكسيد الحديد وكميات متفاوتة من الطين والرمل

ولقد تم استخدام المغرة الحمراء كعامل تلوين في إفريقيا لأكثر من 200000 عام انظر:

Brooks Alison , The Revolution That Wasn't: A New Interpretation Of The Origin Of Modern Human Behavior, Journal Of Human Evolution, November 2000 P 563

³ Salim Drici, Op.Cit, P 16.

⁴ Ibid, P16.

امتلاك الارض، ويتفسره هذا وبحسب الادلة الاثرية يكون الفينيقيين اول من استوطنوا منطقة شمال افريقيا منذ فجر ما قبل التاريخ.

2.6. تافونومي الفترة البدائية

تعود المقابر الصخرية في الجزائر بمنطقة الركنية بقالة وبونوار وتيديس للفترة البدائية ولقد احتوت على " اثار جنائزية يتمثل في قطع زخرفية اضافة الى أدوات الزينة والمجوهرات البرونزية والمثير للملاحظة هو المواد الزخرفية المرسومة على السيراميك والتي كانت في اغلبها ذات بصمة محلية مع ملاحظة وجود أشكال اجنبية مستوردة خاصة الموجودة في موقع تيديس، كما وجدت بقايا القربان والأصاحي متمثلة في بقايا عظمية للحيوانات¹ "

ومن خلال هذه الاثار الجنائزية يمكننا القول ان الموت بالنسبة لهذه المجتمعات البدائية لا يشكل بأي حال من الأحوال نهاية تامة لوجود افرادهم ومحوهم من الذاكرة، وذلك ما تدل عليه العناية الفائقة بالعمارة الجنائزية " إن ترتيب الأشكال المعمارية للآثار ورواسب القربان يدل على مكانة الموت الخاصة لدى هؤلاء الشعوب² " ان اشكال العمارة الجنائزية في جوانبها الداخلية والخارجية توحى برغبة هذه الجماعات في الاحتفاظ بالروابط مع موتاهم، قد تكون هذه الروابط قائمة على عبادة الموتى وقد تكون من اجل استرضاء الارواح، ومهما اختلفت التفسيرات حول سبب اهتمام الانسان البدائي بالعمارة الجنائزية فانه يبقى دائما هناك هذا الثابت المتمثل في تكريم الموتى من خلال منحهم منزلا يليق بمكانتهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم العرقية وربما حتى إرادتهم.

تدل الرسومات الموجودة على السيراميك على حدوث تغير ثقافي لدى انسان هذه الحقبة بأن أصبح فنانا يعرض شخصيته والحيوانات المختلفة في بيئته، اضافة الى المعاني الرمزية التي

¹ Camps, G, Camps Faber, H, **La Nécropole Mégalithique De Dj Mezala A Bou Nouara**, Mémoire Du CRAPE, Paris, 1963, P 111.

² Ibid, P 113.

تحملها هذه اللوحات الفنية والتي يمكن ان تفسر برغبة الاحياء في توفير مناظر مبهجة لروح المتوفي داخل مثواه الاخير، خاصة ان المقابر احتوت على ادوات الزينة والحلي البرونزية التي يمكن تفسيرها على انها " بمثابة مهر يرافق المتوفى إلى وجهة جديدة، فهي ضمانة لتحقيق حياة أفضل في الآخرة وربما ليكون المتوفى في موضع ترحيب في عالم الآخر " ¹.

أما بالنسبة للبقايا الحيوانية المكتشفة في بعض البيئات الجنائزية، فيظهر تفسير قائم على أنها عبارة عن مخلفات طهي مجزأة ومحتركة تشكل جزءا من الوجبات الجنائزية التي تقدم خلال الطقوس بجانب القبر فالبعض يحرق لتقديمه كقربان والبعض يوضع بجانب الميت للتأكد من انه لن يحتاج شيئا خلال رحلته.

3.6. تافونومي الفترة الفينيقية

تتوزع المقابر البونيقية في القطر الجزائري على عدة مناطق ساحلية منها تيبازة جيجل والقل، ولقد امتازت عمليات الدفن الفينيقية باعتماد " غرف جنائزية محفورة تحت الارض ومجهزة بأثاث جنائزي متنوع تضمن المزهريات المغلقة والاكواب والاطباق والاباريق والمصابيح والجرار المرمية والمباخر والسيراميك المستورد اضافة الى المجوهرات الذهبية والفضية، كما وجدت الاسلحة متمثلة في رؤوس الرماح اضافة الى التماثم ولم تكن هذه الادوات موجودة عرضيا بل ان اغلبها مستوحى من التقاليد الشرقية والتي نقصد بها الحضارة الفرعونية ² ويطرح وجود " المرايا بالقرب من الجسد مشكلة في التفسير من الناحية الرمزية والطقوسية فلقد تم كسر غالبية المرايا عمدا، وهو ما يبدو أنه ينفي دورها كأداة للزينة " ³

¹ Ibid, P 113.

² Bénichou-Safar, H, Les Tombes Puniques De Carthage. Topographie, Structures, Inscriptions Et Rites Funéraires, CNRS, 1982, P 277.

³ Salim Drici, Op.Cit, P18.

يكشف لنا الفضاء الجنائزي للقبور الفينيقية عن عدة طقوس منها انه كان يتم تحنيط المتوفى وتعطير جثته بالزيوت والاعشاب العطرية وتتم كسوته بأجمل المجوهرات، مما يضفي مظهرا جماليا عليه ويتم وضع مصابيح الزيت التي تنير ظلمة القبر للحماية من الأرواح الشريرة اما وجود الخزف المستورد فيكشف عن المكانة الاجتماعية للمتوفى ومنه فان طبيعة الأثاث الجنائزي الفينيقي تؤكد اهتمام الفينيقيين بإحاطة موتاهم بالأشياء الأساسية في عالم الموتى وبالتالي محاولة الحفاظ على نفس المكانة الاجتماعية للمتوفى قبل موته قدر الإمكان، ووجود التماثيل دليل على الرغبة في حماية المتوفى بالطرق السحرية اضافة الى حماية غرفة الدفن لاحتوائها على معادن واثاث ثمين ومن الجدير ذكره ايضا ان الفينيقيين قد مارسوا الدفن وحرق الجثث معا، حيث وجد علماء الآثار ان اغلب عمليات الحرق كانت مخصصة لجثث الاطفال يتم حرق جثثهم ما عدا العظام التي تجمع وتوضع في جرار بعد صبغها بالمغرة الحمراء وتخزن هذه الجرار في الغرف الجنائزية.

4.6. تافونومي الفترة الرومانية

كشفت التنقيبات في المقابر الرومانية بسيتيفيس وتيازة عن مجمعات قبرية غنية بسمات لثقافات مختلفة فلقد امتازت المدافن بتنوع كبير امتزج فيها الدفن والحرق للجثث كما تنوعت انواع العمارة الجنائزية حيث لم تخلوا هذه العمارة حتى من الطراز الفينيقي السابق للحضارة الرومانية. ففي موقع المقبرة الغربية في تيازة عثر على العديد من المدافن ذات الاشكال المتنوعة نذكر منها:

" المدافن البسيطة: وهي قليلة العدد وتقع في حفر دون أي حماية وخالية من الأثاث الجنائزي.

الدفن في الجرار: كانت مخصصة لدفن الأطفال الذين يموتون في سن مبكرة.

المقابر تحت البلاط: يوضع الجثمان تحت صفوف من البلاط المائل.

المقابر الحفرية المغطاة ببلاطة: سواء تم حفرها في الأرض أو في الصخر، فإن البلاطة تحيط بالمقبرة

التابوت: وهو صندوق حجري والشكل الأكثر تعقيدا في هذا النوع هو التابوت المنحوت من الرخام الذي تتميز جدرانه الخارجية بمنحوتات لمناظر أسطورية.

المنسيات : هي بلاط حجري يعرض محتوى طقوس الجنازة المتعلقة بالولائم المخصصة لذكرى المتوفى وهو في الواقع تمثيل لطاولة توجد عليها أواني وقرابين تتمثل في وجبات السمك والخبز وغيرها من الاطعمة " ¹.

تخبرنا الأشكال المختلفة للمقابر في موقع تيبازة عن تعدد المعتقدات مما يدل على وجود مجموعات عرقية مختلفة ذات اصول جغرافية متنوعة تمكنت من التعايش معا لدرجة الدفن في فضاء جنازي واحد لكن لكل منهم هويته الثقافية الخاصة التي تعكسها طريقة الدفن وشكل المدفن. اما في مقبرة سيتيفيس الشرقية اكتشف روجر جيري وجود الاعداد من العلامات التي لها صلة إما بطقوس السكان الأصليين لشمال افريقيا الذين يطلق عليهم الليبيين او لها صلة بالثقافات الشرقية،

" ففي الديانة الليبية القديمة كان هناك علاقة بين عبادة بعض الحيوانات والنجوم والأموات فعبادة الكبش حقيقة مثبتة من خلال وجود صورته في النقوش الصخرية حيث تمثله الأساطير الأمازيغية كحيوان سماوي يمطر ويخصب النباتات " ² 35 ولذلك فإن ربط الكبش بالطقوس الجنائزية ليس عملا اعتباطيا ولكنه ضروري لادامة تقاليد الأجداد بالاضافة الى وجود أشكال

¹ Bouchenaki, M, Fouilles De La Nécropole Occidentale De Tipasa (1968-1972), Alger, 1975, P 168.

² Guery, R , La Nécropole Orientale De Sitifis (Sétif-Algérie), Fouilles De 1966-1967, Études d'Antiquités Africaines, CNRS, Paris, 1985, P 320.

نجمية أخرى وردت كرسوم خزفية مثل قرص الشمس المرسوم على المزهريات ضمن الاثاث الجنائزي.

وعلى ضوء هذه الملاحظات واستنتاجات التنقيب بمدينة سطيف، يتبين أن هذه المقبرة لسيتيفيس القديمة كانت مكونة من أغلبية من الأفارقة كما أن الكبش وغيره من العلامات التي تدل على الإله الامازيغي تدل على ثبات معتقدات السكان الاصليين وعدم قابليته للإزالة في بيئة تهيمن عليها الثقافة اللاتينية.

خاتمة الفصل:

ان ابرز ما يمكننا استنتاجه من هذا الفصل يتمثل في أن الطقوس هي أنظمة سلوكية معقدة، تقوم المجتمعات من خلالها بتحديث معتقداتها وقيمها ووظيفة، ودور هذه الأنظمة هو تنظيم علاقات الإنسان مع المقدس، لذا فإن الطقوس تتطوي في الأساس على أعمال جماعية تشمل فئة اجتماعية محددة، كما يمكن اعتبارها ممارسات اجتماعية رمزية تهدف إلى إعادة تماسك المجتمع وجمعه في الممارسات الطقسية، كما انها تساهم في بناء هوية المجتمع، وما يميز الطقوس سواء كانت جنائزية أم لا، هو تشكيلها وفق أنماط وممارسات متكررة يتم القيام بها في الاغلب لأغراض دينية وأخرى ثقافية، وتكمن فائدة هذه الأنظمة الرمزية في كونها تشكل الآليات الأنسب لتسهيل التواصل بين الأفراد والمجتمع في الأوقات التي تهدد استقراره كما تعمل على تعزيز روابط البناء الاجتماعي، بالإضافة الى ان قدرة الطقوس على تعزيز التكامل والتلاحم بين افراد الشبكة الاجتماعية هو ما يجعلها تعتبر كاستراتيجيات لاعادة تنظيم التمثلات وترسيخ المعتقدات، كما انها تعمل ايضا على هيكلة الانظمة التفاعلية للأفراد داخل الاحداث الحرجة.

الفصل الرابع:

الموروث الشعبي وطقوس الموت في الفن
العالمي

تمهيد:

يعتبر الموروث الشعبي وعاء للتاريخ والذاكرة التي تحفظ شخصية وهوية أفراد المجتمع، وبذلك يغدوا للموروث الشعبي فضل كبير في بناء الحضارة التي ينتمي اليها، ذلك انه يخزن ذاكرتها إذ يشكل جزءا كبيرا من المعرفة التي جمعتها أفراد المجتمع جيلا عن جيل، فهو توثيق لعلاقة المجتمع بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا الموروث.

ومنه حاولنا في هذا الفصل الوقوف على أنواع الموروث وخصائصه وأهمية دراسته بلاضافة

الى اشكال تعبير الموروث الشعبي العالمي عن حدث الموت والطقوس الجنائزية.

1. مفهوم الموروث الشعبي

1.1. الموروث الشعبي لغة

الموروث في اللغة من ورث أباه، وورث الشيء عن أبيه يرثه بكسر الراء فيهما ورثا ووراثه بكسر الواو في الثلاثة وارثا بكسر الهمزة واورثه اباه الشيء وورثه اياه وورث فلان فلانا توريثا، ادخله في ماله على ورثته، ورث بعضهم بعضا (توارثوا المال او المجد) الارث والوارث والوراثه والتراث نصادر، وهو ما يخلفه الميت من مال فيورث عنه، ويقال ورث العلم والصلاح ونحوهم ادركه وناله¹، يتضح لنا ان التعريف اللغوي حدد التراث كمصدر ولم يحدد نوعه مادي او معنوي لكن اكتفى بالعام اي كل ما يخلفه الاباء للابناء اي انه يحمل دلالتين هما النقل والاستمرارية ولقد " استخدمت كلمة ورث او تراث ومرادفاتها من مشتقات الجذر و.ر.ث ، في مفهومها القديم للدلالة على ما يورث من مال او حسب واقتصرت كتب اللغة والمعاجم فيما يبدو على هذا المفهوم ولم تتجاوز ذلك للدلالة على الموروث الثقافي كما هو عليه الحال بالنسبة لاستخدامها في الخطاب العربي المعاصر مما يشير الى ان استخدامنا لهذه الكلمة وفقا لمفهومنا الحالي لها، انما هو استخدام جديد ومغاير لما كانت عليه من قبل الا انه استخدام نابع من مفردات التفكير العربي المعاصر وليس دخيلا عليه كما يقول الجابري²

¹ محمد عباس ابراهيم، السياحة والموروث الحضاري، دار المعرفة الجامعية ، مصر، ط 1، 2013، ص 65.

² ابراهيم ابو طالب، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004،

2.1. الموروث الشعبي اصطلاحاً

فصل الجوهري في تعريفه للموروث الشعبي بقوله "انه يشمل المعتقدات والاغاني والرقصات واللغة والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي وتفسير العالم والقوانين التي تدير وفقها ظواهر الكون والقانون العرفي والمسكن والرسم والتصوير والنحت والعادات والعرف والفنون والحرف وأشكال السلوك في مختلف ظروف الحياة والادب الشعبي الثقافي المتناقل من جيل الى جيل وبالاختصار كل عناصر الحياة المادية والاجتماعية والروحية لاي مجتمع انساني"¹

أما لطفي الخوري فعرفه بقوله " إن التراث الشعبي ليس مجرد نزوة عابرة، أو تقليد أعمى كما أنه ليس تسلية كما يحلو للبعض أن يصفه؛ بل هو الاهتمام بعلم متكامل مبني على اسس علمية و واقع اجتماعي ملموس متأث من الإيمان بأن الشعب هو صانع للتاريخ، و هو الذي وضع الأسس الحضارية للمجتمع الذي يعيش فيه"²

ومنه يمكننا تعريف الموروث الشعبي بأنه ذاكرة جماعية تشكلت عبر السنين ينتمي الى ثقافة شعب ما ويعرف بهذه الثقافة فالموروث الشعبي يقوم بتعريف الثقافة من خلال مظاهره المادية والاعتقادية الطقوسية رغم قدمها، لكنها تتأقلم مع الاوضاع الجديدة بخلق رموز وتأويلات جديدة وبذلك يؤدي الموروث الشعبي وظائفه حسب خصائص كل فترة زمنية، يتمثل الموروث الشعبي في مجموعة السمات والعادات التي تدوم من جيل إلى جيل والتي تسمح لنا بالتعرف على المجموعة الاجتماعية وتأكيد إختلافها وتميزها.

¹ مجمد الجوهري، التراث الشعبي بين الفولكلور وعلم الاجتماع، مجلة التراث والمجتمع ، جمعية انعاش الاسرة،

لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، فلسطين، ، العدد الأول، أبريل 1974 ، ص 132.

² عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي، دار القصة للنشر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2002،

2. خصائص الموروث الشعبي

للموروث الشعبي خصائص متنوعة تميزه عن باقي الخبرات الانسانية سواء تعلق الامر بالأشكال التعبيرية، أو بالأنماط الفكرية ويمكن تلخيص اهم مميزاته في النقاط التالية:

1.2. خاصية مجهول المصدر

الموروث الشعبي دائما ما يكون مجهول المصدر فلا يعرف قائله ان كان قولاً ولا يعرف اول من مارسه إن كان طقساً أو أي ممارسة ثقافية كانت او اجتماعية وإنما تعتبر الموروثات " سواء كانت ابداعات فردية او جماعية على اختلافها وتنوعها، مساهمة واحدة موحدة للأجيال الإنسانية عبر تتابع الأزمنة والعصور، دون ان يتم نسبها إلى فرد بعينه " ¹ وفي السياق ذاته فإن " القاعدة العامة ترى أن كل ما هو معلوم مؤلفه لا يدخل ضمن التراث الشعبي " ² أي ان كل معرفة انسانية او ممارسة او طقس عرف صاحبه او اول من قام به لا يمكن اعتباره موروثاً شعبياً.

2.2. خاصية التغير والتحول

ما يميز كذلك الموروث الشعبي هو انه نتاج تغيرات عديدة وتحويرات فلا بد ان يكون لحاضر المجتمع الذي وجد فيه تأثير على شكل هذا الموروث ومثال ذلك ان " الموروث الشعبي القولي الذي وصلنا ليس هو أساطير وملاحم عربية قديمة، أو أساطير بابلية وفرعونية وإنما هو الأساطير والملاحم الشعبية التي صاغت ابداعات جديدة لتتلاءم مع روح المجتمع العربي الإسلامي الذي بدوره طورها لتتماشى مع خصائص عصره " ³ فلا يمكن ان نفهم ان التغير يكون كلياً لكنه يحدث بالموازاة مع احترام مقومات الهوية الفكرية للمجتمع المنقول له اذ انه من الصعب

¹ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1980، ص 106.

² بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000، ص 2 .

³ -فاروق خو رشيد، الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1992، ص 35.

جدا أن يقف الموروث الشعبي الشفهي عبر الاجيال والازمنة دون تغيير و تحول في سياقاته و دلالاته فالشعوب كثيرا ما تتفاعل فيما بينها فيؤثر بعضها في البعض الاخر في جميع مناحي الحياة واستفادة التراث الشعبي من باقي الثقافات العالمية مقرونة بأصالة الافراد و المجتمعات المتأثرة، و أصالة قوميتهم كي يتمكنوا من إصباغ النماذج الثقافية الواردة إليهم بأسلوبهم السلوكي الخاص الذي يتميزون به دون الولوج إلى شبهات التقليد الأعمى الذي يحجب الخصوصية الثقافية في تجليات السلوك لكل الافراد " ¹ و من ثم تجد الاضافات طريقها عبر الحقب الزمنية فتترك كل حقبة ميزتها و طابعها و طبعها " فتطفوا معاناة الافراد و مآسيهم في صراهم الطبيعي والازلي الذي لا مفر من خوضه ²

3.2. خاصية حامل للهوية الاجتماعية وحافظ للشخصية الثقافية

يعتبر الموروث الشعبي وعاء للتاريخ والذاكرة التي تحفظ شخصية وهوية أفراد المجتمع، وبذلك يغدو للموروث الشعبي فضل كبير في بناء الحضارة التي ينتمي اليها ذلك انه يخزن ذاكرتها إذ يشكل جزءا كبيرا من المعرفة التي جمعها أفراد المجتمع جيلا عن جيل، فهو توثيق لعلاقة المجتمع بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا الموروث، وبذلك فهو لا يعبر عن " وجدان الأفراد وتطلعاتهم فحسب وإنما يعبر عن وجدان الجماعة، إذ يعتبر الموروث بكل ما يحمل من أشكال ومضامين بمثابة الكاشف الوجداني الجماعي لهوية المجتمع، كونه يمثل جزء من ذاكرته الجماعية التي يختزلها في معتقداته ويمارسها في سلوكاته وطقوسه " ³ وما تشبث المجتمعات بموروثها

¹ بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 26.

³ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ط 3، 1981، ص 4.

وتمسكها به إلا لأنه " روحها التي تحمل مقوماتها وتاريخها فالأمة التي تتخلى عن روحها وتهدم مقوماتها وتعيش بلا تاريخ لا يصبح لها وجود " ¹ لذلك يغدوا التمسك بالموروث الشعبي سبيلا للحفاظ على الهوية الثقافية والأصالة الحضارية.

4.2. خاصية متوارث وقابل للإرث

تقوم بحمل الموروث الشعبي وتتناقله الأجيال الإنسانية في ترابطها وتعاقبها وبذلك يكون متوارثا وقابلا للإرث في ان واحد وذلك بحكم التقادم والانتقال فالموروث الشعبي " تتعاقب عليه الأجيال بما يحويه من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال، تتناول في مجملها مظاهر الحياة العامة والخاصة وطرائق الاتصال بين الأفراد والجماعات، للحفاظ على العلاقات الاجتماعية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة منها معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية " ² فالمحافظة عليه والحرص على تناقله سببه اهميته في تفعيل التواصل بين افراد المجتمع وتقوية العلاقات في مختلف المناسبات فمن بين طقوس الجنازة تفرض التقاليد مساعدة اهل الميت بإحضار مختلف الاطعمة كنوع من التكافل والتآزر الاجتماعي.

5.2. خاصية عامل تأثير فعال في باقي عناصر الحضارة

نريد أن نؤكد هنا على مدى تأثير الموروث الشعبي في الحضارة والثقافة العامة لأي مجتمع وجد فيه " فإذا أخذنا بعض العناصر التي توجد في ثقافتنا وحضارتنا مثل آداب السلوك وشعائر المآتم وتقاليد الزواج وطقوس الموت والاعتقاد بالقوى الغيبية وغيرها، ثم قمنا بتحليل هذه العناصر على نحو تفصيلي، استطعنا من خلالها أن نتبين النمط الثقافي العام، الذي تقوم عليه حضارتنا وسنجد

¹ ناصر الدين الأسد، التراث والمجتمع الجديد، مطبعة العاني، بغداد، 1965، ص 11.

² بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1986، ص 15.

عندئذ مدى تأثير الموروث الشعبي في هذه الحضار " ¹، فاذا اخذنا عنصر الاعتقاد في فعالية السحر خاصة اذا كان من بين مستلزماته شيء من أثر الميت، ان فهمنا لهذا الاعتقاد وحضوره الدائم في طقوس الدفن في مجتمعات كثيرة يمكننا حينها فهم ممارسات طقسية اخرى توازي هذا الاعتقاد وتحمل دلالات الرغبة في الحماية.

ومما سبق ذكره تبرز لنا اهمية دراسة الموروث التي لا تكون بالجمع والتدوين فقط وانما وجب وقوف الباحثين على تحليل هذا الموروث للوقوف على ابعاده الثقافية والاجتماعية وغيرها لتحديد وظائفه داخل النسق العام للبنية الاجتماعية ومدى تأثيره في التركيبة العامة للمجتمع التي تنعكس بدورها على هويته وبذلك نقول ان مفهوم الموروث الشعبي واسع ومرن ويتميز بخصائص نحاول حصرها فيما يلي:

- يشمل المعارف التقليدية لشعب ما
- يمثل هوية أمة ويميزها عن غيرها
- موضوع خصب لميدان الانثروبولوجيا الثقافية اذ يحوي كل التعبيرات الاجتماعية والعادات والجوانب الاعتقادية للمجتمع
- يحمل الجانب العلمي الغير مكتوب حول الثقافات البشرية المختلفة
- ينتقل من جيل الى جيل وينقل معه المواقف التاريخية لفئة اجتماعية معينة
- وهو قديم تحافظ الجماعة من خلاله على انتمائها لاسلافها وهو في نفس الوقت تجريبي قائم على المعتقدات والتجارب وليس على حجج منطقية ولا براهين علمية

3. أنواع الموروث الشعبي

¹ لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1979، ص 3 .

التراث الشعبي متنوع ومتنوع و هو غني بضرابه، إذ يجمع كل تفاصيل حياة الأجداد ويمكننا أن نقسمه إلى عنصرين رئيسيين هما التراث المادي والتراث اللامادي فهو " يشمل الجانب الملموس المادي المتمثل فيما أنتجه السابقون من مباني ومدن و أدوات و غيرها، و الموروث غير المادي من المتمثل في المعتقدات والعادات والطقوس وغيرها " ¹، ان هذا التنوع تفرضه الحاجة الانسانية لان الموروث هو نتاج خبرات المجتمع التي اكتسبها خلال اجيال والتي وظيفتها لسد حاجياته المادية والمعنوية معا.

1.3. الموروث الشعبي المادي

صنف علماء الفولكلور الموروث الشعبي المادي على انه " رصيد التكنولوجيا و المصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية و التي تتضمن العناصر التي أنتجها الانسان كأغراض الزينة و الفن و الطقوس " ² أما سعد سالم فقد رفض هذا التصنيف لاعتبار التكنولوجيا من الموروث وقدم تعريف أكثر دقة وهو ان الموروث المادي هو " مجموعة من وسائل تقنية كان الدافع الاول الى اختراعها هو تطوير وسائل الحياة المعيشية التي يحتاجها الانسان ليضمن الرفاهية والأمن ووسائل التكيف مع المحيط " ³

اما ايكة هولتراكس فيعرفه بانه يشمل " كل ما يتعلق بالسلوك الشعبي المنظور وليس المسموع وهو يشمل في ذلك كل التقنيات والمهارات المتوارثة خلفا عن سلف فيما يخص الحرف اليدوية والصناعات التقليدية ونمط الملابس والمأكل المسكن و ادوات الصيد والقنص وطريقة حفظ الغلال

¹ عبد الحميد بورايو وآخرون، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مرجع سبق ذكره ، ص 3.

² فانتن محمد الشريف، الثقافة و الفولكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ط2، 2008، ص21.

³ سعد سالم، التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، أريد ، الأردن، ص 21.

ودفن الأموات وما الى ذلك من الاشياء التي تتم صناعتها يدويا وبطريقة تقليدية متوارثة عبر الاجيال¹ اي ان هولتراكس هو الآخر رفض ادخال عنصر التكنولوجيا في الموروث واكتفى بتحديد عناصر الموروث المعتمدة اساسا على الصناعات اليدوية فقط.

اولا: الصناعات التقليدية

الصناعة الحرفية التقليدية نقصد بها تلك الصناعات المحلية المتوارثة عن الاجداد " التي تقام في ورشات فنية صغيرة و تعتمد على القوة العضلية و المهارات الفنية اليدوية، وهي تلك الثقافة التي تواصل بها المجتمع مع بيئته، و تعتبر وعاء واقيا للثقافة الشعبية التي استطاع الصانع التقليدي بفعل التغيير الناتج في المجتمع أن يبرز بعض الأشكال الجديدة التي هي أسس حتمية ناتجة من المسار الثقافي للمجتمع التقليدي"²

فالصناعة الحرفية التقليدية كما عرفها المشرع الجزائري هي كل صنع يغلب عليه العمل اليدوي، و يستعين فيه الحرفي أحيانا بآلات لصنع أشياء نفعية و تزيينية ذات طابع تقليدي و تكتسي طابع فنيا ينقل مهارات عريقة.

ثانيا: اللباس التقليدي

نقصد باللباس بمعنى الثياب أو الرداء، و هو كل ما يستر و يحمي و يتزين به جسم الانسان و تختلف استعمالاته باختلاف الافراد و المجتمعات و يتمثل كاستجابة لمتطلبات بيئية و نفسية و اجتماعية و تتحكم فيه عوامل ثقافية و اقتصادية حيث تعتبر الملابس من أهم المستلزمات و

¹ ايكه هولتراكس، قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا والفولكلور، ت محمد الجوهري و حسن الشامي، دار

المعارف مصر، 1973، ص 248.

² بوساليم الصالح، الصناعة التقليدية، كلية الاداب و العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة ابو بكر بلقايد

تلمسان 2001/2001، ص 08.

الضروريات الشخصية اليومية، و في نفس الوقت تؤثر في النشاط الاجتماعي لذلك " فهي مادة راسخة في الحياة الاجتماعية و الثقافية في أي عصر، و لكن طرق تصميم الملابس و كيفية ارتدائها تبقى دائما محددة ومقيدة من قبل ثقافة المجتمع " ¹، فاللباس يختلف من طبقة اجتماعية الى اخرى ومن شكل وظيفي الى اخر، وبالإضافة الى قيم المجتمع وبنائه فان البيئة الجوية والجغرافية هي الاخرى تفرض انواع مختلفة من الملابس.

ويعتبر اللباس التقليدي الاصيل من المقومات الثقافية التي تعكس انتماء حضاري وأعراف تراثية تؤكد على استمرارها من خلال تمسك الافراد بنوع من الملابس لابرار التميز والهوية التي يحملها هذا الموروث الشعبي الذي يعمل كبطاقة تعريف تحافظ عليها الاجيال المتعاقبة للتعبير عن حضارة المجتمع او المنطقة لان " اللباس التقليدي في الاخير هو مظهر ثقافي وحضاري يمثل هوية المجتمع الشعبية ويرمز الى الاصاله والعراقة التي تميز مجتمع عن غيره " ²، لذلك نجد ان اغلب المجتمعات يحرص افرادها على ارتداء ملابس تقليدية خلال المناسبات والطقوس وكل ما من شأنه ان يكون جامع للعديد من الافراد.

ثالثا: الطبخ التقليدي

جاء الاهتمام بالطبخ التقليدي من خلال ان " الطعام التقليدي يوصف بأنه حامل للذاكرة الجماعية وبذلك يوفر للباحثين مادة جيدة للتحليل الاجتماعي الانثروبولوجي " ³ فاتجهت الدراسات نحوه من

¹ عليا عابدين، دراسات في سيكولوجية الملابس، مدينة نص، دار الفكر العربي، ط2، 2006، ص16.

² الجباري عثماني، مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن

19، ص 03.

³ عماد صولة، هوية الطعام وطعام الهوية، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر،

2021، ص 253 .

اجل استكشاف هذه الخصوصية التي يحملها الطعام وطرق طهيه والطرق التقليدية لتخزينه والتي تحمل في طياتها مميزات الشخصية الثقافية لصانعيه ولكل ما اختزنته الذاكرة الجماعية ومع " تفجير مسألة الهوية منذ بضع عقود اخذ الاهتمام بالطعام شحنة جديدة، حيث صار ينظر اليه بوصفه مكرسا لتقاطعات اجتماعية واثنية وثقافية مما مهد السبيل لإعادة اكتشاف الذاكرتين المطبخية والغذائية وغني عن الشرح دور الذاكرة في تركيب الهوية واستمرارها ¹ فانتت البحوث الانثروبولوجية لاستكشاف تأثير الغذاء في القضايا اليومية مثل حمله دلالات رمزية عن الطبقات الاجتماعية ففي اواخر القرن الثامن عشر مثلا " تبنت الطبقة العليا في اوروبا استخدام ادوات معينة لتناول الطعام ووضعت طرق محددة لتقديمه فملاعق الحساء وسكاكين السمك وسكاكين اللحوم توضع على جهات مختلفة من جانبي الصحن اما الملاعق او الشوكة او السكين المخصصة للحلويات فتوضع فوق الطبق " ² وهذه الاجراءات مورست من اجل تمييز طبقة النبلاء عن العامة لهذا ولأسباب كثيرة اهتم علماء الانثروبولوجيا بالعلاقة بين الآكل والمأكول فألغوا المسافة الفاصلة بينهما بناء على ان حقيقة الانسان مشروطة بالغذاء لكن ماهية هذا الاخير محددة ثقافيا وذلك لان ممارسات الطهو التقليدي ليست ممارسة مادية تقنية بقدر ما هي رمزية تنقل الطعام من المادة الى ما اطلق عليه عماد صولة بالقابلية الثقافية للاستهلاك.

رابعا: العمارة التقليدية

¹ المرجع نفسه، ص 254 .

² Moriah Maresh, Food Studies And The Reemergence Of Lévi-Strauss Structuralism In Literary Criticism, Verbeia, 2022, P 65.

عرف كبار المعماريين العمارة التقليدية من بينهم برنارد رودوفيسكي " بانها نتاج معماري بدون متخصصين او مهندسين معماريين "¹ وهذا التعريف يمتاز بالعمومية ولا يوضح خصائص العمارة الشعبية بدقة بل يكتفي بذكر المستوى العلمي للقائمين على البناء ولقد اضاف كريستوفر تعريف اخر مفاده " بان العمارة التقليدية هي عمارة بدائية مميزة عن الحضارات الاخرى حيث تلعب الرابطة الاجتماعية دورا مهما في بنيتها الاجتماعية والشعبية "² هذا التعريف الذي اضاف ميزتان مهمتان في هذا النوع من العمران ويتمثلان في البصمة الحضارية للطابع العمراني اضافة الى الخاصية الديموغرافية التي تراعيها بنية وتركيبه البناء التقليدي حيث يخصص للعائلة الموسعة ولا يقتصر كما هو الحال اليوم على العائلة النووية فقط.

اما حسن فتحي فيرى ان العمارة التقليدية هي " العمارة التي تحترم وتراعي البيئة الطبيعية وخصوصيتها وظروفها المكانية والزمانية والاجتماعية فضلا عن معطيات الجغرافيا والواقع المحلي بما ينتج بالضرورة عمارة اصلية معبرة عن متطلبات واحتياجات واقعه الحضاري والثقافي "³ ومنه فان العمارة التقليدية هي البناء المعبر عن ثقافة المكان ويعكس احترام الاجيال القديمة للبيئة المحيطة بهم بالمحافظة على نقائها من التلوث لتبقى مقبولة اجتماعيا وحاملة لمميزات شخصية ثقافة سكانها، ولقد طرحت مجموعة من المصطلحات لوصف الناتج العمراني التقليدي وتأرجحت هذه المسميات بين العمارة البدائية والعمارة العامة العمارة الثقافية العمارة الشعبية العمارة المحلية .

2.3. الموروث الشعبي اللامادي

¹ هشام عثمان، محمد صالح، التقنيات المعمارية في العمارة التقليدية وكيفية الاستفادة منها في خفض

استهلاك الطاقة في المبني، جامعة الازهر، 2016، ص 4.

² المرجع نفسه، ص 5.

³ المرجع نفسه، ص 5.

هو ما يطلق عليه بالتراث الفكري والذي " يتجلى في كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكيلات وتنويعات التراث الإنساني باعتباره الموروث الثقافي الممارس الحي والمتنقل عبر الاجيال من خلال حامله وممارسي عناصره الاساسية فهو مرتبط بشكل مباشر بهوية مبدعيه

1»

و يتمثل في الصور الفكرية أي الصور التي " ترتسم في ذهن الانسان و هو يواجه لغز الوجود محاولا فهمه في مختلف مراحل حياة الفكر البشري و اضطراباته، فيما يظهره على السطح و فيما يخفيه في أعماق شعوره في أمانيه و خيبته في فرحه و حزنه في تفاؤله و تشاؤمه هي صور فكرية لا تعرف التوقف أو السكون سبيلا " ² وبذلك فانه يقصد بالتراث اللامادي كل ما ابتكره الانسان و استخدمه في تفسير سلوكه وأفعاله و توجيهها، وهو عبارة عن مجموعة من السمات الثقافية الغير ملموسة المتمثلة في المهارات الفنية والمعتقدات واللغة و غيرها، مما تناقله أفراد المجتمع من السلف إلى الخلف و بالتالي فهو تعبير عن المظهر الفكري والإيديولوجي للتفاعل الإنساني.

اولا: المثل الشعبي

المثل الشعبي هو اقدر انواع الادب الشعبي على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة ذلك انه قول موجز يحمل في معناه حكمة شعبية هي في كثير من الاحيان خلاصة تجارب يعبر عنها في المثل لأخذ العبرة من تجارب السابقين، ولقد اهتم الباحثون الاجتماعيون والادباء ناهيك عن الانثروبولوجيين بالمثل فعرفه الباحث محمد عيلان بقوله " المثل هو الذي له مورد اي الحالة التي ورد فيها اول مرة ويلخص حادثة وله مضرب اي الحالة المشابهة للحالة التي قيل فيها اول مرة

¹ طلال معلا، التراث الثقافي غير المادي تراث الشعوب الحي، مداد مركز دمشق للابحاث والدراسات، سوريا،

² سعيد سالم، التراث الجزائري نمودجا، مرجع سبق ذكره، ص 15.

بمعنى ان قائله استطاع استيعاب التجربة وادرك علاقتها بما يحدث للانسان من مفاجآت الحياة التي يتصور وقوعها، كما ان المثل ينشأ ليعبر عن حادثة اصلية وتكرر الجملة الملخصة لها بتكرار الحادثة للعبارة او للتحذير سواء اعرفت قصة الحادثة الاولى او لم تعرف " ¹ ومنه نستخلص ان المثل حكمة في تعبير موجز هي خلاص تجربة شعبية تناقلها الافراد من اجل الاستفادة من تجارب السابقين فهو من الوسائل التربوية الشعبية التي تساعد على تقويم السلوك.

ثانيا: الألغاز الشعبية

اللغز الشعبي من الاشكال الادبية الشعبية المنتشرة بكثرة وهو " شكل ادبي شعبي قديم قدم الاسطورة والحكاية الخرافية كما انه يساويهما في الانتشار " ² فليس اللغز اذن مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها من اجل الترفيه وانما هو شكل ادبي قائم بذاته يحتاج الى اعمال العقل ويحمل بين ثناياه تلاعب الطابع التعليمي من خلال التلاعب بالألفاظ والمعاني

ثالثا: الاسطورة

الأسطورة ظاهرة من أهم الظواهر الثقافية الإنسانية " تميزها خصوصيتها الادبية والفنية لانها تحمل خيالا بشريا واسعا فهي حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية وهي بذلك مادة غنية تساعدنا على فهم وتفسير ظواهر الثقافة الإنسانية " ³

والأسطورة تكشف القداسة التي يرغب الانسان في اكتشافها " لأنها تحكى النشاط الخلاق للآلهة وتكشف قداسة عملها وبعبارات أخرى تصف الأسطورة الانقطاعات المختلفة والمأساوية أحيانا للمقدس في العالم ولهذا السبب لدى الكثيرين لا يمكن للأساطير أن تروى بلا مبالاة، فالأسطورة

¹ محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 88.

² نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الادب الشعبي، مرجع سبق ذكره، ص 178.

³ فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، مرجع سبق ذكره، ص 08.

في غالبها تظهر كيف أن حقيقة الشيء قد جاءت إلى الوجود، سواء كان هذه الحقيقة الكلية أو جزءا منها فقط " ¹

إذا فالأسطورة هي سرد رمزي عادة ما يكون من أصل تقليدي غير معروف ويرتبط ظاهريا بأحداث فعلية أو مجازية وفي الغالب تكون ذات طابع ديني، وتقدم الأسطورة أحداث موثوقة بغض النظر عن مدى تعارضها مع الواقع فإن السلف الأسطوري يلقي قبولا داخل المجتمع الذي يعتبره تراثا ثقافيا يجب المحافظة عليه.

رابعاً: الاغاني الشعبية

تعد الأغنية الشعبية رمزا من رموز الثقافة يحمل عاداتها وتقاليدها وهي تختلف عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبي في كونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معا لا عن طريق الكلمة وحدها.

و يفسر هذا القول أحمد صالح رشدي عندما يتحدث عن جماعية الأدب الشعبي التي تعد الأغنية الشعبية جزءا منه، فيقول " إن العمل الأدبي مجهول المؤلف لا لأن دور الفرد في إنشائه معدوم، ولا لأن العامة اصطَلَحوا على أن ينكروا على الخالق الفرد حقه في أن ينسب إلى نفسه ما يبدع بل لأن العمل الأدبي الشعبي يستوفي أثرا فنيا يوافق الجماعة وجرى على عرفهم من حيث موضوعه وشكله، ولأنه لا يتخذ شكله النهائي قبل أن يصل جمهوره شأنه شأن الأدب المدون وأدب الفصحى، بل يتم الشكل الأخير من خلال الاستعمال والتداول " ²، فالأغنية الشعبية بذلك ترتبط بمحيط وبيئة المجتمع الذي وجدت فيه فنجد الاغاني الشعبية الصحراوية تحمل معاني البيئة الصحراوية وتنقلها الاجيال بتكرارها في المناسبات وطقوس الزواج والميلاد واهم ما يميز الاغنية

¹ مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، دار دمشق للطباعة والنشر، 1988، ص75.

² أحمد صالح رشدي، الأدب الشعبي، دار المعارف، مصر، 2013، ص 16.

الشعبية هو انها تحافظ على العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بالجماعة الشعبية وهي تعبير عن آلام الجماعة وحزنها كما تعبر عن فرحها ومصدر افتخارها.

4. أهمية دراسة الموروث ووظائفه

يعرف عبد السلام المسدي عملية توظيف التراث على أنها " نوع من أنواع التناص وهو يحدث بصورة مقصودة وواعية وتستخدم فيه مواد التراث لنقل رؤى وأفكار معاصرة، ولا يعد ناضجا مالم تحمل موضوعات تراثية أبعادا معاصرة، وتوظيف التراث هو عملية مزج بين الماضي والحاضر في محاولة لتأسيس زمن ثالث منفلت من التحديد، هو زمن الحقيقة في فضاء لا يطوله التغيير"¹، أي عملية توظيف التراث تكون بالمحافظة عليه في قالب عصري أي بجمعه وتدوينه وتصنيفه مع اضافة ما يمكن ان يحول دون اندثاره وتتم عملية المحافظة عليه واعادة تجديده على مستويين اثنين حددهما الجابري بقوله " ان التعامل مع التراث يتم على مستويين اثنين هما على مستوى الفهم وذلك باستيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه وتياراته ومستوى التوظيف أو الاستثمار أي البحث عن ما يمكن استثماره في حياتنا الراهنة "²، فبعد عملية الجمع والتدوين وضمان المحافظة على الارث الشعبي تأتي بعدها عملية البحث فيما يمكن استثماره بأشكال جديدة تخدم متطلبات الحياة العصرية.

1.4. عامل ربط الماضي بالحاضر

لا تزال العديد من الأساطير والحكايات الشعبية تؤثر على الثقافة الحديثة سواء من خلال وسائل الإعلام الشعبية، أو الإعلانات أو غيرها من أشكال الاتصال و يمكن أن تساعدنا دراسة هذه القصص في فهم كيفية استخدامها وتفسيرها اليوم، فدراسة الموروث يعزز فهمنا للرسائل المبطنة

¹ عبد السلام المسدي، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، مجلة العربي، الكويت، 1993، ص 85.

² محمد الجابري، نحن والآخر، دار الطليعة ، 1982 ، ص 67 .

التي تنشرها وسائل الاعلام المعاصر حيث استفحل استخدام الرموز الثقافية من اجل الهيمنة الفكرية.

2.4. مصدر إلهام للأعمال الإبداعية

لقد ألهمت عناصر الموروث الشعبي عددا لا يحصى من الأعمال الفنية والأدبية والموسيقى عبر التاريخ، لذلك فان دراسة هذه العناصر يمكن أن تساعدنا على فهم السياق الثقافي لهذه الأعمال وتقدير قيمتها الفنية.

3.4. عامل لتطوير مهارات التفكير النقدي

غالبا ما يحتوي التراث الشعبي مثل الالغاز والامثال، على اشكال رمزية واستعارة معقدة والتي يمكن أن تتحدى تفكيرنا وتساعدنا على تطوير مهارات التفكير النقدي كما يمكنها أيضا مساعدتنا في تعلم التشكيك في الافتراضات والتدقيق في وجهات نظر متعددة.

4.4. مساعد لدراسة الموضوعات العالمية

تحتوي العديد من الأساطير والحكايات الشعبية على موضوعات عالمية لا تزال ذات صلة بواقعنا المعاصر، مثل الخيانة والقوة والشجاعة فالاطلاع على هذا الارث الشعبي يمكن الباحثين من فهم هذه المواضيع وادراك كيفية ارتباطها بالحياة الفردية والاجتماعية.

5.4. مساعد لفهم التراث الثقافي

تعتبر كل ثقافة شعبية اصيلة جزءا مهما من تراث العديد من الثقافات والاطلاع عليها يقترب بالباحث من فهم معتقدات هذه الثقافات وقيمها وتقاليدها ويمكنهم أيضا أن يقدموا نظرة ثاقبة حول تفسير البشر في الماضي للعالم وظواهره، كما ان الحفاظ على هذه الموروثات هو دعوة لتأصيل الحاضر لكي لا يكون مبتورا عن بعده التاريخي الذي يحمل تعبيرا مميزا عن قضايا المجتمع فالموروث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية للمساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته.

6.4. عامل للحفاظ على الهوية الوطنية

واجهت الأمة العربية من قبل الاستعمار محاولات عديدة لطمس الموروث الشعبي الاصيل فارادت احداث قطيعة مع الماضي " بعزل الجماهير عن تراثها الفكري والعلمي والنضالي، وتشويه عبقريتها في الفكر واللغة"¹، لكن افراد المجتمع وبفضل تطور وعيهم ظلوا متمسكين بكل اشكال الموروث وثبتوا على موقفهم لمعرفة مكانة الموروث الثقافية فالتمسك بالتراث وتوظيفه ليس مجرد العودة إلى الوراء بقدر ماله من أهمية في مقاومة الغزو الفكري والاستعماري.

5. مستويات التراث الشعبي

ان المتقضي للدراسات النظرية والميدانية الخاصة بالموروث الشعبي سيجد عدة تصنيفات لمستويات الموروث الشعبي لكننا هنا اعتمدنا التصنيف الاكثر تداولاً بين علماء وباحثي التراث والذي كان كالآتي:

1.5. المعتقدات والمعارف الشعبية

المعتقدات الشعبية ضمن منظور التحليل الانثروبولوجي " هي عبارة عن بقايا أساطير اندثرت وبقي أثرها مستمرا عبر العصور نتيجة تمسك الإنسان بها خوفاً من المكروه، وطمعا في جلب الرزق والخير، كما أنها قد تكون بقايا وثنية لها علاقة بمستوى الطبقات التي تؤمن بها "² هذا التعريف ينطبق على ما اصطلح عليه الدين البدائي في النظرية الأرواحية لتايلور والتي تفسر نشأة الدين بوجود اعتقاد في قوى غيبية تتحكم في مصير الإنسان وتجلب له النفع وتبعد عنه الضرر انطلاقاً من عدم فهم الإنسان البدائي لقوانين الطبيعة وخوفاً من ظواهرها كالزلازل والبراكين فقام

¹ طراد الكبيسي، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، ص 47.

² فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، مرجع سبق ذكره، ص 11.

بعبادتها في شكل ممارسات طقسية، هذه الأخيرة ولأجل المحافظة على استدامتها وتكرارها من جيل لآخر تم ربطها بأصل اسطوري لتبقى هذه الطقوس في اذهان الفاعلين لها.

لهذا يختلط مفهوم المعتقد الشعبي بمفهومه الأسطوري بحيث لا يمكن فهم دلالات المعتقد الشعبي ببتره من جذوره التاريخية وابعاده الميثولوجية وتتميز المعتقدات الشعبية بعدة خصائص ذكرها الجوهري فيما يلي " انها حبيسة صدور الناس، وتلقن من الآخرين يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا وهي مع تمكنها من اعماق نفوس الانسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفين والحضر و حتى عند المتقنين "¹ أي ان المعتقدات الشعبية هي نتاج وعي الانسان لمحيطه الثقافي وهي بالإضافة إلى ذلك تكشف عن جوانب مختلفة من حياة المجتمع ومراحل تطوره لأنها تحمل إرثه الثقافي الذي صنعه أجياله في تواصلها مع بعضها البعض.

2.5. العادات والتقاليد الشعبية

العادات هي " الماضي الذي يعيش في الحاضر، وهي وحدة تاريخية تجمع الشعب داخل دائرة الأصل الواحد، وتكاد تكون عادات الشعب ديناً ضيقاً خاصاً به، يحضر في قبيلته ووطنه ويحقق لأفراده الألفة والتشابه بمذهب واحد هو إجلال الماضي "² اما التقاليد فهي " مجموعة من الممارسات تحكمها قواعد ذات طابع نفسي أو رمزي، تكون هذه القواعد مقبولة علنياً أو ضمناً، وتسعى إلى غرس قيم ومعايير سلوكية معينة من خلال التكرار، وهو ما يعني التواصل مع الماضي " ³. ولو تحدثنا عن أنواع العادات لوجدنا أن أحدهما ينشأ من تفاعل الجماعة مع العالم الخارجي والآخر ذاتي، يتصل بالأساليب التي يكونها الفرد من خلال ممارسة شؤونها الخاصة " وللعادات وظائف متنوعة منها الاجتماعية، التي تتمثل في الترابط العضوي بين أعضاء الجماعة

¹ محمد الجوهري، التراث الشعبي بين الفولكلور وعلم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 134.

² المرجع نفسه، ص 135.

³ أحمد لطفي، اختراع التقاليد، دار الكتب الوطنية، أبو ضبي، ط1، 2013، ص 07.

وتنظيم العلاقات فيما بينهم والتمايز عن الأجانب، ومنها الاقتصادية كاختصار المجهود والزمن ومنها الأخلاقية كتوجيه سلوك الفرد وتقويمه¹.

كما تعتبر العادات " الجانب السلوكي من الفلكلور باعتبارها الجانب الفكري والفني، فهي ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، وهي " حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي وتصادفها في كل مجتمع تؤدي الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة عند الشعوب البدائية مثل عند الشعوب المتقدمة، وتصنف العادات والتقاليد الشعبية البدائية إلى ثلاثة أقسام ميلاد وزواج ووفاء، ثم الأعياد والمناسبات المرتبطة بدوره العام ثم الفرد في المجتمع المحلي"²، فمن العادات الشعبية المعروفة في مجتمعنا نذكر عادات الأعياد مثل عيد الأضحى والفطر، والمناسبات المختلفة منها الزواج والوفاء.

3.5. الفنون الشعبية

تعددت وتنوعت تسميات الفنون الشعبية حيث يطلق عليها اسم "الفنون الأهلية نسبة إلى اتصالها بالشعب والأهالي وبعده عن الفنون الرسمية، كما أطلق عليها اسم الفن الدارج تميزا له عن الفن المثقف الحضري، إذ يفيض الفن الشعبي عن خاطرة الجماعة الإنسانية بالتعبير التلقائي، أما الفن الحضري فيفيض عن عاطفة أفراد موهبين نالوا قسطا من التعليم والتنقيف، وأيضا سمي بالفن الريفى لارتباطه بالريف وخاماته، وأحيانا بالفن الفطري لما يحويه من فطرة ظاهرة، وتعبير ساذج بسيط وأطلق عليه بالفن الشعبي، لأنه وليد الشعب والحياة الشعبية مصدر الإلهام والإيحاء للفن الشعبي"³.

¹ عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص 12.

² إبراهيم أبو طالب، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، مرجع سبق ذكره، ص 46.

³ حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية، المكتب الجامعي الحديث، 1993، ص 106.

4.5. الادب الشعبي

ان تحديد ماهية الادب الشعبي تعرضت للكثير من النزاعات من طرف النقاد ودارسي الادب غير اننا نجد ثلاث تحديدات اتفق عليها علماء الادب متأثرين بنتائج الابحاث الفولكلورية ومنه فانهم " استنتجوا أن الأدب الشعبي لأية أمة هو أدب عاميتها التقليدي الشفهي مجهول المؤلف المتوارث جيلا عن جيل، ومؤدى هذا الرأي إسقاط أدب العامة الحديث الذي أذاعته المطبعة ووسائل النشر الحديثة والأخرى من مسرح وإذاعة وسينما لأنه لا يتوافر فيه ركنا تجهيل المؤلف والتوارث التقليدي " ¹. اذن الادب الشعبي عصارة اعمال فنية لأجيال سابقة ومتعددة فلا يعرف مؤلفه من كثرة التداول وازدادة الخبرات والتجارب الشعبية لهذا النوع من الادب ومنه يعبر عن ذاتية الشعب وهويته بصبغة عامة تبتعد عن الفصحى ولغة المنقنين لتحمل تمثلات الشعبي اتجاه بيئته وقضاياها الاجتماعية في قالب ادبي مميز.

6. الطقوس الجنائزية في الموروث الشعبي العالمي

يدرس التراث الشعبي لفنون الموت كيفية ترجمة الفن لطقوس الجنازة عبر التاريخ فلقد كان الشعور بالنهاية والتوتر الناتج عن التفكير في الموت المحتوم هما أهم المخاوف الفطرية لدى الإنسان فتولدت فنون الموت من هذه الشكوك والرغبة العميقة في فهم دائرة الحياة الكاملة، ولقد قدمت الاعمال الفنية تذكارات ولوحات عالمية لفهم افضل للحياة ما بعد الموت، فهي لا تمثل مجرد لوحات مليئة بالجماجم والزهور المتحللة وصور داكنة لشخصية قابض الارواح، بل ان صور فن الموت هي أشكال ابداعية تحمل تصورات البشرية حول الموت عبر فترات التاريخ وبأشكال ثقافية

¹ أحمد رشدي صالح، الادب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2 ، 1971 ، ص 14.

متنوعة " ففن الموت للأحياء هو مظلم مخيف وشعبي "¹ ولقد تم إنشاء العديد من صور فن الموت لغرض وحيد هو الراحة والتأمل في الحياة نفسها.

فالموت هو أحد أكثر المواضيع انتشارا في تاريخ الفن العالمي اذ تصور لنا العديد من الاعمال الفنية طقوس الانتقال الى الحياة ما بعد الموت، فغالبا ما يشير هذا النوع من الاعمال الفنية الشعبية الى الموت باعتباره تذكيرا أليما بالأيام المعدودة وحافزا قويا للعيش بشكل جيد قدر الإمكان، ففي كل موروث شعبي طقوس تحيط بالموت وتظهر في الأعمال الفنية على شكل أيقونات وألوان وحتى ساعات رملية وزهور ذابلة كما عند الهولنديين او طائر الوقواق عند اليابان، كلها رموز تحمل دلالة ضيف غير مرحب به وهو الموت، وقد تفرعت الاعمال الخاصة بالموت في الفن العالمي الى مجالين مجال يطلق عليه أعمال الفانيتاس ومجال اخر يطلق عليه تذكارات موري او تذكر أنك ستموت.

1.6. اعمال تذكارات موري

تهتم اعمال تذكارات موري او " تذكر أنك ستموت " باللغة والثقافة معا والخاصة اساسا بالطقوس الجنائزية المستمدة من دراسة اثوغرافية لشواهد القبور المكتوب نصها باللغة اللاتينية القديمة، حيث يعبر عن ذلك دان مونرو في مقاله المعنون بمقدمة لتذكر أنك ستموت بقوله " التذكارات موري دراسة فنية تتحول فيها لحظة شواهد القبور من اثار للذاكرة الى تاريخ وموروث ثقافي "² يهدف التذكارات موري في المقام الاول الى تسجيل وتوثيق شواهد القبور والاثار الجنائزية فوطوغرافيا بغرض الحفاظ عليها " فالنص التذكاري والايقونات التي افترض صانعوها ان تبقى موجودة الى الابد تعرضت للتلف والتآكل مع الوقت " لذلك يهدف هذا النوع من العمل الفني الممزوج بالعمل

¹ Townsend, **Art And Death**, E. P. Torres, 2008, P 02.

² Dane Munro, **Introduction To: Memento Mori, A Companion To The Most Beautiful Floor In The World**, P 05.

الاثوغرافي الى حماية صرخة الخلود المضمنة في النصوص والنقوش على شواهد القبور ، فتذكّار موري هو فن يجمع بين التاريخ والفن الرمزي معا.

2.6. لوحات الفانيتاس

لوحات الفانيتاس هي فئة من الأعمال الفنية الرمزية والتي عادة ما تكون على شكل لوحات متقنة للحياة الساكنة، وقد كانت هذه الاعمال تحظى بشعبية كبيرة خلال فترة العصور الوسطى حيث كانت هذه اللوحات شائعة الانتشار في الفن الجنائزي خلال تلك الحقبة، وغالبا ما تضمنت لوحات الفانيتاس رموزا مثل الجمجمة والزهور المتحللة والفقاعات والساعات الرملية والآلات الموسيقية، وكانت كل واحدة منها تحمل معاني مجازية ورمزية مختلفة فقد كانت الجمجمة بمثابة تذكير بيقين الموت والفاكهة الفاسدة تستخدم لتمثيل الانحلال، بينما كانت الفقاعات تمثل مفاجأة الموت وهشاشة الحياة، وبصرف النظر عن الحياة الساكنة فإن الأمثلة الأكثر استمرارية في هذا النوع من الفن هي التي ضلت موجودة الى يومنا هذا في النحت.

اما لوحات الفانيتاس فقد انتقلت رسائلها الرمزية الى الاعمال المسرحية فتحوّلت " لوحات الحياة الساكنة المملوؤة برمزية الفناء الى تمثيل غني بالمباهج الارضية حيث قامت العروض المسرحية الشعبية بتمثيل حكايات ذات ابعاد اخلاقية تذكر الجمهور بزوال الوجود الانساني" ¹ ، وفي النهاية يمكننا القول ان كل القطع الفنية العالمية الخاصة بفن الموت تحمل رسالة واحدة مفادها أن كل مباهج الحياة عابرة وأن الموت في النهاية هو مصير الجميع.

¹ Ranum, Western Attitudes Towards Death, From The Middle Ages To The Present, Johns Hopkins University Press 1974, P 22.

خاتمة الفصل:

انتهينا في هذا الفصل الى نتائج اهمها ان اصطلاح الموروث الشعبي وان كان يشير إلى الماضي ولكنه يدل أيضا على الحاضر المعاش، بما يبقى من الماضي في الحاضر من تقاليد موروثة، ومنه يكون الموروث هو ديمومة الماضي الحي معبرا عنه في الذاكرة الجماعية من خلال الممارسات المختلفة، و اهمها الطقوس التي يقوم فيها الموروث الشعبي بدور عامل انتاج ونقل وإعادة إنتاج لتمثلات الجماعة حول الحدث الطقسي، وبذلك يصبح الموروث الشعبي عاملا لتكييف التقليد وإعادة خلقه، كما انه وسيلة لحفظ الذاكرة الجمعية لأن تفعيل الموروث الشعبي في الممارست الطقسية وبحكم ما يتميز به من سيولة ونفاذية فانه يربط الناس بتاريخهم أي بالذاكرة الجماعية.

الباب الميداني للدراسة

الفصل الخامس

مجال الدراسة واثنوغرافيا الميدان

تمهيد :

تعد الدراسة الحقلية الميدانية من الصفات المميزة الأساسية للبحث الأنثروبولوجي، كما أنها وسيلة لتحصيل أكبر قدر ممكن من البيانات، ومنه فإن تحديدنا لخصائص ميدان البحث يمثل نقطة مهمة في دراستنا فالميدان هو ميدان وفي نفس الوقت موضوع وشكل من أشكال التحقيق اين يقوم الباحث الانثروبولوجي بالالتقاء المباشر مع مبحوثيه، ومنه قمنا بالتحقيق الإثنوغرافي لميدان البحث قبل الشروع في موضوع الدراسة لأنه لا يمكن أن نفهم طبيعة الطقوس الجنائزية في معزل عن مختلف الأشكال الثقافية الأخرى بالمنطقة بما فيها طبيعة البناء الاجتماعي لعينة البحث.

1. مجالات الدراسة

1.1. المجال المكاني

من بين مبادئ الدراسات الأنثروبولوجية أن تجرى الدراسة في المجتمعات المحلية الصغيرة والمحدودة كما يخضع الباحث في اختياره للمنطقة التي سيجري عليها دراسته لانتماؤه لذلك أو معاشته له " معاشة وثيقة تكون كفيلة بأن تخلق الاهتمام بثقافة وتراث هذا المجتمع " ¹ ومن هذا المنطلق حددنا منطقة دوار سالف الكرمى كمجال لدراستنا الميدانية وذلك لسببين هما صغر الفضاء الجغرافي للمنطقة إذ أنها منطقة صغيرة مما سهل علينا الانتقال فيها لإجراء بحثنا بالإضافة إلى كوننا من سكان المنطقة وذلك ما سهل علينا دخول بيوت المبحوثين وملاحظتهم أثناء طقوس الجنازة كما ساعدنا انتمائنا للمنطقة في خوض النقاشات المحظورة لدى أفراد العينة والمتعلقة أساساً بسحر الموتى.

2.1. المجال البشري

يتمثل المجال البشري لمجتمع البحث في الفاعلين لكل الممارسات التي تحيط بطقوس الجنازة، حيث قمنا بحضور 15 جنازة لخمس رجال تتراوح أعمارهم بين 32 سنة و 74 سنة، و 3 أطفال حديثي الولادة وطفل بلغ من العمر 9 سنوات، وتسع نساء تراوحت أعمارهم بين 19 سنة و 55 سنة وخصت الوفيات رجال ونساء متزوجين وعزاب وبذلك يكون نوع عينة بحثنا قصدية، أما بالنسبة للعدد الإجمالي للمبحوثين والأخباريين من الجنسين فقد كان عددهم 11 مبحوثة و 4 مبحوثين و 5 مخبرات وأخباريين.

¹ محمد الجوهري، علم الفلكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1975،

و لضرورة المسح الإثنوغرافي للمنطقة وبعد إطلاعنا على السجلات الإدارية التي لم نجد فيها شيئا يذكر غير الموقع الجغرافي للمنطقة ذلك ما جعلنا نتقرب من كبار السن في مجتمع البحث لمحاولة توثيق ما بقي راسخا في الذاكرة الجمعية للسكان حول ميدان البحث.

3.1. المجال الزمني

يتمثل في الفترة الزمنية التي إستغرقتها عملية إجراء الدراسة الميدانية بدءا من " إعداد الإطار المنهجي وجمع البيانات وتحليلها حتى التوصل إلى النتائج " ¹ اي ان المجال الزمني يجمع بين البحث النظري والبحث الميداني للدراسة.

أولا: البحث البيبليوغرافي

يبدأ " عمل الانثروبولوجي من الميدان لكن تحديدا بعد تنفيذه لقراءات تشكل مراجعا لبحثه " ²، وقد استغرق منا البحث البيبليوغرافي مدة أربعة أشهر حيث تنقلنا إلى عدة مكتبات جامعية عبر القطر الوطني، حيث كانت بدايتنا مع استخدام ورقة البيبليوغرافيا إذ بهذا النظام يسهل تحديد مكان المعلومات المكتوبة بسرعة وطيلة العمل الميداني كنا نقوم بالعديد من القراءات التي من شأنها أن تولد فرضيات حول الموضوع وبالتالي تطوير مشروع البحث، كما تحدد لنا قواعد الانتقال من النظرية إلى التطبيق ³.

ثم استغرق منا البحث الميدان أربع سنوات وذلك نظرا لخصوصية الموضوع المختار وصعوبة الإلمام بجوانبه المختلفة والتي تطلب حضور الجنازات والمشاركة في القيام بطقوس تغسيل الموتى

¹ عبد الهادي احمد الجوهري، علي عبد الرازق ابراهيم ، المدخل إلى المناهج وتصميم البحوث الاجتماعية،

المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص 238.

² Serge Genest , Recherche Anthropologique : Techniques Et Méthodes , Université Laval , 1979,P15 .

³ Ibid, P15

بالإضافة الى الطقوس التي يحيطها أفراد مجتمع البحث بسرية تامة، قمنا بجمع البيانات والمعلومات التي من شأنها توجيه مسار البحث و تطلب منا ذلك الانتقال الى بعض الأماكن التي يتواجد فيها أفراد مجتمع بحثنا والى مقبرة المنطقة، وبعد ذلك قمنا بتصنيف هذه البيانات وتحليلها ومحاولة الوقوف على دلالاتها وكشف معانيها وأبعادها ووظائفها الاجتماعية، مع العلم أنه في كل فترة يتم فيها الحصول على بيانات جديدة نقوم على إثرها بإدخال بعض التعديلات الجزئية والفرعية على خطة بحثنا بما يحقق الوصول إلى الهدف الرئيسي المتمثل في الإجابة عن السؤال المركزي للبحث.

ثانيا: مرحلة استطلاع الميدان

مكنتنا هذه المرحلة من الوصول الى بيانات أولية قمنا على إثرها بتحديد الخطوط العريضة لموضوع البحث، كما جعلتنا نحدد العراقيل التي واجهتنا لتتوصل بعدها إلى الطريقة الصحيحة في التعامل مع المبحوثين ففي البداية حاولنا تحديد موعد مع أحد المبحوثات اللاتي يمتهن تغسيل الاموات لإجراء مقابلة لكنها ردت بالرفض بصفة غير مباشرة ذلك تخوفا من تلقي الاتهامات حول قيامها بمساعدة السحرة في الحصول على اغراض الميت للقيام بالطقوس السحرية، بعدها قمنا بترتيب موعد مع عدة مبحوثات حيث رتبت عدة مواعيد قمت على إثرها بعدة مقابلات جماعية حرة طرحت فيها الموضوع بصفة عامة وهي ميزة المقابلة الحرة، ويعود سبب استعمالنا لهذه التقنية إلى قلة معرفتنا بموضوع البحث كما أننا لم نكن قد حصلنا بعد على مراجع تتطرق إلى موضوع بحثنا فما كان أماننا سوى التوجه للميدان مباشرة وطرح الموضوع بصورة عامة وترك المجال للمبحوثات للتحدث عنه بكل راحة، وقد عملنا في ذلك بتوجيهات

العالم الانثروبولوجي " مالىنوفسكي " الذي يؤكد أنه " على الإثنوغرافي نشر شباهه في المكان المناسب وأن ينتظر ليرى ما سيقع فيها، ويجب أن يكون كالصياد النشط يدفع بنفسه حتى يصل

إلى المخابئ التي يصعب الوصول إليها وهذا ما سيقوده إلى طرق أكثر فعالية لمتابعة البحث¹، فاخترنا يوم عطلة حيث اجتمعت نساء من المشتة في بيت عجوز مريضة لزيارتها بنفس المنطقة فكان الحديث عن موضوع الاستعداد للموت وعلامات حسن الخاتمة والصبر على الابتلاء ممهدا لنا لمعرفة تمثيلات المجتمع عن الموضوع، لكن بعد عملية تمحيص ما قمنا بجمعه من بيانات توصلنا الى أنها بيانات سطحية لاتصف كل جوانب الموضوع بدقة لنعود مجددا لإجراء المقابلات لاحظنا خلالها نفور المبحوثين سواء رجالا ام نساء من التحدث حول موضوع الموت واعتبار مجرد الحديث عنه امرا يجلبه اليهم والى اقاربهم وذلك راجع الى المعتقدات الراسخة في ذهنية المجتمع المتعلقة بالتطير والتشاؤم من ذكر الموت

مما أرغما على تغيير طريقتنا في البحث فنزلنا للميدان من جديد لكن تعاملنا مع المبحوثين لم يعد بصفتنا كباحثة علمية لكن بصفتي ابنة المنطقة فصرحت للمبحوثات أنني ابنتهن كناية عن أنني ابنة المنطقة وعليهن تلقيني ما لا أعرفه عن ثقافتنا، عاداتنا وتقاليدنا لأنني اكتشفت أنني أجهل الكثير وذلك ما كان حقيقة فعلية، بهذه الطريقة أبدت المبحوثين تعاطفهم وقاموا بسرد البيانات بإسهاب بل بالشرح الدقيق وأخذوا الموضوع بجدية أكثر خاصة في مسألة الممارسات الطقوسية الدينية.

1. شخصية المنطقة الطبيعية والثقافية

1.2. الموقع الجغرافي

لكل بحث اجتماعي حيز جغرافي يتم فيه²، التعريف بهذا الحيز هو ما سيوضح أهم أبعاد ونتائج الدراسة لأن ثقافة الإنسان وليدة بيئته كما يقول ليفي ستروس " كل ما ينتمي لنظام الطبيعة

¹ Bronislaw Malinowski , Argonauts Of The Western Pacific , London, G , Rout Ledge & Sons : New York,1922, P 53..

² إحسان محمد حسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1987، ص 93.

ويتصف بالشمولية والعفوية منفصلا عما ينتمي للثقافة أي لميدان ما، هو خاص ونسبي ¹ فإنه من الضروري قيام ارتباط بين الطبيعة والثقافة، وإلا أصبح كل محتوى ثقافي غير معاش وبالتالي غير مؤثر.

عند تصفحنا للسجلات بالمصلحة التقنية للبلدية التي ينتمي إليها دوار سالف الكرمى إداريا، لم نجد عنها سوى موقعها الجغرافي الموضح في خريطة البلدية مما أدى بنا للاعتماد على كبار السن بالمنطقة للتعريف عليها باعتبارهم الذاكرة الحية للمنطقة.

يعرف الدوار على أنه تجمع سكني ريفي ²، وسميت المنطقة بسالف الكرمى لأن الأشجار الوحيدة التي كانت تزرع بالمنطقة هي أشجار العنب " الكرمى "، وقد تم توثيق هذه التسمية من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

دوار سالف الكرمى أو سيف الكرمى، يقع ضمن نطاق دوار سيدي معاش التابع إداريا لبلدية تاملوكة دائرة عين مخلوف ولاية قالمة، حيث أن دوار سيدي معاش يقع في أقصى الجنوب الغربي لإقليم ولاية قالمة، مع حدود ولاية أم البواقي ويقع على مستوى الطريق الوطني رقم 102 الرابط بين أم البواقي و واد الزناتي ³.

¹ جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ت: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط3، 2006، ص 29.

² المصلحة التقنية لبلدية تاملوكة، مراجعات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، 2006، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص 12.

أولاً: حدود دوار سالف الكرّمى

يحد دوار سالف الكرّمى من الشمال مشة قرقوب، ويحده من الغرب مشة الرميديّة، كما يحده من الشرق مشة المانع ويحده من الجنوب مشة بودوح، و من الجنوب الشرقي مشة عين سلطان.

ثانياً: تضاريس المنطقة

أراضي المنطقة ذات طبيعة فلاحية، تعود ملكية هذه الأراضي حسب المخبرين بالمنطقة، إلى عرش¹ لحمامدة ثم اشتراها منهم عرش السوايع، ثم عرش الصوالحية، وذلك منذ زمن بعيد حدده لنا كبار المنطقة بفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي " فالحائز لأرض العرش يتمتع بحق الانتفاع الدائم بها وهذا الحق لا ينتهي بوفاته ولكنه ينتقل إلى ورثته الذكور على سبيل الشيوخ"². يطلق سكان سالف الكرّمى على الأراضي اسم " لعوالب" وهذه التسمية قديمة تعود إلى زمن كان استغلال الأرض يتم من قبل كل أفراد العرش دون تقسيم، فكان كل عرش يطلق إسمًا على أرضه لتمييزها عن باقي أراضي الأعرّاش الأخرى وكذا لتسهيل عملية تحديد مكانها مثال عن أسماء بعض الأراضي في المنطقة : شير ، لغدير ، المرقوتة...

¹ مصطلح العرش نستطيع موازاته مع اصطلاح القبيلة أنظر :

(مصطفى بوتفوشة، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمرى أحمد، ديوان المطبوعات

الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 1984 ص 44)

² سعيدة حاجي، العصبية القبلية وتأثيرها على تطور الحضاري للمجتمع الجزائري " المجتمع التبسي نموذجاً"،

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الشيخ العربي التبسي 2015، ص 29.

ثالثا: المجاري المائية بالمنطقة

منطقة سالف الكرمة تتخللها مجموعة مجاري مائية تتمثل في الشعاب و الوديان¹، أول وادي يقطع المنطقة هو واد باردو، وهذا الاسم موجود فقط بالسجلات الإدارية للمنطقة أما سكان سالف الكرمة فيطلقون على كل واد اسم من يسكن بمحاذاته، فإذا كانت دار واحدة يطلق على الوادي اسم صاحب الدار وإذا كانت جماعة سكانية فيطلق على الوادي اسم عرش تلك الجماعة فيطلقون على وادي باردو اسم واد مناعة، ثم يليه وادي تيقوبعين يطلق عليه اسم واد لمراكشية، هذا الوادي يتقاطع في وسط المنطقة مع واد الجبانة المعروف في سالف الكرمة بواد الزهرة، وهي عجز أرملة تسكن بمحاذاة الوادي ويقطع أيضا سالف الكرمة وادي عين سي براهيم الذي يطلق عليه السكان اسم واد لقرافة.

رابعا: طبيعة العمران بالمنطقة

يضم دوار سالف الكرمة مجموعة من السكنات الفردية²، تعود طبيعة البناء فيها إلى نمطين:

أ- النمط العمراني القديم

قديمًا كان سكان الدوار يستخدمون في بناء مساكنهم مواد طبيعية إما أن تكون حجارة يتم إحضارها من الجبل الأبيض الموجود في حدود شرق المنطقة، فيتم صقل هذه الحجارة ثم تثبيتها فوق بعضها البعض عن طريق مزيج من التراب والماء والتبن، وإما أن تكون المباني من قوالب الطين حيث تحضر هذه القوالب عن طريق خلط التراب و التبن والماء عن طريق الأرجل ثم توضع في قوالب يصنعها السكان من قطع الخشب، وتترك هذه القوالب في الشمس إلى أن تجف، فتثبت جنبًا إلى جنب بواسطة نفس الخليط الذي تثبت به الحجارة، أما السقف فيكون عادة بالآجر

¹ المصلحة التقنية لبلدية تاملوكة، مرجع سبق ذكره، 2006، ص 12 .

² المرجع نفسه، ص 50 .

الذي يركز على الأعمدة الخشبية، وخلال عملية البناء بأكملها لا يستعمل السكان سوى ما توفر لهم من أدوات فلاحية.

هذه المباني العتيقة لا يزال سكان المنطقة محتفظين بها لسببين إما لاستخدامها كزريبة للحيوانات والتي يطلق عليها سكان المنطقة " الكوري"، وذلك أن بناء زريبة بطوب الإسمنت فوق أنه مكلف فهو أيضا يحتفظ بروائح فضلات الحيوانات مهما تم التنظيف، على عكس المباني القديمة خاصة الطينية منها حيث لا تبقى فيها أي رائحة بعد التنظيف، تقول لنا المخبرة رقم (02) " الطين تشرب الريحه والطوب تاع السيمة ميشربهاش وتلسق فيه ميخليناش نحبو " فالروائح الكريهة تزعج النساء عند قيامهن بحلب المواشي، إضافة إلى أن الزريبة بالبناء القديم تكون باردة صيفا ودافئة في فصل الشتاء، وذلك ما يساعد في الحفاظ على سلامة الحيوانات.

تستخدم أيضا المباني القديمة كمطبخ تقليدي وهو المطبخ الثاني يطلق عليه السكان " كوزينة لوقيد "ومعنى لوقيد هو مخلفات الأبقار التي يتم تجفيفها ثم استعمالها كوقود لإشعال النار من أجل الطهي والسبب في احتفاظ سكان المنطقة بهذه المطابخ التقليدية هو عدم توفر قارورات الغاز في أغلب أيام السنة حيث يشتريها السكان من بلدية تاملوكة التي تبعد عن المنطقة حوالي 10 كلم.

ب-النمط العمراني الحديث

النوع الثاني من البناء هو الأبنية بالمواد الحديثة أي الإسمنت الصناعي، لكن السقف غالبا إما أن يكون من القرميد أو أسقف يطلق عليها سكان المنطقة اسم التارنيت، وبعض السكنات التي تحصل عليها السكان عن طريق استفادتهم من مشروع البناء الريفي وهي قليلة، لأن التحصل عليها يتطلب وثائق ملكية الأرض في حين أن أغلب السكان لا يملكون أي وثيقة تثبت ملكيتهم للأراضي التي يقومون باستغلالها ويطلقون على هذه الأراضي صفة أراضي العرش.

2.2. لتقسيم لعروشي لسكان المنطقة

يصرح مصطفى عوفي بأن "خصائص الأسرة الجزائرية في الوقت الراهن هي نتيجة تزاوج بين ما خلفه المستعمر وبين العادات والتقاليد والقيم الحضارية التي سيطرت على المجتمع الجزائري في الماضي¹ ، وهذا ما ينطبق على الأسرة بدوار سالف الكرمى وذلك ما يمكن إبرازه من خلال حضور مصطلح العرش حيث أنه يمثل لدى سكان المنطقة مجتمع مصغر يجمع عدة القاب * وعائلات تجمعها قرابة الدم، حيث أن "ركيزة الإنتماء في العرش هي الجد² ".

إن النسق القرابي له دور أساسي داخل دوار سالف الكرمى، فمازالت ولحد اليوم الأعراش هي البنية الأساسية لتماسك الأفراد، حيث تتواجد أربعة أعراش بالمنطقة هم الصوالحية نسبة لجدهم صالح ولمخاطرية نسبة لجدهم مختار ثم عرش لماهبيه نسبة لجدهم ميهوب وأخيرا عرش لمراكشية نسبة لجدهم مركيش ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الأعراش من قبائل الأمازيغ الشاوية.

ونتيجة هذا التقسيم لعروشي هو النزاع المستمر إلى يومنا هذا حول ملكية الأراضي بالمنطقة كما أنه من المهم جدا لدى سكان المنطقة الاحتفاظ بأي وثيقة قديمة تثبت انتماءهم إلى العرش وذلك لتأكيد حقهم في ملكية الأرض. والتي كثيرا ما تحدث نزاعات حولها فيتدخل كبار المنطقة لفظ النزاعات حول استغلال الأرض، حيث يتم تهدئة المتنازعين وتحذير بقية أهلها من الدخول في النزاع لأن ذلك سيؤدي إلى حضور السلطات وعندها ستحول تلك الأراضي إلى ملكية عامة، لذلك

¹ مصطفى عوفي وأحمد عبد الحكيم بعطوش، النظام العائلي الحديث والممارسات القرابية في المجتمع الجزائري،

مجلة العلوم الانسانية والمجتمع، عدد 13 ديسمبر 2014، ص 136 .

* هذه الألقاب حسب ما أطلعنا عليه مخبرينا قد أطلقتها السلطات الاستعمارية ضمن سياسة تفكيك البنى الاجتماعية.

² مصطفى بوتقنوش، مرجع سبق ذكره، ص 46.

يردد سكان المشتة في مثل هذه الظروف المثل القائل " لي خُطاوه الهَاة والهَار ، كُلاوه لُعْتَار " ، والمقصود بالهَاة هي العجوز كبيرة السن والهَار الشيخ الكبير أما لُعْتَار فهم الذئاب، أما المغزى من وراء هذا المثل فهو أنه من لا يأخذ بنصيحة كبار السن ستأكله الذئاب وهم أفراد السلطات.

3.2. العادات والتقاليد في المنطقة

انصب اهتمامنا على وصف العادات والتقاليد بالمنطقة لأن من خلالها تتجلى شخصية مجتمع الدراسة والذي تعبر عن هويته سلسلة من المظاهر والممارسات، يحدد أهميتها محمد مفلح البكر بقوله " مجموع العادات والتقاليد والأعراف تشي بطبيعة المجتمع وقيمه وأخلاقه وفنونه ونظرته إلى نفسه وما يميزه عن غيره من المجتمعات"¹

أولاً: طقوس المرور بمنطقة سالف الكرمل

أ- طقوس الولادة

تبدأ طقوس المرور للطفل في المنطقة بانفصاله عن جسد أمه حيث تتم عملية الولادة وقطع الحبل السري لتتم بعدها طقوس الانتقال حيث يتم تطهير الطفل بالمياه النقية، ثم يقوم والده بتلاوة الأذان في أذن ابنه اليمنى ثم اليسرى وهذا الطقس ذو دلالة دينية، وهي مرحلة الانتقال ليصير هذا المولود عضواً في مجتمع مسلم، ثم تقوم جدته لأبيه بدهن جسمه بزيت الزيتون، لما يحمله من بركة في المعتقد الشعبي بالمنطقة وتقوم بلفه في رداء أبيض من الحرير، ثم تعلق في هذا الرداء قطعة من الذهب على شكل كف اليد ويطلق عليها اسم الخامسة، كطقس للحماية من الحسد وإن لم توجد الخامسة، تقوم بتعليق حجاب يحتوي على تسع وتسعين حبة بركة ويعتقد سكان المنطقة أن لها نفس مفعول الخامسة، لتبدأ مرحلة التأسيس بطقس " التاجرة " ويتم فيه إحضار هدايا للمولود

¹ محمود مفلح، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق 2009،

الجديد تعبيراً عن فرح سكان المنطقة بقدومه واستقباله في مجتمعهم، حيث تختلف الهدايا بين الثياب والذهب الخالص والنقود حسب إمكانيات الأفراد.

ب- طقوس الزواج

لفترة زمنية طويلة ظل الحفاظ على تماسك الأعراس بالمنطقة قائماً على زواج القرابة والمتمثل في علاقة بني العمومة، وذلك ما ترمز إليه الاغاني التي تنشد خلال حفل الزفاف بالمنطقة عند استقبال العروس حيث تردد النساء :

يا مرحبا بعروستنا يا مرحبا يا مرحبا زوز وقرب يا مرحبا يا مرحبا بنت المضرب يا مرحبا
فالمقصود " بالمضرب " هو البيت، أي ان لها صلة قرابة بأهل العريس.

فيتزوج الابن بابنة عمه ويرون في هذا طريقة للمحافظة على الأصل وصفاء الدم وذلك ما تصفه جرمين تيليون بقولها " إن النبالة بالنسبة الى المغاربة سكان "المغرب العربي"، ترتبط بالزواج بأبناء العم من نسب أبوي، والتزام الفرد سيكون أكثر صرامة بانتمائه الى نسب أنبل، بل أكثر من ذلك، إن الفرد يكون أنبل بانتمائه إلى عائلة أكثر تشبثاً بالزواج الداخلي" ¹.

وذلك لما للزواج الداخلي دور في الحفاظ على إرث العائلة المتمثل في الأرض، كما أنه وفي كثير من الأحيان إذا تزوجت المرأة في المنطقة خارج عرشها فغالبا ما تعاني من التهميش باعتبارها " برانية " بمعنى غريبة، يقوم سكان المنطقة بعزل الفتاة بعد خطبتها، فتصبح غير قادرة على حضور المناسبات الاجتماعية حيث تتبع هذه الفترة تحضيرات، تقوم على إثراء العروس باستعمال خلطات التجميل وكذا تجهيز " جهازها "، وتبدأ طقوس الانتقال مع بداية العرس حيث تردد النساء من أهل العريس عند وصولهن إلى بيت العروس :

¹ جرمين تيليون، الحريم وأبناء العم، تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ت: عز الدين الخطابي، إدريس كثير

اعاليا اعليا يا لعروسة كيما يعلاو النجوم دارك دارك يا لعروسة دار باباك ما دوم

وش لقيت فلبحيرة ولقيت ذاك التفاح وش عجبك فللعروسة وماليها ناس ملاح

ففي هذه الأغاني مدح للعروس وتذكير لها بأن مكوثها في بيت أبيها لن يدوم، لتستعد نفسيا

للانتقال منه كما يقوم أهل العروس برمي السكر كدلالة على فرحهم، كما يعتبر ممارسة لسحر

المشاركة بالإضافة الى اطلاق الأعيرة النارية التي " هدفها طرد الأرواح الشريرة وشور العين"¹.

يقوم أهل العريس بإحضار شاة من الغنم او شاة لحلال كما يطلق عليها اسم " أحسيبث" فيتم

ذبحها عند الوصول إلى بيت العروس و يطهى بها طعام العشاء وبعده تقوم أم العريس بتحنية

أيدي العروس، تصاحب عملية التحنية الأغاني والزغاري وعند وصول العروس إلى بيت العريس

كذلك يقوم أهل العريس برمي السكر وماء الزهر كدلالة على رغبتهم في أن تكون حياتها حلوة

وتكون مباركة على أهل بيتها الجديد مع ترديدهم للأغاني.

يتم إحياء ليلة قدوم العروس لبيت زوجها عن طريق إحضار الرحابة أو لباردية وعند سؤالنا عن

سبب عدم إحضار أهل العروس لمثل هذه الفرق كان جوابهم هو أنهم خسروا امرأة عكس أهل

العريس الذين ربحوا امرأة جديدة تخبرنا المخبرة رقم (02) بقولها " كبرناها ربيناها وتعبنا عليها

ونزيدو نجيبو الرحابة ؟ مالين لعريس هما لي يرحبو ربحو مرا جديدة " اما ليلة العرس فتعتبر

طقسا للتأسيس حيث كانت العادات في المنطقة قديما تتم بوقوف النساء في هذه الليلة أمام غرفة

الزوجين تنتظرن قميص نوم العروس لكي تطلقن الزغاريد بعدها تخرجن به إلى ساحة أمام البيت

فيطلق الرجال أعيرة نارية وترقص النساء حاملات ذلك الثوب و" بذلك تغدو العذرية قيمة اخلاقية

مفارقة للواقع الملموس وفاعلة في الفضاء الثقافي الاجتماعي² " وهذا الاحتفال يحمل دلالة رمزية

¹ شوقي عبد الكريم، الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 74 .

² فريق عمل عن مصر اتحدث، تابو البكارة، كراسات الاوان ، ص 70 .

عن فحولة الرجل وعفة المرأة ، أما في وقتنا الحالي تنفرد هذه الليلة بطقوس ثلاث أهمية الحدث ودوره في شبكة العلاقات الاجتماعية بالمنطقة حيث تتغنى النساء :

ليلة الدخلى خرجت فحلة البارود فوق راسها يقول

ميمتها حرة خرجت حرة والصلاة على الرسول

فيتغنون بعفة العروس، ويذكرون البارود الذي يرمز إلى القوة والشهامة بالإضافة إلى رمزيته للشرف والكرامة كما تبين الأبيات دور الأم الكبير في تربية البنت والحفاظ على عفتها، وتختتم الأبيات بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم إذ تشكل مقامات ذكره منزلة للبركة والخير.

قبل ليلة عرسه بيوم أو يومين لا يبيت العريس في بيت أهله لسببين أولاً لخلجه من أبيه وثانياً، لأنه سيبيت إما عند أبناء عمه أو أصدقائه، يحظر عشاء خاص للعريسين ومن بين التقاليد المتوارثة أن يتم شوي قلب الشاة وجزء من كبدها للعريسين وبقية الكبد يشوى ويشترك أفراد من العائلتين في أكله، إذ يحمل الكبد دلالة الرحمة والعطف أما القلب فيحمل دلالة الحب في مخيال سكان المنطقة.

يتم تحضير مائدة العشاء للعريسين في غرفة نومهما ليس فقط من أجل الأكل بل من أجل المسامرة في نهاية الليلة يخرج العريس مطلقاً أعيرة نارية " طلقتين " معلناً عن عفة زوجته، وذلك أيضاً دليل على صفاء نسله، وبعد سماع العيار الناري تطلق عمات العروس الزغاريد وتتبعهن باقي النساء، وبذلك يتم طقس التأسيس فتصبح العروس حاملة للقب زوجها ويصبح لهذا الأخير دور جديد في المجتمع.

ثانيا: التوزيع او العمل الجماعي

أ_العمل الجماعي الخاص بالرجال

يتعاون الرجال في المنطقة في الاعمال الشاقة والتي تتطلب جهدا ووقتا وذلك من اجل توفيرهما معا ومن الاعمال التي يتعاونون فيها حفر البئر او تنظيفه و التوزيع تتم بدعوة مجموعة من الرجال وعلى صاحب العمل ان يساعد من اتاه للمساعدة اذا وجده في موقف مشابه، كما يتعاون رجال المنطقة في البناء حيث ان اغلبهم يتقن هذه الحرفة.

ب_العمل الجماعي الخاص بالنساء

تجتمع النسوة في دوار سالف الكرمى لفنل الكسكسي الذي يتم تخزينه لجميع المناسبات السارة والمؤلمة كحدث الموت، حيث تقوم صاحبة المنزل بتحضير الطعام وعادة تقوم بذبح دجاجة لهذه المناسبة، كما تجتمع النسوة لغسل الصوف التي يحضرها أهل العريس للعروس فتجتمع النساء لغسلها مع الغناء و الزغاريد.

ثالثا: الطبخ التقليدي بالمنطقة

كما اشرنا سابقا لطبيعة المطبخ التقليدي بالمنطقة سنحاول هنا التفصيل في وصف طرق الطهي فيه، والوسائل المعتمدة، حيث يقوم الاطفال في المنطقة خلال فصل الصيف بجمع بقايا الاغصان المتساقطة واليابسة من الاشجار فتجمع في شكل حزم كما يقومون بجمع بقايا الحصاد من تبن في اكياس كبيرة اضافة الى جمعهم لفضلات الابقار اليابسة " لوقيد " هذه المواد الثلاث تخزن في " كوزينة لوقيد " من اجل تحضير الطعام وتسخين الماء، والطعام الوحيد الذي يتم طهوه في " كوزينة لوقيد " هو " الكسرة " حيث تضع المرأة الطاجين المصنوع من الطين فوق ثلاث حجارة متوسطة الحجم موزعة في الارض على شكل مثلث يطلق عليها اسم " لمناصب " ويتم

اشعال النار بأحد المكونات السابقة وتقوم المرأة بتحريك لوقيد عن طريق اداة حديدية طويلة ورفيعة " الفركان " حتى يتم طهو الكسرة جيدا.

تتنوع الاكلات التقليدية التي تختص بها نساء دوار سالف الكرمى ، وتضم في مكوناتها الاساسية إما الشحم أو الحليب وتحضيرها يرتبط بفصول السنة ففي الايام الباردة تحضر النساء الاطباق التي تحتوي على الشحم أما الاطباق التي تحتوي على الحليب واللبن فإنها عادة ما تكون في الربيع والصيف لتوفر العشب، كما تمتاز الاطباق التقليدية في المنطقة بسهولة وسرعة التحضير، وهذه مجموعة وصفات لأكلات تقليدية تسردها علينا المخبرة رقم (04)

أ_ طبق زريقة بالحليب

عبارة عن الكسرة يتم تفتيتها جيدا ثم توضع مع مقدار من الحليب ليتم طهوها مرة اخرى فيه ويضاف لها مقدار قليل من الزبدة.

ب_ طبق لمقطعة

هو طبق تقليدي آخر تمتاز به المنطقة تشرح لنا المخبرة رقم (04) كيفية تحضيره بقولها " الكسرة نخبزوها مליح حتى تجي كي الثريدة شوي خشينة، نقصوها بالموس نصيروها فالصيار ونديرو مرقتها بالبصل والثوم والشحم الفول وطماطم كي تطيب المرقة نفورو لمقطعة ونسقيوها ".

ج_ قشدة لمبيضة

يتم تحضيره بطريقة تقليدية لصناعة القشدة التقليدية وتتم بحليب الماعز او الغنم نقول مخبرتنا رقم (04) " الحليب لازم يكون سخون هذاك وان تحلب نمحي فيه البنش تاع القرنون بالشاش ونصفي الحليب ونحطو يقعد نص ساعة و نحطو الملح كي يجمد ناكلوه "

د_ الجبن التقليدي بوهزة

يعتبر من انواع الجبن التقليدي الذي لا يستغني عنه سكان المنطقة اطلاقا، ويتم صنعه بتحضير الجلد الذي سيخزن فيه وعادة ما يكون جلد ماعز او غنم ويوضح لنا المخبرة رقم (04) كيفية تحضيره بقولها " نسلوه نغسلوه نبرشوه بالموس ونبيتوه مرنخ فالبن والدقيق تاع الرغدة وفالصباح نزيدو نغسلو نزيدو نديرولو العرعار نرنخوه فيه و نزيدو نغسلوه نحطو فيه البن والملح ونحطوه يقطر ونزيدو البن والملح حتى يعقد نديرولو الففل لحمر مهرس و الحليب " ويصبح جاهزا للاكل.

رابعا: اللباس التقليدي

ينتشر ارتداء " القشابية " اللباس الرجالي التقليدي في دوار سالف الكرمى وبكثرة فحتى الاطفال الصغار يرتدون هذا النوع من الملابس التقليدية، وبالإضافة الى القشابية يرتدي الرجال لباس البرنوس خاصة في الاعراس أما النساء غطاء الرأس المعروف باسم المحرمة ويرتدين الشال على اكتافهن واغلب الملابس التقليدية بالمنطقة تحظر عن طريق النسيج التقليدي سواء القشابية او البرنوس وحتى الشال الخاص بالنساء.

خامسا: الألعاب الشعبية

بما أن أغلب اطفال المنطقة يقومون برعي الاغنام في فصل الصيف فان الالعاب الشعبية هي وسيلتهم للتسلية خلال يوم كامل من الرعي نذكر منها لعبة " لبيوت " وهي 12 حفرة صغيرة في الارض يتم ملؤها بقواقع الحلزون، وفي الليل يخرج الاطفال للعب الغميضة امام المنازل المتجاورة حيث يقوم طفل بإغماض عينيه ويعد حتى 10 والباقي يقوم بالاختباء، وفي جميع الالعاب فان الذكور والإناث يلعبون معا حيث يقومون برعي الاغنام في اماكن بعيدة كالوديان والشعاب لذلك يتشارك الجميع اللعب دون تفريق بين الجنسين.

سادسا: التراث الفني والادب الشعبي في المنطقة

أ_الرحابة

الرحابة هم ثمانية رجال منقسمين الى فريقين متقابلين متحدين في ازياهم و حركاتهم، يتقدمون الى بعضهم البعض ثم يبتعدون الى الوراء ويعودون للحركة الاولى يهزون اكتافهم مع الضرب على الارض بأرجلهم حيث تتسم هذه الرقصات بطابع الرجولة التي تولدت بطبيعتها من قسوة الطبيعة مرددين اغنية تدعى الرحبية والتي يختارها الحاضرين وعندما يتعبون يعبرون عن تعبهم بإنشادهم باللهجة الامازيغية

اقذ برزقان املال ام اخام : حضري برزقان يا صاحبة الدار

ايمي ذرمان يغماس ذلثمان : الفم رمان الاسنان غالية

ذرهمس اوقبطان يحكم ذي لوطان : وجه القبطان يحكم الاوطان

هذه الابيات عبارة عن مدح لصاحبة البيت من اجل ان تقوم بإخراج اكلة برزقان التي تتكون من العسل ومعجون التمر " الغرس " ممزوجين حتى يصبح سائلا كثيف ويعتبر بمثابة مشروب طاقوي يتناوله الرحابة لاستعادة نشاطهم.

ب_الباردية

هم جماعة رجال يرتدون لباس تقليدي موحد الذي يكون عبارة عن سروال " بودليوة " وهو سروال فضفاض و قميص مطرز بالفتلة، واسم هذه الجماعة مشتق من نوع الحركات التي يقومون بها مثل اللعب بالسلاح وإطلاق البارود فالراقصون يحملون اسلحة نارية " الفوشي " وفي هذا النوع من الرقص تعبير عن شجاعة الرجال يمتزج مع اطلاق النساء للزغاريد تعبيراً منهن عن الافتخار بالرجال، ورقص البارديا يرمز للتهيؤ للقتال فهو يظهر العنف والقوة لذلك لا مكان فيها للنساء على الاطلاق.

ج_الاحاجي

الأحاجي تعكس الطابع الريفي للمنطقة حيث تتمحور حلولها حول وسائل العيش البسيطة وخيرات

الطبيعة ومن اشهر الاحاجي التي يرددها اهالي المنطقة.

علي ماشي بلعوج والعوج هو قداه ثارتلو مصيبة في جنبو ولاتلو في قفاه حلها : البرنوس

بمعنى ان البرنوس عند نسيجه يكون مائلا في المنسج وفي جنبه تتسج القلنسوة.

حاجبتك على الميت مات وحفرولو مقامو حطوه على فم لقبر يسناو يجيبو لكفن من

عضامو

حلها : القمح يضعونه على حافة المطمورة وينتظرون احضار التبن ليضعونه تحت القمح في

المطمورة وفوقه للحفاظ عليه.

علي مات ودفناه جا الحي يخاتل فيه ثار الميت يخنق فيه حلها : المنداف وهو عبارة عن

مصيدة

اذا كنت قاري وتقرأ حروف الملة الهامل فلوطان هو خيار الغلة حلها : الماء.

علي اسمو بالفا بلاك تقول فاس باباه يهودي وولادو نقاص حلها : الفأر.

على فرق حاي حاي وجلالتو تونسية يخلي بلاد لوكار ويحط فالمخلية حلها : الجراد .

على لذكر خالي الجوف خدموه ناس لهميمة منو توقع الخوف من توارخو قديمة حلها :

القبر .

الحي يكركر فالميت والميت حسو يترعدي لي يتقياه هذاك الميت ياكلو هذاك القاعد

حلها : الطاحونة التقليدية مطحنة .

كانك عارف وقاري حروف لمخبي وش لي فالعبد مخلقوش ربي حلها :الوشم .

خضرة في نباتها وحمرة في رباطها كان كذبتوني سقسيو مولاتها حلها : الحناء

د_الحكايات الشعبية وسيلة لتعلم قواعد السلوك

تكمّن أهمية الحكايات الشعبية في أنها تتسرب لمخيلنا الاجتماعي الحالي فتأثر فينا وتتحكم في شعورنا الرمزي بكيفية أكيدة ولكنها غير معروفة بدقة¹ فتبقى الحكاية الشعبية في الثقافة الانسانية جنس ادبي أسطوري تجمع بين المتعة والخيال والفائدة الخلقية والمثل، فهي تاريخ شفوي للأُمم وأسلوب للتربية والتعليم²، اذ غالبا ما يوجه الطفل من خلال رواية الحكايات الشعبية، فيجمع في جلسات رواية الحكايات اهداف اخلاقية ضرورية لفهم ثقافته وبصفة خاصة فهم العالم فوق الطبيعي³، وتعتبر بذلك عامل لترسيخ القيم داخل المجتمع ، تبدأ الحكايات في المنطقة ب : سلطان ما سلطان غير الله، والا كذبنا نقولو استغفر الله ، لعزوز تسبح وتنبج، وتتحى الضروس للجرو وهو ينبج، للدلالة على التيمن باسم الله، الشائع على لسان الاجداد قبل الشروع في السرد وكذلك ما يتوخون من عذاب الله اذا كانت الحكاية كذب وافتراء، كما في الحديث عن العجوز دلالة على مكرها الذي لا يؤتمن ،وتنتهي الحكاية دائما ب: قصتنا راحت للغابة و حنا شبعنا صابة ، وغالبا ما تروى القصص في قالب شعري سواء باللهجة الامازيغية أو الدارجة و دائما هناك هدف من وراء أحداثها فحكاية الراشي من أشهر القصص الشعبي بالمنطقة تهدف الى تعليم الاطفال ان يحذروا من كلامهم مع الكبار دون تقدير لعواقب ما يقولونه، بل عليهم دائما ان يسألوا ويتعلموا كيفية الرد في الحديث وينصتوا جيدا لما يقوله الكبار وبذلك تضحى وسيلة لتعليم قواعد السلوك وهي تروى كالتالي:

على الراشي بن الراشي هاز عصايتو وماشي تلقا الصيادة قالهم تروحو بلاشي

¹ عبد الرحمان بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2005 ، ص 14.

² Ali Hadouchi , Conts Berbères Racontés A Mon Fils .P 76

³ ادريس ابراهيم البريدي، قراءة في أنساق الحكاية الشعبية ، مجلة الثقافة الشعبية العدد 34 ، ص 42 .

عطاوه طريحة وقالولو علاه متقولش بالسنتاتي بالسبعاتي كل يوم ربي ياتي

هـ_البعد التعليمي في الامثال الشعبية بالمنطقة

تحتل الامثال الشعبية حتما معتبرا من الذاكرة الجماعية لسكان دوار سالف الكرم، حيث تعد من اكثر الاشكال الكلامية المنطوقة تناولا وتعبيرا عن تجاربهم، فغدت وسيلة تعليمية تنقل تراكما معرفيا لكل ماله صلة بحياة الانسان¹ نذكر من الامثال المتداولة بين سكان المنطقة:

اذا عاد قوادها عتروس مباتها فالزقارة اي اذا كان قائدها تيس فمبيت تلك الجماعة التي يقودها سيكون في السدرة وهي نبات شوكي، و يطلق على الجماعة تولى امرها سفيها.

عزري شايع ولا زواز لفضايح ، ويطلق على رجل يتزوج بامرأة كسولة لا تؤدي واجباتها على اكمل وجه فأولى به ان يبقى دون زواج.

اذا صلحت تلقا الكلب نباح والراعي سراح ولما تدعي بالصلاح

واذا فسدت تلقا الكلب عواق والراعي فالسواق ولما تعيط بالطلاق

يطلق على كل من سعيد الحظ وتعييس الحظ.

لا تاخذ الهجالة لوكان خدها مشموم انت تعمل كي الرجالة وهي تقولك الله يرحم المرحوم

هو عبارة عن تحذير لعدم الزواج من المرأة التي مات زوجها لأنها تنكر العشير.

كاينة ايام قادة ومستقدة وكاينة ايام الصر ولبرود كاينة ايام مفرشين مغطيين وكاينة ايام على لرض

قعود .يقال للعروس لتفهم انها ستعيش الحلو والمر مع زوجها.

¹سمية فالح، وظائف المثل الشعبي في منطقة الاوراس، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، العدد 11 سبتمبر

سابعا: المعتقدات الشعبية في المنطقة

أ_الاولياء والزردة

الولي في المعتقد الشعبي هو رجل صالح يتميز عادة بالتقوى ، يظهر من الكرامات ما يدل على جدارته بلقب الولاية¹ اما الولي سيدي معاش الذي سمي عليه الدوار الذي ينتمي اليه دوار سالف الكرمى فقد كان حسب قول مبحوثتنا رقم (08) لصا فتقول " كانت مرا فقيرة تتوحم وكان معاش سراق سرق نعجة وداها للواد ذبحها وسلخها ولمها في جلدها وداها لهاذيك لمرا من ثم نزل عليه الوحي ولا ولي " نفهم من ذلك ان اعتقاد سكان الدوار قديما بولاية سيدي معاش كان بسبب سرقة لشاة من اجل امرأة فقيرة اشتت اللحم وهي حامل فكان عمله ذاك سببا في نزول الوحي عليه وبعد موته دفن في بيته وأصبح الناس يزورونه ويتبركون به، اما سكان دوار سالف الكرمى فالعرش الوحيد الذي يعتقد ببركة سيدي معاش هم لماهيبية حيث ان المقبرة التي يدفنون فيها موتاهم هي نفس المقبرة التي يوجد بها ضريح سيدي معاش وهي تقع خارج نطاق الدوار، فتذهب النساء وحتى الرجال من لماهيبية الى الضريح لأخذ بركة الولي، كما يأخذون اطفالهم للمقبرة من اجل زيارة الضريح و التبرك بقطع من القماش القديم الموجود هناك حيث اخبرتنا المبحوثة رقم (02) انها عندما ذهبت للضريح قامت عجوز بإعطائها خيط من القماش الرث الملقى على حائط الضريح وقالت لها ضعيه في كراسك لكي تنجحي في دراستك كما اعطتها بعض التراب من الارض وقالت لها خذيه لبيتكم بركة سيدي معاش.

ب_الاعتقاد بالجن :

1_عساس الدار : يعتقد سكان دوار سالف الكرمى بان كل بيت فيه ثعبان كبير يمثل حارسا للبيت و اهله ، فلا يتم التعرض له بالأذى فصاحب البيت في المنطقة اذا وجد ثعبانا في اي مكان

¹الجوهري محمد، علم الفولكلور، دار المعارف، القاهرة ، 1981، ص43.

يقتله مباشرة إلا اذا صادف وان وجده في بيته على ان يكون حجمه كبيرا فيتركه اينما وجده حتى لو كان على فراشه يروي لنا مخبرنا رقم (03) انه رأى ثعبانا ضخما في بيته بالمنطقة وقد كان هذا الثعبان ضخماً الرأس مليء بالشعر وهي دلالة على كبر سنه ولاحظنا المخبر يروي عن حارس بيتهم بفخر و علامات السرور بادية على وجهه مما يطلعنا على القيمة الرمزية لهذا الثعبان في مخيال سكان المنطقة، وعند تقربنا من احد المسنات بالمنطقة أخبرتنا ان عساس الدار هو من الجن يتشكل على هيئة ثعبان ضخم و ظهوره امام اهل البيت دلالة على صلاحهم فهو من الجن الصالح و البيت الذي يسكن فيه يكون محميا من كل شر ومباركا.

2_التابعة : عرفها دالي في القاموس القبائلي بأنها " من انواع الجن الشرير تلاحق الاطفال الصغار حتى الموت " ¹فهى من الجن الذي يسبب الازى للناس ويعتقد اهل المنطقة ان اي شخص منهم يتعرض لمشاكل باستمرار و يفشل في كل عمل يقوم به في زراعته فلا تثمر و حيواناته تموت وحتى اطفاله يمرضون هذا الشخص لا شك انه مصاب بالتابعة وعند سؤالنا للمبحوث رقم (06) يقول انه عانى منها كثيرا وكان يسمع شخصا ينادي باسمه وعندما يلتفت لا يجد احدا وكثيرا ما يشاهد خيال امرأة امامه ثم تختفي وعن كيفية تخلصه منها يقول لا سبيل لذلك إلا بال الذهاب لشيخ يكتب للمتوبع كتاب ثم كل فترة يعود للكتابة حتى يتم سبع مرات فتذهب دون رجعة.

ج_بوغنجة عروس المطر

طقس الاستسقاء من الطقوس المتوارثة لدى سكان سالف الكرمى ففي الموسم الجاف تجتمع بضع نساء من الدوار في بيت العجوز الاكبر سنا فالمرأة المسنة في مخيال سكان المنطقة تجسد البركة

¹ Dallet J M Dictionnaire Kabyle .Français Société D Etude Linguistiques Et Anthropologiques De France . Paris 1982, P 821.

والطهارة لخلوها من دم الحيض والشهوات الجنسية، عكس الشيخ الذي تضل لديه رغبات لا تموت
الا بموته، يبدأ هذا الطقس بعقد النية فتنوي كل الحاضرات في سرهن اداء طقس عروس المطر "
بوغنجة " كما يشترط حضور الاطفال فهم يحملون دلالة النية الصافية، فتنزع العجوز اغطية
رأسها الزاهية الألوان وتقوم بربطها بمغرف " السقو " حيث ترمز " لمحارم " الى اكتساء الارض
بمختلف الاعشاب والزهور تبوح لنا بهذه الدلالة المخبرة رقم (03) بقولها " حنا حابين لرض تولي
زاهية بللوان كيما المحرمة " اما مغرف " السقو " فهي ترمز الى جوع سكان المنطقة كما تحمل
دلالة المياه الغزيرة لأنها مخصصة لحمل كمية كبيرة من المرق، يحمل شاب من الدوار " البوغنجة
" ويلوح بها في السماء وهو يمشي قاصدا كل البيوت يتبعه الاطفال مرددين:

بوغنجة حرك راسك اربي اروي ناسك

بوغنجا اترار اربي فودا امان : بوغنجا يلعب يا رب صب علينا الماء

بو غنجا اثيرار اربي روانغ امان : بوغنجا يلعب يا رب نشبع ماء

وعند وصولهم الى كل بيت على اهله ان يقوموا برشهم بالماء يتم ذلك في جو من الفرح الممزوج
بضحك الأطفال يمنحهم اهل البيت الخضر والدقيق فيجمعونها في اكياس ليعودوا بها الى البيت
الذي انطلقوا منه فتقوم النسوة هناك بتحضير الطعام مما جمعه الاطفال ويتم تحريكه في القدر
بواسطة مغرف السقو التي استعملت في الطقس، يجتمع الاطفال حوله، ولاستكمال الطقس ياكل
الاطفال اولاً.

د_الاعتقاد بالسحر

يظهر اعتقاد سكان المنطقة بوجود الجن من خلال الممارسات التالية

التافزة : وهي عبارة عن سبعة حجارة توضع في غطاء راس امرأة وتعتقد هذه " المحرمة" ينوي
السائل سؤاله ثم تلقى هذه المحرمة على الارض باتجاه غروب الشمس ويشترط ان يتم هذا الطقس

وقت الغروب، ثم يتفحص الحاضرون هذه المحرمة اذا وجدوا عدد الحجارة كاملا معناه ان الامر ايجابي وإذا كان ناقصا فعليه ان يحذر .

ضرب العصابة : مازال الى يومنا هذا لاعتقادهم انه ليس نوعا من السحر وهذا الطقس يتم لمعرفة اذا كان المريض سيشفى ام لا ، ويتم هذا الطقس بان يأخذ رجل عصا متوسطة الطول يمسكها من الطرفين و توضع فوقها " محرمة " غطاء راس امرأة يقوم بتحريك العصا بسرعة في حركات دائرية " يضربو العصابة " اذا سقطت تلك المحرمة فان المريض لن ينجو وإذا التفت على العصي ولم تسقط فانه سيشفى من مرضه، كما يعتقد سكان المنطقة بفاعلية هذا الطقس.

هـ-راس لعوام

يحتفل سكان دوار سالف الكرمى بيوم " راس لعوام "، حيث يعتبر هذا الاحتفال احد مظاهر الثقافة الامازيغية الموغلة في القدم، والتي ترجع الى اكثر من 3000 سنة حسب الوثائق التاريخية والآثار الأركيولوجية والدلائل الأنثروبولوجية المتوفرة.¹ اذ يعتبر يوم 31 دجمبر امازيغي الموافق ل 13 جانفي من كل سنة ميلادية حاليا بالنسبة للامازيغ تقليد مرتبط بالطبيعة وبالموسم الفلاحي، حيث تشير الطقوس الى مدى ارتباط الانسان الامازيغي بأرضه ² ويطلق سكان المنطقة على هذا اليوم راس لعوام أو ينار حيث يتم إحياء هذا اليوم بعدة طقوس ففي الغداء تحضر أكلة " لغرايف" التي ترمز الى الارض المبللة حيث يعتقد سكان المنطقة أنهم بتحضيرها سيكون العام القادم عاما ممطرا بسقوط الأمطار والثلوج، و قديما كانت نساء المنطقة تقمن بإخراج كل الاواني الفخارية ويقومون بتكسيورها جميعها تقول مخبرتنا رقم (03) " كلش طين يتكسر باه نديرو كلش جديد مناه عام جديد

¹ محمد بوداري، الاحتفال برأس السنة الامازيغية الرموز و الدلالات، دار المعرفة، 2010، ص11.

² أحمد الولهازي، لمحة عن التقويم الامازيغي ودلالات ورموز الاحتفال براس السنة الامازيغية الجديدة ، المنار

" أما في العشاء فيتم تحضير طبق " الشخشوخة " ويأخذ رب الأسرة رمانة، يقسمها نصفين فوق آلة المحراث ثم يعود بها الى البيت لتنتثر المرأة حبات الرمانة فوق الشخشوخة ليكون العام مثمرا ، وعند طهو أي طعام في تلك الليلة لا تضع المرأة غطاء على القدر أبدا، لاعتقادهم ان وضعها الغطاء سيكون سببا في عدم هطول الامطار، كما يلعب الاطفال في هذا اليوم بنبطة الدرياس حيث يجمعون اغصانا منه ويرمونها فوق سقف المنزل فمن سقط غصنه يموت اولاً ، كما تجمع النساء اوراق نبتة الدرياس ويضعونها في إناء الحليب لاعتقادهم أنه بذلك سيكون الحليب وفيرا خلال طول السنة.

و_الاعتقاد بقطع المرض، طريقة للشفاء

حسب كثير من الأنثروبولوجيين فإنه توجد علاقة وثيقة بين الممارسات الطبية والمعتقدات، فبدافع المعتقد قد يفضل المريض العلاج التقليدي، بدلا من العلاج الطبي الرسمي الحديث حتى وان توفرت الامكانيات اللازمة لذلك¹ وللمعتقدات سلطة قوية التأثير في حياة افراد دوار سالف الكرّمى وإذا أخذنا جانب الصحة والمرض نجد أنه للمعتقدات تأثير كبير في صناعة تمثلات سكان المشنة للصحة والمرض وحتى طرق العلاج إذ يعتقد سكان المنطقة بقدرة عدة أعراس على قطع المرض بمعنى الشفاء منه تماما، وأغلب هؤلاء المعالجين، من المشاتي المجاورة من بينهم نذكر:

1-ايث عيسى : ويطلق عليهم ايضا لبقايرية يعتقد ان لهم القدرة على معالجة الاورام الظاهرة على الجلد وذلك بالنفث على مكان الورم ثلاث مرات ويطلق سكان المنطقة على هذا النوع من الامراض " الخلد "

¹ مختار رحاب، الصحة والمرض وعلاقتها بالنسق لثقافي للمجتمع، مقارنة من منظور الانثروبولوجيا الطبية

2-لعيادة : يعتقد ان لهم القدرة على قطع مرض عرق لاسا " عرق النسا " بمجرد ان يدوس المعالج على رجل المريض وكانت لنا تجربة مع هذا المرض فبعد ان امرتنا الطبية بالخضوع لعملية جراحية توجهنا للعيادة وفعلا كان علاجهم نافعا ، يتم الدوس او " العفس " مرتين في يومين متتاليين ويكون المريض دائما مستقبلا القبله، وفي المرة الثالثة من اجل قطع المرض الذي لا يتم إلا ايام السبت قبل طلوع الشمس يتوجه المريض للمعالج اين يأخذه للبرية بحثا عن عشبة الدرياس يستقبل المريض القبله ويضع رجله على العشبة ويقوم المعالج بقطع جذورها في تلك اللحظة ثم رميها بعيدا.

3-لبهالية : اذا تم عض شخص من سكان المنطقة من قبل كلب مسعور بمعنى مصاب بداء الكلب، يتوجه مباشرة الى لبهالية حيث يأخذ معه مقدار كلغ من الدقيق ويقوم فرد من لبهالية بالقراءة عليه سرا ثم يأخذه المصاب ليرميهِ امام الكلب المسعور فبمجرد ان يأكل الكلب ذلك الدقيق يشفى المصاب.

خاتمة الفصل:

في هذا الفصل تمكنا من تحديد الخصائص العامة لثقافة ميدان البحث وتركيبته الاجتماعية حيث لا تزال المنطقة محتفظة بتركيبية ثقافية تجمع بين الموروث والمعاصر لكن لاحظنا ان الموروث بكل أشكاله الفعلية والذهنية يكاد يسيطر على التمثلات الاجتماعية في المنطقة بكل اشكالها وخاصة الطقوسية.

الفصل السادس

تحليل الفرضية الاولى

تمهيد:

تتنوع المعتقدات المتعلقة بالموت فمنها ما يدخل في دائرة التشاؤم ومنها ما يدخل ضمن دائرة الأحاسيس الإنسانية، وبعضها يدخل ضمن التصورات الميتافيزيقية أو ما واء الطبيعة، كما تعتبر عملية الاحتضار المرحلة التمهيدية والانتقالية للموت بالنسبة للمحتضر ولأقاربه في آن واحد، وبين تمثلات التنبؤ بحدث الموت وطقوس الاحتضار حاولنا ابراز اهمية المرحلة الانفصالية في طقوس الجنازة باعتبارها طقسا مروريا.

1. اقتراب الاجل وطقوس الانتقال

1.1. علامات اقتراب الاجل بين الدين والموروث الشعبي

حتمية الموت تجعل الناس يقدمون توقعات لقرب هذا الحدث المصيري فتنوعت هذه التفسيرات في مجتمع بحثنا بين ما هو صادر عن العقيدة الدينية الاسلامية وبين ما هو متوارث شعبيا، فمن الناحية الدينية تعد معرفة موعد الموت من الامور الغيبية والدليل على ذلك هو قوله تعالى " وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت " ¹، أما الموروث الشعبي فإنه يقدم عدة حلول لهذا التصور منها ما ينسبه مجتمع البحث الى الدين وما هو منه، ومنها ما تنتوع دلالاته الرمزية التي يترجمها المخيال الشعبي بين الحلم والواقع.

2.1. دلالة الاربعين قبل الموت

يقترن الرقم أربعين بالموت من البداية الى النهاية ونقصد بذلك منذ بداية التنبؤ بحدوث الوفاة الى انتهاء طقوسها، وهو الاعتقاد به يمكن اعتباره كنتيجة للتداخل الثقافي بين الموروث الشعبي المحلي وبين العديد من الرواسب الثقافية من حضارات مختلفة، ونجد ذلك في مجتمع البحث متمثلا في الاعتقاد بأن الانسان يحس بدنو اجله قبل اربعين يوما من وفاته حيث يتمثل الافراد وجود " شجرة القدر أو شجرة العرش وهي شجرة كبيرة في السماء السابعة ذات أغصان كثيفة وأوراق خضراء، ولكل إنسان فيها ورقة، خط عليها اسمه، وقبل أن يموت بأربعين يوما تصفر هذه الورقة، فإذا مات تقع " ²، ولاحظنا ان المبحوثين يؤكدون ان مصدر هذا الاعتقاد هو الدين الاسلامي ولم نجد لهذا الاعتقاد سند ديني لا في الكتاب ولا من السنة، وهنا لاحظنا ان موضوع الموت وطقوسه مما يقع فيه الخلط بين ما هو موروث وما هو من الدين، وان النقاش في مصادر

¹ القرآن، سورة لقمان ، الآية 34.

² الباش حسن، المعتقدات في التراث العربي، مرجع سبق ذكره، ص 140.

هذه الاعتقادات وتوضيحها لأفراد مجتمع البحث يثير انزعاجهم لحد الاحجام عن اجراء المقابلات فردية كانت او جماعية نظرا لقدسية هذا الموضوع، وذلك ما يعكس شدة تمسكهم بكل الطقوس المحيطة بالموت وما يترتب عنها من تمثلات دون تفريق بين مصادرها.

3.1. الأحلام ورمزية قرب الاجل

تنوعت مصادر الموروث الشعبي التي تحمل دلالات رمزية على قرب الأجل أهمها ما تنبئ به الاحلام وهذه الاخيرة تختلف مضامينها الرمزية، فهناك نوع من الاحلام يحمل رموزا ودلالات علي موت الحالم نفسه، وهناك رموز تحمل دلالة موت فرد اخر غير الحالم، وقد قسم سميح شعلان¹ المؤشرات الدالة على الموت في الحلم الى ثلاث انواع.

أولاً: أحلام تنبئ بالموت من خلال المعنى الظاهر

هي احلام مباشرة في دلالاتها حيث تشير بشكل مباشر إلي وقوع الموت، وذلك من خلال موضوعاتها الصريحة أو المباشرة والتي تنبئ بموت أحد الاشخاص، وهي بذلك أحلام لا تتضمن رموزا تحتاج إلي تفسير وفي أغلبها يري الحالم نفسه وهو يشارك في جنازة صاحب حلمه أو يتلقي نبأ وفاته أو يراه وهو يموت أمام عينيه، وفي بعضها الاخر يرى الحالم نفسه وقد اتاه من يبلغه بقرب أجله وفي هذا الصدد

تنبأت مبحوثة من مجتمع بحثنا بموت والدتها بعد ان رأت في حلمها انها تغطي وجهها بوشاح أبيض وتروي المبحوثة رقم (01) هذا الحلم فتقول " شفت روحي ماما راقدة قدامي وانا نضت هزيت لغطا وحطيتو على وجهها عرفت بلي ربي راح يدي امانتو وما زادتش شهر وتوفاة "

¹ سميح شعلان، الموت في المأثورات الشعبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2000،

وفي حلم آخر رأى المبحوث رقم (03) انه ينعي اخاه ويلطم وجهه ويقول " قبل ما يموت خويا بنهار شفت روحي نبكي عليه بحرارة القلب ونعيط خويا مات"

وهناك نوع آخر من هذه الاحلام المباشرة في توصيل النبأ، حيث يأتي في الحلم شخص مجهول الهوية للحالم لينبئه بموته حيث تروي احدى مبحوثاتنا ان زوجة اخيها قد اخبرتها انها رأت في المنام رجلا طويلا حسن المظهر لا تعرف هويته اخبرها انها ستموت قريبا وبالفعل لم تمر سنة على حلمها وتوفيت.

ثانيا: احلام تنبئ بالموت من خلال الرمز الدال

هناك أيضا احلام تشير الي وقوع الموت من خلال الرمز و من الرموز التي اتفق افراد مجتمع البحث عليها والتي تحمل مؤشرين اثنين، المؤشر الاول وهو المعني الظاهر المتمثل في الرؤية الظاهرة بالمتنبأ بموته وقد مات بالفعل أو أن صاحب الحلم يؤدي طقوس الموت عليه، والمؤشر الثاني هو وجود الرمز المنبأ بالموت جانبا الي جانب مع المؤشر الاول.

ونلاحظ ذلك من خلال حلم مبحوثة رقم (06) رأت في حلمها الكثير من لحم الغنم النيء وعندما سألت لمن هو أخبرها أنها لبناءها أنه لأختهم الصغيرة وبعدها توفيت الفتاة ولم تكن تعاني من أي مرض فالرمز الدال على الموت هو اللحم النيء، وفي حلم آخر لزوجة (المبحوثة رقم 02) تنبأت بموت زوجها انها رأت سقف منزلها يشتعل وهي تنادي " يا خلایا یا عرايا "وهي عبارات دالة على خراب البيت وقد فسرتة حينها بقرب اجل زوجها لانه ستر البيت وغطاؤه وقد توفي فعلا.

ثالثا: احلام تنبأ بالموت من خلال انعكاس المعني الظاهر

وهي الاحلام التي يتم التنبأ بوقوع الموقف فيها من خلال انعكاس المعني الظاهر في الحلم تشير الى ذلك احدى مبحوثاتنا (اخبارية رقم 06) بقولها " اذا راي احد في الحلم انه فرح وسعيد ويسمع

اغاني فانه سيحدث العكس " أي يكون التأويل بالضد ويعني أن رؤية البكاء في الحلم يؤول الى فرح، ورؤية الضحك تعني الحزن.

ولقد رات احدى مبحوثاتنا (مبحوثة رقم 04) اختها عروس والعرس فيه الكثير من الطعام الذي لم يتم طهيه بعد والأغاني الصاخبة فما مضى الى وقت وجيز حتى سمعت خبر وفاة اختها.

رابعاً: رموز الاحلام الدالة على الموت

من الرموز الدالة على الموت والتي تحملها الاحلام في مجتمع بحثنا نذكر منها وقوع احد الاسنان فإذا رأى شخص ان سنه وقعت او ضرسه فانه يؤول الى فقدان احد افراد عائلته وكلما كان السن في واجهة الفم وبعيد عن الاضراس تم تأويله بوفاة فرد يحتل درجة قرابية اقرب الى الحالم اضافة الى حلم سقوط احد اعمدة البيت او السقف وهنا نلاحظ انعكاس بنية الاسرة في رمز البيت فكل خراب يقع في بناء البيت يتم تأويله بفقدان احد افراد العائلة، كما ان رؤيا اللحم النيء تحمل دلالة الموت في المكان الذي تمت رؤية اللحم فيه وهي من الرؤى المجرب صدق دلالتها لدى عينة البحث حيث تقول المبحوثة رقم (01) بأن رؤية اللحم النيء مكروهة ولا يكذب خبرها الدال على وقوع مصيبة الموت، ايضا من الرؤى التي تدل على قرب الاجل هو ان يرى الانسان في المنام ميتا سواء من اقاربه المتوفيين او احد معارفه قد اتى واخذه معه او اخبره انه يجب ان يذهب معه وفي هذا تروي لنا المبحوثة رقم (12) انا اباها اخبرهم قبل موته ان يستعدوا لوداعه وعندما سأله ما السبب لانه يتمتع حينها بصحة جيدة فلا داعي لذكر الموت، اخبرهم انه رأى في منامه المرحومة أمه أتت وقالت له " هيا يا عبد المجيد تروح قالها ما زال الحال يا يما قاتلو هيا برك راه جاي وقت مش مليح هيا تروح معايا " وبعدها بعدة أشهر توفي.

ومنه نستنتج ان علامات الموت تختلف بين رؤية الموتى والطعام النيء وخراب العمران لانها تحمل في ذهنية افراد البحث دلالات قريبة من طقوس الموت فاللحم النيء لا يتم ادخاله عادة الى

البيت بكميات كبيرة الا في طقوس الموت، كما ان خراب البيت هو صورة ذهنية راسخة لدى النساء خاصة عندما يتوفى الزوج او الاب بأن البيت صار خراب كناية عن فقدان الفرد المسؤول عن توجيه باقي افراد العائلة، فتحدث الفوضى داخل هذا البناء الاجتماعي، تؤول رمزيا بالفوضى التي تحدث عند سقوط سقف او اعمدة المنزل، اما رؤية الميت الذي يأخذ الحي معه فتأويلها بالموت نابع اساسا من الخوف من الموتى واعتبارهم ذوي سلطة روحية لا يستطيع الاحياء مقاومتها او رفض ما تأمر به وفيما يخص وقوع الضرر فيقدم سميح شعلان تفسيراً مفاده ان عملية قلع الاسنان اثناء زمن ليس بالبعيد كانت بادوات بدائية يرافق الالم الشديد عملها وهو ما بقي مخزونا في اللاوعي الجمعي فترجمته الاحلام كرمزية دلالية على حدوث الم مماثل في القوة سببه فقدان احد افراد الجماعة.

4.1. الغراب وفحل الغنم بين رمزية الموت الشعبية والدينية

تمتد علاقة الإنسان بالطيور والمواشي إلى اقدم العصور حيث تجسدت هذه العلاقة أحيانا في شكل تعبدى متمثلا في الطوطمية وأحيانا اخرى اعتبرت كأيقونات تحمل رمزية الموت. و الغراب من أكثر الطيور التي حظيت بالاهتمام في التراث الشعبي الإنساني عامة إذ لا يكاد تراث أمة من الأمم يخلو من الإشارة إليه وعلاقته بالموت حيث تجمع هذه الإشارات على أن الغراب طائر مشئوم وأنه نذير بالموت والخراب ودليل على الفراق، والعرب تنتشام بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه " الغربة والاغتراب والغريب، ولأنه يسكن البيوت المهجورة ارتبطت صورته في الوجدان الجمعي الشعبي بالفراق والخراب " ¹ وهكذا ارتبطت صورة الغراب بالموت على مدى التاريخ وفي مختلف الحضارات ففي الحضارة الرومانية ارتبط تمثل الغراب بالموت وذلك ما جسده

¹ كمال الدين محمد بن موسي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2012، ص

الاساطير الرومانية التي تم نقشها على جدران المعابد ففي الاسطورة يروي " الروماني المثقف أن روح رجل يدعى أريستياس شوهدت تطير خارجة من فمه على هيئة غراب أثناء نومه " ¹ وذلك ما يحمل مدلولان أولهما فراق الروح للجسد وثانيهما تمثل الروح على هيئة غراب وهي تغادر هذا الجسد يحمل مدلولاً رمزياً يترجم بالفراق النهائي لهذا الجسد أي الموت.

اما في مجتمع بحثنا فتعد رؤية الغراب نذير شؤم وكلما كثر عدد الغربان التي تحوم حول البيت كلما تأكد أهله ان هناك موتاً وشيكاً لأحد أفرادهم، ولقد ارتبط صوت نعيقه بالنواح حيث يقال في المثل الشعبي " يندب عليا كي لغراب " كناية عن التشاؤم من صوت الغراب وصياحه المنذر بقدوم الموت.

و في المصادر الدينية الاسلامية ارتبط ذكر الغراب بحدث الموت متمثلاً في اول حدث قتل بين البشر وهو حادث قتل قابيل أخاه هابيل إثر تقبل الله قربان قابيل وعدم تقبله من هابيل يشرح ذلك القرطبي بقوله " فجهل كيف يقتله فجاء إبليس بطائر فجعل يشد رأسه بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل، ولما قتله ندم ففقد يبكي عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل القاتل بأخيه كذلك " ² وهذا تفسير القرطبي لقوله تعالى في محكم التنزيل " فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين " ³، فالغراب اذن هو اول من علم الانسان طقس الدفن.

¹ بوريا ساكس، الغراب التاريخ الطبيعي والثقافي، ت: ايزمير الدا حميدان، هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث، 2010، ص 83.

² كمال الدين محمد بن موسي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سبق ذكره، ص 237.

³ القرآن، سورة المائدة ، الآيتين 30، 31.

وبالإضافة الى الغراب هناك أيضا صورة رمزية لحيوان آخر تحمل دلالة الموت في الدين الاسلامي وهي مذكورة في الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال " يؤتى بالموت كهيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت " ¹ وفي هذا الحديث يبين النبي صلى الله عليه وسلم انه يؤتى بالموت على هيئه كبش فيه بياض وسواد لكن سواده اقل من بياضه وهو معنى الأملح، فيذبح كدلالة رمزية على بداية الخلود الانساني في عالم ما وراء الموت.

2. طقوس الاحتضار والاستعداد للحظة الموت

الموت هو المصير الذي لازم وجود البشرية منذ الأزل وما يصاحبه من حزن ممزوج بالخوف يميز لوجود الجماعة ولكي يضبط الوجدان الجمعي لديه، لا يتأنى في اعتماد كل الطقوس الدينية المعروفة لدى الجماعة وحتى الشعبية ذات المصادر المختلفة من اجل تحقيق هدفين اساسين اولهما السيطرة على المنظومة العاطفية للجماعة وثانيهما اجتياز هذه اللحظة الانتقالية، لأن المجتمع يحاول دائما اعادة التوازن لأعضائه خلال النكبات، لكن دون الضغط على الافراد فيهيئ لهم قوالب تنظم عملية افراغ الحزن المشحون خلال هذه الأزمات الوجودية.

هذه القوالب يتشارك في صنعها الدين والعرف معا، فطالما قدم المعتقد الشعبي قبل تاريخ وجود الاديان السماوية الثلاثة حلولا لتجاوز هذا الموقف المفكك للجماعة، وان المتصفح للبحث في تاريخ الموت سيجد ما يثبت قيام المجتمع بهذه المهمة في حضارات سبقت الحضارة الفرعونية بألفي عام ليمنح افراده سبلا طقسية تخفف الم الفقدان وهو ما عبر عنه الانثروبولوجي برناردو أرثيا بقوله "

¹ البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 2002، ص 130.

ان كل البشر في الماضي والحاضر يشتركون في الالم الذي يسببه فقدان شخص محبوب " ¹ هذه المقولة التي اطلقها بعد بحثه عن اسباب التعامل الطقسي لسكان التشيلي مع موتاهم حيث كانوا يقومون بتحنيطهم والاحتفاظ بهم بين الاحياء لمدة من الزمن قبل دفنهم، هذا ما اعتبره ترجمة لمشاعر عدم تقبل الفراق ويتساءل " ما هي هذه المشاعر التي عاناها هؤلاء عند فقدان شخص في جماعتهم " ² حتى لا يستطيع المتقد الشعبي السائد لديهم تقديم طقوس مناسبة أكثر لتجاوز الم لحظة الفقد افضل من الاحتفاظ بجثة الفقيد نفسه.

ان معضلة مواجهة لحظة الاحتضار وتهيء افراد الجماعة قبل المحتضر لهذه اللحظة؛ قدمت لها الاديان السماوية مجموعة ضوابط وان اختلفت في ممارساتها الطقسية فإننا نجد توافقا في توجهها، فنحن نلاحظ اهتمام الاديان بتوجيه تركيز الجماعة على مصير المحتضر مما يخفف عنهم الم التفكير في الفقد ذاته خلال هذه اللحظة، ان الشعور بإتمام مهام افراد الجماعة اتجاه المحتضر على اكمل وجه يعطي نفحة من الرضى داخل نفس الافراد المعنيين، فتشكل بذلك متنفس للضغط الحاصل خلال هذه اللحظات العصبية التي تعانيتها الجماعة.

1.2. طقوس التطهير من المذنب الى المقدس

تمثل المرجعية الدينية لشعائر الاحتضار في مجتمع بحثنا في ان يكون المحتضر " طاهر الجسم والثوب والفراش، وأن يعطر المكان الذي يكون فيه بالاضافة الى وجوب إزالة كل نجاسة وكل رائحة كريهة إن أمكن ذلك " ³ ، فينبغي على الافراد الملازمين للمحتضر ان يقوموا بتنظيفه

¹ دوغلاس ديكيس، الوجيز في تاريخ الموت، ت، محمود الهاشمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،

دمشق، 2014، ص 44.

² المرجع نفسه، ص 44.

³ ابن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،، ج1، ط1، 1988، ص231 .

وتطهيره وتطيبه وذلك لاعتقادهم بحضور الملائكة في هذه اللحظات وهو ما عايناه من ممارسات طقسية خلال جميع جنازات العينة المدروسة.

ولا يكتفي مجتمع البحث بتطهير المحتضر فحسب بل تمتد الدلالة القدسية لتمس كل الفضاء المحيط بالمحتضر من خلال العناية بكل الموجودات من الاثاث والحيوان فلا يترك الى جانبه كلب ولا تمثال ولا صورة ولا آلات عزف فكل هذه العناصر يعتبر حضورها تابو لدى مجتمع البحث ويستندون الى الدليل الشرعي المستمد من الحديث " لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب " ¹ اضافة الى وجوب ابعاد كل المرايا واخراجها من غرفة المحتضر للاعتقاد الشعبي في ان روح الشخص المحتضر عند خروجها من الجسد اذا ما وجدت مرآة بجانبها فإنها تسجن في تلك المرآة وتبقى حاضرة فيها لا تغادرها فتتعذب وتسبب الالام للأحياء بسبب سجنهم لها في تلك المرآة بقول المبحوثة رقم (11) " تتسكن المرايا تقعد فيها الروح كي تشوف روحها فيها تعجبها تولي تدخل فيها وتبقى تتعذب وتخوف مالين الدار "

ويضاف الى الموجودات العنصر البشري المتمثل في الحاضرين فلا يسمح لحائض ولا نفساء ولا جنب بالحضور او الاقتراب من المحتضر والدليل الشرعي هو ما روي عن الائمة في المذاهب الاربعة انه " ذهب بعض أهل العلم إلى أن الميت يجنب في حال احتضاره الحائض، والنفساء، وآلة اللهو، ونحو ذلك مما تكرهه الملائكة حيث قال ابن قدامة في المغني يكره للحائض والجنب تغميضه، يعني الميت وأن تقرباه، وكره ذلك علقمة، وروي نحوه عن الشافعي، وكره الحسن وابن سيرين وعطاء أن يغسل الحائض والجنب الميت، وبه قال مالك وقال ابن أبي زيد القيرواني في

¹ محمد ابن حبان البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ج4، ط1،

الرسالة ويستحب ألا يقربه حائض ولا جنب"¹ ولقد ارتبطت هذه الممارسات الطقسية في المعتقد الشعبي ليس بكونها تعمل على تسهيل خروج الروح من الجسد فقط بل من فضاء المنزل ايضا. ارتبط الخوف من بقاء الروح في فضاء الاحياء بالمخيال الشعبي عبر العديد من الحضارات منها الحضارة الفينيقية اذ يمثل كسر المرايا آخر طقس لدى الفينيقيين حيث وجد علماء الآثار بقايا المرايا المكسورة ضمن الاثاث الجنائزي في غرف الدفن التي تعود تاريخيا الى الحضارة الفينيقية أما الحضارة الفرعونية فكان كسر جرة من الفخار " آخر طقوس الموت عند المصريين القدماء، وقد كان الغرض منها عدم عودة الموتى إلى بيت الأحياء ومضايقتهم "² اما الرومان فانعكس خوفهم من ارواح الموتى والارواح الشريرة في اقامتهم طقوس الدفن ليلا " فقد كانوا يحملون مشاعل النار معهم أثناء الدفن بغرض اخافة الارواح الشريرة كما اعتادوا وضع شجرة الصنوبر او السرو عند مدخل بيت المتوفي لاعتقادهم انها تبعد عدوى الموت وتحمي الحاضرين من الارواح الشريرة"³، وذلك يظهر ان تعامل الانسان مع العالم الغيبي يغلب عليه طابع الخوف والانكار.

2.2. طقوس التلقين وإرواء المحتضر

طقس التلقين هو طقس ديني يقوم على ضرورة تلقين المحتضر شهادة لا اله الا الله ممن يجلس عنده وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم " لقنوا امواتكم لا اله الا الله"⁴، ولحضة التلقين من اصعب اللحظات التي يعيشها افراد المجتمع لأنها تحمل دلالة الاستعداد النهائي لقبول الموت.

¹ عبد الله بن قدامة، المغنى، مكتبة القاهرة، ج 2، ط 1، ص 308.

² الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، 1999، ص 243.

³ حسني عبد الرزاق، طقوس الموت قبل الاسلام، مقارنة بين طقوس الحضارتين العراقية والرومانية، مجلة

الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 03، أيلول 2023، ص 275.

⁴ مسلم ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد ابو قتيبة، دار طبية الرياض، 2006، ص 408.

وعند الاحتضار يتوقع الافراد حدوث واقترب لحظة الموت بوجود دلالات في جسد المحتضر وهي برودة الأطراف هذيان وتحدث المحتضر مع الموتى وهم عادة اقرباؤه او اصدقاءه من المتوفيين يتحدث معهم وكأنه يراهم رأي العين، فيتوقع حينها الافراد الحاضرين قرب حدوث الموت فيلتفتون حوله محاولين تذكيره بالشهادة ان لا اله الا الله بترديدها على مسامعه دون امره بتكرارها وذلك مخافة اثاره الفزع في نفسه في انه سيموت فلا ينطق بها، وهناك علامات اخرى للاحتضار منها اشتداد الحر على المحتضر حتى يتصبب عرقا.

ويستحب في هذه اللحظات قراءة سورة يس وذلك لقول أسد بن وداعة " من حضره منكم الموت فشد عليه فليقرأ عليه يس فانه يخفف عليه الموت " ¹ ويطلب عادة من اصدقاء المحتضر واقربائه من الدرجة الثانية، ان يحضروا في تلك الساعات من اجل توديعه ومن اجل التضامن مع اقربائه من درجة الاولى وهذه الممارسة تحمل وظيفيا دلالة الدعم النفسي وتقوية روابط العلاقات الدمية والاجتماعية.

ومن الطقوس ايضا سقي المحتضر بالماء البارد ففي المعتقد الشعبي اثناء الاحتضار يكشف بصر المحتضر فيصير قادرا على رؤية الملائكة والشياطين فيحضر شيطان يغري المحتضر يقول له " اكفر واعطيك الماء لتشرب ويشدد عليه العطش من شدة الاحتضار لذلك يجب على الافراد الحاضرين ان يقوموا بإعطائه الماء البارد وغرغته لمساعدته على الثبات امام اغواء الشيطان له.

3.2. طقوس عند سكرات الموت

سكرات الموت هي شدته وكربته التي تعترى المحتضر عند نزول الموت به كما جاء في محكم التنزيل قوله تعالى " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد " ² فالسكرات ترتبط

¹ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت لبنان، 1997، ص 82-83.

² القرآن، سورة ق، الآية 19.

بلحظة اقتراب حدوث الموت لقول عمر الأشقر " للموت سكرات يلاقيها كل إنسان حين الاحتضار " ¹ وسكرة الموت هذيان شديد وألم يغشى المحتضر، قال الراغب في مفرداته " السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس والغشي الناشئ عن الألم وهو المراد هنا " ² وقد عانى الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه السكرات " ففي مرض موته صلوات الله وسلامه عليه كان بين يديه ركوة أو علبه فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات " ³ وما يصيب المؤمن من سكرات الموت وشدته فإنه من جملة المصائب التي يجعلها الله تعالى رفعة لدرجاته أو تكفيرا لسيئاته.

هذا من الناحية الدينية الخاصة بالإسلام أم عند الغرب فيطلق على هذه اللحظة اسم تجربة الاقتراب من الموت، أو تجربة الموت الوشيك أو حافة الموت و " هي تعبير يشير إلى مجموعة من الرؤى والأحاسيس الاستثنائية التي يعيشها الأفراد الذين يواجهون موتهم منها غيبوبة متقدمة أو إدراك بسيط لموتهم الوشيك، سواء كان الخطر حقيقيا أو مجرد تصور، وقد تحتوي تجربة الاقتراب من الموت رؤية أشخاص موتى أو ضوء ساطع أو تذكر كل ما مر به المحتضر خلال حياته " ⁴ وتعد هذه اللحظات الصعبة مشكلة تتقاطع فيها التفسيرات العلمية مع التفسيرات الفسيولوجية والنفسية.

فقد حاولت الكثير من الدراسات العلمية المعاصرة معرفة ما يحدث للإنسان خلال سكرات الموت ولماذا يرى الموتى يتحدثون إليه هل هذه اللحظات هي مجرد هلوسات أم أنها بداية انفصال الروح

¹ عمر بن سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، دار النفائس، 2004، ص 12.

² الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، 2009، ص 197.

³ الألباني، صحيح الجامع، المكتب الاسلامي، 2006، ص 175.

⁴ Greyson B, Near-Death Experiences, American Psychological Association, Washington, 2000, P 315.

عن عالم الاحياء ودخولها لعالم الاموات، بالاضافة الى ان التقدم العلمي اثبت ان الموت لا يتعلق بتوقف القلب لانه يمكن انعاش المحتضر في هذه الحالة، لكن حدوث اصابة في الجذع الدماغي يؤدي لا محال الاستسلام لحدث الموت المحقق.

من بين الدراسات التي اهتمت بلحظة الموت، دراسة لفريق من علماء الاعصاب الالمانيين قاموا بها في جامعة لاشاغيتي ببرلين ونشرت نتائجها في مجلة العلوم والحياة الفرنسية¹ ولقد شملت هذه الدراسة تسعة حالات لأشخاص كانوا في العناية المركزة بعد أن أصيبوا بجلطات دماغية حادة وفي هذا الاطار تم ربط ادمغتهم مباشرة بأجهزة قياس النشاط الكهربائي العصبي وبعد ان اتضح ان لا امل في انقاذهم وافقت عائلاتهم على ان يواصل اطباء الاعصاب القيام بقياس النشاط الكهربائي العصبي في الدماغ خلال الموت لكي يروا ما يحدث.

انتهت هذه الدراسة الى نتائج مفادها انه عندما يتوقف القلب عن الخفقان يلاحظ في الدماغ وبشكل متزامن نقص حاد في النشاط العصبي بسبب توقف تزويد الخلايا العصبية بالأكسجين كما لو ان تلك الخلايا تشعر بالمشكل فتحاول ان تقلل من استهلاك ما تبقى من مخزون الطاقة لديها، يستمر ذلك لثلاث دقائق تقريبا في هذه المدة تبقى الخلايا العصبية سليمة وقد تعود للعمل بشكل عادي اذا هي زودت بالأكسجين من جديد، وفي غياب ذلك فان مخزون الطاقة ينخفض رغم ضعف النشاط العصبي الى ان يصل الى مستوى خطير بالنسبة للخلايا ومن ثم يلاحظ انفجار مفاجئ أو موجة مفاجئة داخل الدماغ تبدأ الخلايا العصبية المصابة بالإجهاد في العمل بسرعة وب نشاط كبير مرة واحدة يترافق ذلك وإطلاقها لمواد سامة في الوسط بين خلوي مواد كالبوتاسيوم وحمض الجلوتانيك ينطلق بعدها تفاعل تسلسلي وكأن العدوى تنتشر بين الخلايا العصبية في الدماغ التي تفرز

¹ Lise Giugis, **L'expérience De Mort Imminente**, Une Stratégie De Survie, Science Et Vie Magazine, 27 Avril 2022, P 15.

مستويات عالية من تلك المواد وتلك الموجة المفاجئة والقوية تنتشر في كل اطراف الدماغ وتستمر لعدة دقائق، وفي نهاية المطاف وبسبب كثرة المواد السامة المفرزة تموت الخلايا العصبية تدريجيا. اذا الموت الدماغى ليس امرا انيا بل يدوم لدقائق عديدة ويسبقه نشاط عصبى كثيف ومفاجئ لكن لم تصل الدراسة الى ما اذا كان المحتضر يحس بشيء خلال هذا الانفجار الدماغى أى ان يكون فى حالة وعى ام لا، تلى هذه الدراسة تجربة اخرى تم نشرها فى مارس 2023، فى مجلة pnas الامريكية¹، اسفرت عن نتائج مفادها أن منطقة الدماغ المسؤولة عن الوعي تكون نشطة اثناء هذه العملية الانفجارية داخل الخلايا العصبية، لكن المفارقة تكمن فى ان هذا الوعي لم يحدث لدى كل الحالات المدروسة بل تم فى حالتين فقط من اصل اربع حالات

حيث انه لإجراء هذه الاختبارات كان لزاما ايجاد مرضى اصابوا بسكتة قلبية وفى اطار محاولة انقاذهم تم ابقائهم تحت التنفس الاصطناعى وبعد اتضاح عدم امكانية انقاذهم تم قياس النشاط الدماغى قبل وأثناء وبعد فصل اجهزة التنفس عنهم، تمت التجربة على أربعة مرضى فى حالة السكتة القلبية وبعد فصل اجهزة التنفس وقياس النشاط الدماغى تبين أنه لدى حالتان احدهما تبلغ العمر 24 سنة والأخرى تبلغ من العمر 77 عاما لوحظ ان النشاط الدماغى وعند فصل اجهزة التنفس بلغ مستوى عال من موجات غاما وهو مستوى مرتبط عادة بالوعي وحدد الباحثون المنطقة الأكثر نشاطا فى الدماغ خلال اللحظات الاخيرة للمريضتين وهى منطقة الموصل الصدغى الجدارى، منطقة اثبت فيما قبل ارتباطها بتذكر الاحلام والنشاط الذى تم رصده فى هذه الدراسة يشبه ذلك الذى لوحظ عند اناس يعانون من هلوسات بصرية وشعور بالتواجد خارج الجسم وذلك يعنى حسب القائمين بالدراسة ان المريض قبل الموت يرى شيئا ما او يسمع أشياء ما بالإضافة

¹ Gang Xu And Ether, Surge Of Neurophysiologic Coupling And Connectivity Of Gamma Oscillations In The Dying Human Brain, Pnas ,U S A, 27 March 2023,P 12.

الى امكانية شعوره بألم الانفجار الخلوي الدماغي الذي لا يمكن تقدير شدته بسبب عنفه المضاف الى اطلاق الخلايا لمواد سامة من المؤكد انها توصل الألم الى حد لا يمكن تصوره، ان نتائج هذه الابحاث العلمية الآتية قد نجد تفسيره لدى مجتمع البحث الذي يحمل معتقدات حول عذاب لحظة الموت لقول المخبر رقم (03) " الروح على حساب وش دار مولاهم لكان دارها بيضا راه تخرج كلي تتهد يسهل عليه ربي الموت، ولدارها كحلة راها تكحال عليه ثم متعرفش منين تخرج الروح وتبقا لاسقتلو فقرجومتو ما تطلع ما تهبط ويبقى يتعذب حتى نديرولو الفدية " وهذا القول يحتاج الى تحليل لما يحمله من تعابير رمزية فبدائية بذكره لحالة روح شخص المحتضر اثناء خروجها من الجسد وبحسب افعال صاحبها ووصفه لهذه الفعل بالبياض، هذا الاخير هنا يدل على قيمة اخلاقية معبر عنها باللون الذي يرمز الى النقاء والطهر من الافعال الغير مرغوب فيها دينيا وثقافيا، في هذه الحالة لا يعي المحتضر ولا يحس بألم انفجار الخلايا الدماغية فلا يتعذب عند لحظة الموت، بعكس من حملت روحه قيمة اخلاقية سلبية معبر عنها بالسواد او اللون الاسود كدلالة رمزية على رفض هذه الافعال من قبل المجتمع ممثلا في نسقه الديني والعرفي معا، وهذا السواد بالاضافة الى الدلالة الرمزية يحمل ايضا لدى عينة البحث دلالة حسية وهي ما يغشى الروح اثناء رغبتها في الخروج من الجسد فلا تعرف السبيل اليه وتبقى معلقة في حلقوم المحتضر تسمع على شكل حشرة في حلقه مع برودة جميع اطرافه، فيبقى المحتضر على هذه الحالة لساعات وأحيانا أيام، حيث صادفتنا خلال بحثنا هذه الحالة استمرت بالمحتضر البالغ من العمر 45 سنة ، لمدة أربعة أيام حيث في اليوم الخامس لجأ أفراد شبكته الاجتماعية الى اقامة طقس الفدية، وكان الوقت ليلا، وفي صباح اليوم الموالي فارق المحتضر الحياة.

اما من منظور ديني فقد ورد في قبض الروح وخروجها من الجسم حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال " خرجنا مع النبي صلى الله عليه

وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال: استعيزوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا، ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب، فيقولون فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له من ربك فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك، فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، فيفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن، حسن الثياب، طيب ، فيقول أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول أنا عمك الصالح، فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال وإن العبد

الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح يعني الكفن، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عنده، فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله، قال فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة، إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث، فيقولون فلان بن فلان، بأفبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " ¹ فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ثم قرأ " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق " ²، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه، لا أدري، فيقولان له ما دينك، فيقول هاه هاه ، لا أدري، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول هاه هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب ، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول أنا عمك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة " ³ وفي هذا الحديث بيان لما تعانيه روح الآثم والكافر عند انتزاعها، واختلافها عن روح المؤمن التي تخرج

¹ القرآن، سورة الأعراف، الآية 40.

² القرآن، سورة الحج، الآية 31.

³ أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، دار الخلفاء الراشدين للنشر، مصر، ط 1، 2011، ص ، ص

بسهولة وطيب فلا يشعر المؤمن بما يشعر به الكافر والآثم من شدة الموت، وربما هو ما اختلفت فيه نتائج الابحاث العلمية المعاصرة حول اختلاف حالات الوعي بانفجار الخلايا العصبية الدماغية لحضة الموت.

وبالنسبة لمجتمع الدراسة فان لحظة سكرات الموت تبدأ بهلوسات المحتضر ورؤيته لأقاربه ومعارفه المتوفيين، فيطلب من الحاضرين الاستعداد لهذه اللحظات الصعبة على المحتضر ومن يرافقه، تتطور لتصبح صعوبة في النطق يطلق عليها مجتمع البحث بثقل اللسان وهي علامة بداية الدخول في حالة الموت ثم ثقل الاطراف وبرودتها يليها تغير في لون الجلد الى الازرق ويبدأ ذلك من اصابع القدمين واليدين ثم تليها حشجة في صدر المحتضر ، يسمعها كل الحاضرين بسبب صوتها القوي يطلق عليها مجتمع البحث بـ " الخرايشة تاع الموت " لأنها دليل على حدوث الموت بعد ساعات وربما لحضات فقط، في هذه الاثناء يمنع منعاً باتاً بكاء الحاضرين بصوت مسموع او اصدار اي صوت مفرع من شأنه ان يمنع عملية الموت حيث ينظر مجتمع البحث الى هذا الفعل بأنه معطل لموت المحتضر تقول المبحوثة رقم (11) " الروح تاعو تتعلق وميموت ما يحيا مسكين تبقا فالخلق ويظل يتعذب حتى يجيبولو الطلبة يقرأو على راسو باه يسهلو ربي يخرج الروح" ومعناه ان الخوف من تعلق بقاء الروح في حلق المحتضر دون خروج بسبب سماعه للبكاء او الصراخ مما يؤدي لفزعه فلا تتم عملية خروج الروح بعدها الا بعد احضار رجال دين يقومون بقراءة القرآن بجانب المحتضر وذلك للمساعدة في خروج روحه، وعند مرور اللحظات الاولى من الموت يدعوا الحاضرون بالرحمة والمغفرة لروح الميت.

والجدير بالذكر ان المجتمع بكل مؤسساته لا يقبل الانهزام امام الموت فمهما حدثت علامات قربه يظل الافراد في محاولة الحفاظ على حياة المحتضر بتقديم كل الوسائل المتاحة لمعالجته تعبر عن ذلك المبحوثة (05) " ناس بكري يقولو اجري على الروح حتى تروح " وهو مثل شعبي يحمل

دلالة عدم الاستسلام للموت بل يجب ان يقدم اعضاء الشبكة الاجتماعية التي ينتمي اليها المحتضر كل انواع الدعم واستنفاد كل طرق المعالجة من اجل الحفاظ على حياته، وذلك ما لاحظناه خلال دراستنا متمثلا في الحرص الشديد لتقديم اي وسيلة يرى الفاعلون الاجتماعيون امكانية منعها لحدث الموت هذه الوسائل اختلفت بين الادوية الطبية والاعشاب العلاجية الشعبية والرقى والتمايم المستمدة من الموروث الشعبي مما يبرز بجلاء استحضر المجتمع لكل موارده دينية، شعبية ثقافية من اجل احتواء تلك اللحظة وتجاوزها دون خسارة احد افراده، فكأن المجتمع بكل افراد شبكته وكل انساق مؤسساته يواجه خلال حدث الموت مصير وجوده، فيحارب الجميع من اجل الحفاظ على هذا الوجود، وان القول بالموت الطبيعي لكبار السن المرضى وتقبل المجتمع لهذه النهاية الطبيعية، لم نجده في مجتمع دراستنا بل ان حرصهم الشديد على حفظ حياة كل فرد صغيرا او كبيرا الى غاية الغرغرة وهي وصول الروح الى الحلق هذه اللحظة الوحيدة التي يستسلم فيها افراد شبكة المجتمع المدروس للموت، وهذا التمسك بكل فرد راجع الى قوة العلاقات بين افراد هذا المجتمع الريفي الذي يحتفظ بوحده ويؤكد على تضامن افراده خلال هذه الازمات.

5.2. طقس الفداء

في بعض الحالات والتي يشتد فيها المرض ويدخل المريض في حالة الاحتضار لأيام، يعتمد مجتمع البحث طريقة مستمدة من الموروث الشعبي للمنطقة تعمل على مساعدة المحتضر في محنته تتمثل في تقديم اضحية والتصدق بالطعام المحضر من لحم هذه الاضحية وتقديم الطعام لكل الناس دون تعيين فكل من وجدوه في الطريق تتم دعوته للمشاركة في تناول الفدية يشرح ذلك المخبر رقم (03) بقوله " كي تحصل الروح تاعو نفديوه نذبو ونوكلو ونجييو الطلبة يكررو ختمة كاملة وكي يكملو يهزو يديهم يدعيو لكان عاد هاذ العبد تاع الحياة ربي يشفيه وينوضو ولكان تاع الوفاة وخلص رزقو ربي يسهلو ويدي امانتو" وذلك يعني ان طقس الفدية هو عبارة عن تقديم قربان

او اضحية بين يدي الله يأكلها المساكين وعابري السبيل ويجتمع في هذا الطقس مجموعة من حافظي القرآن الكريم للتلاوة بجانب المحتضر وعند الانتهاء واختتام القرآن يقومون بالدعاء والتضرع لله من اجل ان يشفي هذا المحتضر اذا كان مقدرا له طول العمر او ان يقبض روحه بان يسهل خروجها اذا نفذ رزقه ووفى أجله.

لقد كانت التضحية موضوعا للدراسة الأنثروبولوجية منذ بداية أبحاثها حيث نشأت عدة مناهج تفسيرية لهذه الممارسة الطقسية اختلفت باختلاف المدارس النظرية ففي التطورية نظر تايلور الى التضحية على انها سمة من سمات الجماعات البدائية وعرفها بأنها " تقديم هدية لإله من اجل اصلاح ضرر او تعويض عن اقتراف ذنب "¹، اما المدرسة الوظيفية فقد اعتبر اتباعها التضحية عمل طقسي يعمل على تقوية روابط المجتمع وتوحيد وحداته البنائية، وذلك ما نلمسه في مجتمع البحث حيث يتم توزيع الطعام المحضر بلحم الفدية على كل افراد المجتمع دون استثناء او تمييز وهذه الممارسة من شأنها تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية بين افراد الشبكة الاجتماعية، اما إيفانز بريتشارد من ناحية أخرى فقد عرف التضحية بأنها " تقديم حياة واحدة لتحل محل حياة أخرى "²، وهو ما نجده منطبقا على العمل الطقسي الموسوم هنا بالفدية، كما يمكن لنا مقارنته دينيا مع ذكر هذا اللفظ في الدين الاسلامي، حيث يقول الله عز وجل في محكم التنزيل " وفديناه بذبح عظيم "³ فقد جاء في تفسير الطبري ان معنى هذه الآية هو " وفدينا اسحاق بذبح عظيم، والفدية الجزاء، يقول جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم وانقذناه من الذبح "⁴، وهو المعنى ذاته

¹ Quiñones-Reyes, Samuel Ávila, **Animal Sacrifices: A Mechanism To Silence The Spirits Of Victims**, Jangwa Pana, Vol. 17, No. 1, 2018, P 133

² Ibid, P 134.

³ القرآن، سورة الصافات، الآية 107.

⁴ ابو جعفر ابن جرير الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويا آي القرآن**، دار الهجرة للطباعة والنشر،

2001، ص 120.

في تقديم الفدية المتمثل في ذبح رأس من الغنم بغية انقاذ روح المحتضر من العذاب بين الحياة والموت الذي يتمثله افراد شبكته الاجتماعية وهنا تصبح التضحية لديهم هي عمل طقسي يربط بين عالم المدنس والمقدس بطريقة رمزية مبنية على التقابل بين روح الاضحية وروح المحتضر .

مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

يتفاعل دور كل من الدين والموروث الشعبي في بناء الطقوس الجنائزية خلال طقوس الفصل بتشكيلهما لمنظومة اللاوعي الجمعي المترجمة لتمثلات التنبؤ بحدث الموت، واحتواء لحظة الاحتضار كبداية لفصل الفرد الميت عن مجتمع الاحياء أكدت المعطيات الحقلية صحة هذه الفرضية ويمكن تفسيرها من خلال النقاط الآتية:

- المواضيع والمؤشرات التي تنبئ بحدث الموت رغم اختلاف مضامينها الرمزية الا انها تشترك في الأثر الذي تتركه في اللاوعي الجمعي الذي يربط بين حدث الموت وكل مؤثر يحمل دلالة الالم الذي لا يمكن مقاومته.

- دلالات التنبؤ بحدوث الموت هي نتيجة للتفاعل الثقافي بين الموروث الشعبي المحلي وبين العديد من الرواسب الثقافية من حضارات مختلفة.

- الطقوس الجنائزية بمختلف ممارساتها تحمل طابعا مقدسا يجعل من طقوس الموروث الشعبي لا تقل قدسية عن الطقوس الدينية خلال تأدية هذه الممارسات الجنائزية.

- الخوف من الموتى واعتبارهم ذوي سلطة روحية يمتد حضوره من الثقافات القديمة الفينيقية والمصرية وحتى الرومانية وانتقالها الى منطقة شمال افريقيا بسببين اولهما الاحتكاك الثقافي وثانيهما الغزو الاستعماري .

- اعتبار بعض الحيوانات أيقونات رمزية تحمل دلالات الموت انتقل الى القطر الوطني عبر الحضارات الفرعونية والرومانية.

- ارتبط الخوف من بقاء الروح في فضاء الاحياء بالمخيل الشعبي عبر العديد من الحضارات منها الحضارة الفينيقية والمصرية والرومانية مما انتج لنا طقوسا تظهر ان تعامل الانسان مع العالم الغيبي يغلب عليه طابع الخوف والانكار.

- التنبؤ بالموت عن طريق الاحلام راجع الى منظومة ثقافية معقدة وجود تفسيرات للموت ذلك ان الثقافة تعمل كنسق متكامل يقدم كل عنصر فيها حولا للأفراد المنخرطين في هذه الثقافة.

- الانسان يقوم بتفعيل الموروث الشعبي عندما يعجز عن وجود حلول لما يصادفه من صعوبات في الثقافة المجتمعية المعاصرة.

- المعتقدات الماورائية متمثلة في الدين والموروث الشعبي تزود اعتقاد الافراد بإمكانية التنبؤ بموعد حدوث الوفاة عبر سلسلة من الاحداث والدلالات الرمزية التي يلاحظها أفراد الشبكة الاجتماعية .

- يتفاعل الدين والموروث خلال طقوس الفصل عند الاحتضار بتفعيل مجتمع البحث لكل انظمة تسيير الحدث الجنائزي المستمدة من الدين والموروث الشعبي من اجل احتواء هذه اللحظة والسيطرة

على الانفعالات الجماعية اثناءها، خاصة ان الجماعة في هذا الوقت تكون مشحونة عاطفيا لمواجهتها حدث تهديد وجودها.

الفصل السابع

تحليل الفرضية الثانية

تمهيد:

طقوس وداع الميت التي تحمل في طياتها دلالة الوضع الهامشي، الذي يتم بمجرد اعلان الوفاة اذ يدخل الميت هامش الوضع القديم كفرد فعال داخل شبكته الاجتماعية و هامش عالم الموتى حيث لم يتم دفنه بعد، هذه الطقوس الهامشية يحافظ المجتمع على استمرارها وديمومتها داخل البناء الاجتماعي والبنية الثقافية الرمزية لوجود اسباب متعددة هي ما حاولنا تحديده في هذا الفصل.

1. طقوس لحظة الموت ودلالات البكاء

1.1. طقوس توجيه الميت نحو القبلة واغماض عينيه

بعد ان يتم التيقن من وفاة المحتضر وذلك بعلامات منها " توقف ضربات القلب تماما بالإضافة الى انخساف صدغي المحتضر وغياب سواد العينين مع ميل الانف وانفصال الكف عن الزند مع استرخاء الارجل ثم تصلبها و امتداد جلد الوجه "¹، وبرز ما يظهر في هذه الحالة هو توسع حدقة العينين وتوقف الرئتين عن العمل فلا يتنفس وبرودة في جميع اعضاء الجسم، عندها يتم توجيهه الى القبلة ويقوم احد اقاربه باغماض عينيه بان يضع إصبعيه السبابة والإبهام في الماء ثم يضعهما على جفني الميت لمدة دقيقة او اكثر حتى يتأكد من إغماضهما ثم يأتي بقطعة قماش يربط بها اسفل ذقن الميت مع الرأس ليبقى فمه مطبقا.

اما عن شخوص نظر الميت الى السماء فيفسر ذلك مجتمع البحث ذلك بأن بصر الميت يتبع روحه عند قبضها من طرف ملك الموت وهذا التمثل نابع من المعتقد الديني ففي " حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج الناس من حوله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون " ² وعملية اغماض العينين وغلق الفم تتم من اجل عدم ترك منظر المتوفي مفزعا لمن يراه.

¹ قاسم العاصم النجدي، حاشية الروض المربع، ج3، ط1، 1397هـ، ص 24.

² الحسين بن علي البهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ج3،

2.1. طقس البكاء لتأكيد المكانة الاجتماعية للميت

بعد الوفاة مباشرة تنطلق اصوات البكاء والنحيب كإعلان عن الوفاة ويتم طقس البكاء " بتقريغ المفجوعين لانفعالاتهم العاطفية والبكاء الجماعي هو بمثابة المشاركة الوجدانية للمعاناة وتقاسم الألم مع أهل الميت مم يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين الأفراد في هذه المناسبة الحزينة"¹، وتختلف طرق التعبير عن الحزن بسبب الوفاة من فرد الى اخر، لكن اغلب الرجال يتم تعبيرهم عن حزنهم ببكاء الرحمة لان الصراخ والعيول في المعتقد الشعبي خاص بالنساء فقط لان هذه الممارسة النسائية تنقص من مكانة الرجل الاجتماعية فصبره عند المصيبة يعتبر دليل على قوة تحمله ومن تمام رجولته.

اما النساء فلهن كل الحق في التعبير عن آلامهن ويقال في المثل الشعبي " لي معندوش لبنات ما دراوه وين مات " لان البنات تعلو اصواتهن بالبكاء والنحيب عند فقد والدهن فيعلم مكان حدث الموت، في حين ان من كانت كل ذريته ذكور فلا يسمع نبأ الجنازة حتى يتناقله الافراد شفاهة، وإذا كان النواح والللطم والبكاء بصوت صاخب محمود في الموروث الشعبي فانه على العكس من ذلك تماما من ناحية الضابط الديني حيث تبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من النائحة ومن التي تمزق ثيابها عند سماعها نبأ الوفاة وذلك في حديث ابي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة"²، فهنا نجد تعارض صريح بين الممارسات التي تتم اثناء طقوس البكاء على الميت وبين ما أمر به الشرع، بل ان افراد مجتمع البحث يشددون على ضرورة البكاء الشديد ليس لإظهار الحزن فقط بل للتأكيد على المكانة الاجتماعية للميت، تقول الباحثة رقم (02) " البكا يبرد القلب ويبرد العديا، مناه لمبكاوش يقولو

¹ بليلي عواطف، الطقوس الجنائزية في منطقة الشرق الجزائري مقارنة أنثروبولوجية، مجلة الدراسات الثقافية

واللغوية والفنية، برلين ألمانيا، 2020، ص 116.

² الالباني، صحيح الجامع، مرجع سبق ذكره، ص 460.

كلي ماتلهم قط "، أي انه بشدة البكاء وكثرته تؤكد الجماعة على علو مكانة المتوفي لديها، بل ان طقس البكاء يمتد الى حدوث عداوات بين الافراد سواء رجالا او نساء لان الحاضرين يقومون بمراقبة من يبكي ومن يكتفي بالصمت ويتوعده اهل المتوفي بأن لا يقوموا هم الاخرين بطقس البكاء اذا ما حدثت جنازة لدى الشخص الحاضر دون بكاء، إن مثل هذه الممارسات تعبر وظيفيا عن تكاتف الجماعة وتأکید ترابطها الوجداني العاطفي مع تأكيد مكانة المتوفي في آن واحد.

3.1. طقس التعداد لإعادة تأكيد المكانة

يتم ترديد ما يطلق عليه " التعداد " وهو ذكر محاسن الميت مصداقا للحديث الشريف " اذكروا محاسن موتاكم " ¹، لكن طقس التعداد هو جمع بين ما اقرته السنة النبوية وما حمله الموروث الشعبي وذلك ان طقس التعداد هو تحويل لطقس النداب الذي كانت النساء قديما تقمن بهذا الطقس ولو بمقابل مادي وهو ما كان يعرف بكراء الندابات حيث يقمن بنتف شعرهن والبكاء الصاخب وتمزيق ملابسهن ويمتد الامر حتى الى خدش وجوههن الى درجة سيلان الدماء، كل ذلك من اجل اظهار مكانة المتوفي داخل البناء الاجتماعي، وبفضل الوازع الديني وانتشار الوعي داخل جماعة البحث ابتعدت النسوة عن مثل هذه الممارسات والتي تم استبدالها بطقس التعداد حيث يتم بترديد صفات المتوفي كدلالة على تمجيد واعتزاز بما كان له من صفات نبيلة تعكس مكانته داخل الجماعة ومنها ترديدن عبارة " يا فلان الصنديد " دلالة على شجاعة المتوفي واقدامه، ويتم ترديد او تعداد محاسنه مع ضرب الصدر او الرأس ضربا خفيفا لا يؤدي الى اذى من تقوم بالتعداد، ويزداد حدة كلما دخل فرد غريب الى فضاء مجتمع الجنازة و ذلك للتأكيد مرة اخرى على مكانة المتوفي وان غيابه هو حدث مؤثر فعلا في الجماعة.

ومن بين نصوص التعداد الذي تردده الزوجة لإظهار الحزن على زوجها نذكر:

¹ الترميذي، الجامع الكبير، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط 1، 1996، ص 328.

" يامولا بيتي

ياشريك حياتي

شكون بيا بلا بيك

بقيت قفة بلا ذرعين

طاحت عرصة داري

ابكيو معايا راها خلات داري "

ففي هذا الطقس بالإضافة الى ذكر مناقب الميت يضاف اليه حث الجماعة على المشاركة في هذا

الطقس كدلالة على قوة العلاقة التي تربط افراد الجماعة معا خلال هذا الحدث.

أما في حالة وفاة الولدين فتعدد البنات بقولها:

غني يا للقبر غني بعثتك يما هدية

الحنانة يما و يديروا الدالة المخلية

واليتيمة يما حني ما كل أمو و باباه

على قلبي واش تلقوا داؤو واجرو

تلقوا المر محقى والا الخبر بحذاه

يا جماعة اخرجو لبرا وشوفو بقيت يتيمة بلا والدين.

ونلاحظ في هذا التعداد ذو الطابع الرثائي على الوالدين بداية من الام لان المعتقد الشعبي يؤكد

على ان غياب الام يؤثر على شتات وحدة بنية العائلة اكثر من غياب الاب حيث تخبرنا مبحوثتنا

رقم (16) " يتيم الاب ولا يتيم الام، الام تلم الدار وتحمل ومتزوجش وتخلي ولادها، وكي تموت

هي الراجل ميصبرش ويروح يجدد حياتو يدير دار خلاف" فالأم بعد وفاة زوجها عادة لا تقبل

الزواج من شخص آخر وتضل محافظة على بنية الاسرة، اما الاب فانه لا يستطيع القيام بواجبات

وأدوار الزوجة داخل المنزل من تنظيف وتحضير الطعام، لذلك بمجرد وفاة زوجته فإنه يبحث عن زوجة ثانية تأخذ مكانة الزوجة الأولى والتي بدورها تنتظر بناء أسرة جديدة خاصة بها، فيتم اندثار البنية الأسرية للزوجة المتوفاة.

وتمتد جذور هذا الطقس الى الفراعنة فكان المصريون القدماء إذا نزلت بساحتهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية حتى تنتهي أيام الحداد، التي تبلغ أربعين يوما، وإذا مات في بيت من بيوت المصريين القدماء رجل ذو قدر كبير لطخت نساء البيت الرأس و الوجه بالطين، ثم يتركن الجثة في الدار، ويجلسن لاطمات، وقد شمرن وكشفن عن صدورهن ومعهن كل قريباتهن والرجال كذلك يلطمون

ويشمرون¹، وفي ذلك صورة واضحة عن مدى تأثير الفراعنة في ثقافة شعوب شمال افريقيا عامة.

2. طقوس تجهيز الميت بين الغسل والكفن

1.2. طقوس التغليف

يقصد بتجهيز الميت اعداده للدفن ويتم ذلك من خلال الغسل والتكفين حيث " تتطوي هذه الممارسات على العديد من الامور التي يحرص اقارب الميت على القيام بها وعادة ما تتطلب تلك العمليات السرعة في الاداء انطلاقا من رؤى افراد المجتمع ان اكرام الميت يكون بالإسراع في دفنه وعادة ما تتسم العلاقات الاجتماعية في هذه المواقف بصفة التضامن والتماسك الاجتماعي "² يبدأ الغسل بتوجيه الميت الى القبلة ويتم ستره بوضع ازار على كامل جسده ثم يجرى من ملابسه تحت الازار حرصا على عدم كشف عورته، ومنه نلاحظ ان جسد الميت يتمتع بحرمة يقدها

¹ فراس السواح، جلجامش، ملحمة الرافدين الخالدة، دار علاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 62.

² سميح عبد الغفار شعلان، الموت في المأثورات الشعبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الجزيرة، مصر، 2000، ص 121.

مجتمع البحث فيتم التعامل معه بحرص شديد يكون بغض البصر قدر الامكان لنيل الاجر والثواب وهذا الاعتقاد نابع من المرجع الديني والذي مفاده ان القائمين على تغسيل الميت لن ينالوا الاجر والثواب ما لم يتم احترامهم لعدة قواعد وشروط اهمها ان يكون القائمون على تغسيل الميت في حالة طهارة تامة حتى من الحدث الاصغر وتتم هذه الطهارة نهائيا بالقيام بغسل الصلاة قبل بداية تغسيل الميت.

ويضيف الموروث الشعبي شرطين يجب توفرهما في المغسلين اولهما ان يكون معروفا عنهم حفظ السر والامانه فشرط حفظ السر من اجل ان لا يتحدث القائم بالغسل بما يشاهده او يلاحظه من اي تغير لجثه الميت اثناء التغسيل فيجب ان يكتم سر الميت، يجب ان يكتم كل ما راه من علامات وقد تكون إما رائحة اشتمها او اي علامة جسدية تظهر على الميت اثناء تغسيه يجب ان لا يسمعها احد منه وذلك نفسه بائتمان الاحياء سر الاموات ، فجد الميت تضي عليه الجماعة طابع القداسة لما للموت من رهبة في قلوب الافراد.

ان حكم غسل الجنازة وكيفيةها يتطابق في اغلب مراحلها مع غسل الجنابة وهو يبدأ بنية غسل الميت على منهاج الشريعة الاسلامي ثم يتم الغسل بوضع الميت فوق سرير الغسل وهو سرير مخصص لهذا الغرض تتوفر عليه مصلحه الجثث في المستشفيات- انظر الملحق رقم (11)- وكذا جمعيات اكرام الموتى وسرير الميت او سرير الغسل يكون عباره عن سرير تمتد عليه صفيحة حديدية ملساء مرتفعه قليلا من جهة الراس ومنخفضة المستوى من جهة القدمين وذلك لتسهيل مرور الماء عند القيام بغسل الميت بوضع الميت على هذا السرير وتتم تغطيته بازار ونزع ملابسه تحت هذا الازار وهو يغطي عورة الميت، ان كان رجلا يتم وضع الازار موضع العورة الكبرى من السرة الى الركبتين، وان كانت المتوفيه انثى فيكون وضع الازار على كامل جسدها لأن المرأة كلها عورة.

وأول ما يقوم به الغاسل هو لف يده بقطعه قماش ثم يرفع رأس الميت الى قرب جلوسه ويمرر يده الملفوفة بالقماش تحت الازار على بطن الميت ويقوم بعصره برفق ليخرج من بطنه ما تبقى فيها من نجاسات لان الغاية من الغسل هي تطهير الميت تطهيرا كاملا فإذا ما تم خروج الغائط او اي شيء يقوم الغاسل بصب الماء و انجاء الميت من السبيلين، وبعد الانتهاء يقوم المغسل باستبدال الخرقة التي لفها على يدها بخرقة جديدة ليقوم بتغسيل الميت الغسل الاكبر ويبدأ بغسله كوضوئه للصلاة ويتجنب ادخال الماء في انف الميت وفمه فيقوم بتبليل اصابعه او يستعمل خرقة مبللة يغسل بها وجهه ثم يغسل كل جسده جيدا بالصابون والسدر، و يبدأ بيمينه برقبته من الجهة اليمنى ثم يده اليمنى وكتفه ثم شق صدره الايمن وجنبه الايمن وفخذه وساقه وقدمه الايمن ثم يقلب الميت على شقه الايسر حتى يتسنى له غسل شق ظهره الايمن ويغسل جانبه الايسر بدءا من الرقبة الى يده وكتفه اليسرى ثم شقي صدره الايسر وجنبه وفخذه وساقه وقدمه من الشق الايسر ثم يقوم برد الميت على شقه الايمن حتى يتسنى له غسل شق ظهره الايسر وإذا ما تمت طهارة الجسد من غسل مره واحده فان الغاسل يتوقف وجوبا، لكن اذا لم تتم الطهارة وبقي الجسد متسخا فعل الغاسل ان يكرر الغسل وترا أي مرة ثم ثلاث ثم خمسة ثم سبعة ويتوقف متى طهر الجسد وفي الغسلة الاخيرة يمزج الكافور مع الماء وذلك من اجل تطيب الجسد وإبعاد الهوام عنه، وبضاف على ذلك بالنسبة للمرأة أن تتقض ضفائر شعرها خلال الغسل ليتم غسلها جيدا ثم تسرح على شكل ثلاث ضفائر، هذه المراحل عند بحثنا وجدناها موافقة لما تنص عليه الاحاديث المتفرقة في كيفية غسل الجنازة، وبعد الانتهاء من التغسيل يقوم الغاسلون بالاغتسال وذلك استحبابا وليس وجوبا لحديث ابن عمر رضي الله عنه " كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل"¹، ولقد قمنا بهذه

¹ نصر الدين الالباني، احكام الجنائز وبدعها، مكتبة المعارف، 2006، ص 72.

الممارسة خلال قيامنا بالتغسيل وذلك يحمل في ذهنيّتنا وذهنية مجتمع البحث دلالة الانتهاء من عمل مقدس.

3.2. طقوس التكفين

الكفن واجب شرعا للميت المسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت " كفن النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحول كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة ¹ وأقل الكفن ما يستر بدنه ولو بلفافة واحدة، سواء للرجل أو للمرأة، وأكمّله ثلاث لفائف بيض للرجل_ انظر ملحق رقم (12)_، وخمس للمرأة_ انظر الملحق رقم (13)_

وكيفية تكفين الميت تكون بتنشيف جسده بقطعة من القماش بعد الغسلة الأخيرة ويجب أيضا ان يكون المكان المراد تكفين الميت فيه ناشفا من الماء وطاهرا ونقي بعدها تبسط في هذا الأخير اللفائف الثلاث أو الخمسة أو السبعة حيث يبدأ بأوسعها ويوضع في كل لفافة شيء من الطيب ما عاد ما عدا اللفافة العلوية فإنها لا تطيب والطيب يكون من المسك أو العطر أو الكافور ثم يوضع جسد الميت على هذه اللفائف بحيث يكون مستلقيا على قفاه ثم يتم وضع قطن مطيب بالمسك على أنفه وفمه وأذنيه دون ان يدخل فيهما كما يتم تطيب مواضع السجود بداية من الجبهة واليدين والأنف وأطراف الأصابع وركبتيها كما يتم أيضا وضع شيء من الطيب على إبطيه وسرته وبين طيات بطنه ثم يقوم المغسل بوضع يد الميت اليمنى على اليسرى أو يرسلهما على جانبيه فكلّ الكيفيتين حسن لقول الامام الخطيب الشربيني " يوضع الموت فوقها اي اللفائف مستلقيا على قفاه ويجعل يديه على صدره اليمن على اليسرى او يرسلان في جنبه فكل من ذلك حسن محصل

¹ البخاري، صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 941.

الغرض ويوضع طيب و كافور لان ذلك يدفع الهوام ويشد البدن ويسن تبخير الكفن بنحو عود، ويشد إليه بخرقه بعد دس قطن حليج عليه كافور بين إليه حتى يصل لحلقه الدبر فيسدها"¹ ثم يقوم المغسل برفع اللفافة من اليسار ويثنيها وبعدها يأتي باللفافة من اليمين وهكذا الى ان يكمل باقي الكفن، يبدأ أولا باللفافة اليسرى ليضع فوقها اللفافة اليمنى وعند الانتهاء يقوم بعصب الكفن بخمس عصائب عند طرفي الكفن وعند منكبيه وعند عجزه وعند ركبتيه وذلك بشكل يسهل حله في القبر.

اما عن نوع الكفن فالواجب ان يكون ذو لون ابيض لما في هذا اللون من دلالة الطهارة والنقاء ولقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم " البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفينوا فيها موتاكم"² كما ان الميت يكفن فيما يجوز له لبسه في حياته فيحرم تكفين الرجال في الحرير ويجوز للمرأة ذلك رغم كرهه لما فيه من اسراف وتبذير حيث جاء في المجموع شرح المذهب " ويجوز تكفين كل انسان فيما يجوز له لبسه في حياه فيجوز من القطن والصوف والكتان والشعر وغيرها واما الحرير فهو حرام تكفين الرجل فيه وان المراه في المشهور القطع بجواز تكفينها فيه لأنه يجوز لها لبسه في الحياة لكن يكرهه تكفينها فيه لان فيه اسرافا وتبذير للمال"³

لكن يضيف مجتمع البحث طقس وضع الحناء اذا كانت المتوفية امرأة وهذه الممارسة لها جذور فرعونية ذكرها محمد جلال حسين في مقاله الانثروبولوجي لدراسة طقوس ومراسم الموت المصرية، ان " وضع الحناء للميت عادة مصرية قديمة متوارثة عن الفراعنة حيث يعتقد انها تساعد على

¹ شمس الدين الشربيني، مغنى المحتاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، ص 16.

² النسائي، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2001، ص 205

³ ابو زكريا النووي، المجموع شرح المذهب، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، 1347 هـ ، ص 188.

تخفيف العذاب على المتوفي وتعطر قبره " ¹، كما أن " هذا الطقس قد مورس من أقدم العصور عندما وجدت بقايا مغرة حمراء منذ ثلاثين ألف سنة في منطقة لوسيل في فرنسا وكانت تلون بقايا جثة أنثوية إشارة إلى القوى الحيوية الكامنة في الدم وتمنيا ببعث قريب " ² وقد سمي نبات الحناء " بعشب الحياة عند المصريين القدماء، وكان يستخدم في التحنيط حيث كانت توضع كرتان صغيرتان من الحنة في الأذن اليمنى، وبين لفائف التحنيط " ³ ونحن نجد رمزية الحنة في موروث مجتمع بحثنا تحمل دلالة الرحمة لقول مخبرتنا رقم (08) " حني باه يحن عليك ربي"، فهي أي الحناء ترمز الى الجمال اولا والى الرحمة المرجوة من دلالتها الاسمية، لذا يربط افراد البحث بين الحناء والحنان والرحمة الإلهية فقط دون البشرية، لان الموروث الشعبي يختزن في ذاكرته اعتقاد الاجداد بان الحناء شجرة في الجنة ومن تقوم بوضعها تتال الحنان والرحمة من الخالق، ويستثنى العنصر الذكوري من هذه الممارسة لارتباط الحناء بالزينة النسائية.

3. سحر المقابر وطقوس أسرار الموتى

يعرف فريزر السحر على أنه " نظام زائف للقانون الطبيعي كما أنه دليل سلوكي خاطئ إنه علم زائف وفن مجهض باعتباره نظاما للقانون الطبيعي، أي باعتباره بياناً للقواعد التي تحدد تسلسل الأحداث في جميع الظواهر الطبيعية " ⁴ ان ما نلمسه هنا من ازدياد في تعريف فريزر للسحر نابع من مبادئ الفكر التي تقوم عليها الممارسات السحرية والتي تقوم على الاعتقاد بان قوانين التشابه

¹ محمد جلال حسين، طقوس ومراسم الموت بالنبوة المصرية، مجلة سوسولوجيا، القاهرة، مصر، 2021، ص 135.

² فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، ط 1، 1994، ص 153.

³ شريف الصيفي، الخروج للنهار كتاب الموتى، دار تنمية للنشر ردمك، 2020، ص 458.

⁴ جيمس فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ت: محمد زياد كبة، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث

والعدوى هي قوانين ذات فعالية تضم جميع مواد الطبيعة، وهو ما تفنده الابحاث العلمية التي بينت ان العلاقات التي تحكم المادة تختلف باختلاف اشكال المادة ذاتها، فليس من المعقول ولا من الواقع ان يتم اختزال جميع العلاقات في نوعين من العلاقات السببية فقط، وبذلك يضحى السحر والمعارف السحرية ضرب من ضروب الخرافة، غير انه في ميدان بحثنا لا يهتم الفاعلون بماهية السحر بقدر ما يتم الاهتمام بما ينتجه وما يحققه من رغبات الفاعلين له، لكننا وجدنا ان قوانين السحر التي بينها فريزر تنطبق تماما مع كل انواع سحر الموتى سواء كان سحرا خاصا بالقبر وفضاء المقبرة عامة او ما اختص بمواد تجهيز الميت وحتى اعضاء الميت ذاته.

كما ان اقرب تعريف يتوافق مع تمثلهم لماهية الاعمال السحرية هو تعريف ديكنز ميشيل اذ يعتبر ان " السحر والشعوذة من المعتقدات والممارسات المعقدة التي تهتم بها المجتمعات التي تتميز بالبساطة والحياة البدائية، فلو أردنا فهم طبيعة المعتقدات والممارسات المتعلقة بالسحر، يجب علينا دراسة الحادثة المؤسفة التي يتعرض لها الفرد والجماعة، وأهم هذه الحوادث المرض والموت " ¹، فالمجتمع المبحوث يمتاز بالبساطة كونه من الأرياف المحافظة على تقاليد اجدادها وموروثاتهم الفكرية خاصة تلك المتعلقة بالاعتقاد في قوة الجن والكائنات الماورائية والتي تستطيع التأثير على اجساد الافراد وعلى بيئتهم وحتى علاقاتهم الاجتماعية، إنه طريقة وأسلوب تبذل فيه الجهود المتواصلة للسيطرة على البيئة والعلاقات الاجتماعية معا.

¹ عبد الله هرهارة، سلطة السحر بين التمثيل والممارسة، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 5، ص 52.

1.3.1. أنماط سحر المقابر

صنفت روبرتا جيلكريست سحر المقابر الى اربعة انماط اساسية¹ والمقصود بأسحار المقابر هي كل ما يتم وضعه ضمن الاثاث الجنائزي ويدخل في دائرة الأعمال السحرية، والذي تختلف اهدافه باختلاف النوايا والفاعلين، وتنقسم الى اربع اصناف نذكرها تباعا مع توضيحنا لما يقابلها ميدانيا:

1.3.1. سحر الشفاء والتمايم الوقائية:

وهو ما يقابله في مجتمع بحثنا ممارسات علاجية سحرية يستعان بالقبر لانجازها وهي خاصة بالأطفال حديثي الولادة والذين يتوقف نموهم الطبيعي فيطلق عليهم اسم " المكوشرين " وتتم معالجة توقف نموهم بتوجه اهل الطفل المريض الى المقبرة، حيث يتم حفر قبر بحجم الطفل ويتم وضع هذا الاخير فيه لبضع دقائق ثم يؤخذ الى البيت، كل ذلك يتم بنية تهديد العاهة او المرض بالموت، وذلك راجع لتمثل افراد المجتمع المبحوث لهذا المرض على انه نتاج قوى روحية تسكن جسد الطفل، فيتم تهديدها بالموت ان لم تخرج منه لتتركه ينمو طبيعيا.

1.3.2. الأشياء التي ينظر إليها على أنها تتمتع بقوة سحرية طبيعية:

هذا الصنف من الامور السحرية نجده في اعتقاد الافراد في قوة كل عنصر من عناصر مجال المقبرة بداية بترابها الذي يستخدم في اماتة القلب معنويا أي اخماد ما به من احساس الحزن او الفرح حيث تؤكد لنا احدى المبحوثات ان مجرد سف التراب الموجود على قبر الميت يقتل احساس الحزن خاصة اذا كان الميت شخصا يصعب نسيان ذكره كالأب أو الزوج، فالامر يتم هنا بمجرد عقد النية وممارسة هذا الطقس تنتمي الى السحر الشعبي الذي يقصد به سحر عامة الناس الذي يستخدم في اغراض عملية مثل الشفاء وجذب الحظ وطرده قوى الشر وجلب المحاصيل الجيدة

¹ Gilchrist, R, Magic For The Dead? The Archaeology Of Magic In Later Medieval Burials, Medieval Archaeology, 52, 2008, P 15.

والخصوبة، فهو نتاج الخبرة العملية الشعبية المعتقدة في قوة ونفع بعض المواد، تمتاز هذه الطقوس بالبساطة وتشتمل على ادوات بسيطة تستخدم عادة في الحياة اليومية مثل النباتات والمعادن كالحلي والمسامير ، الخشب، ويطلق على السحر الشعبي اسم السحر المنخفض بسبب طبيعته العملية وارتباطه بالطبقة الدنيا في المجتمع¹

1.3. 3. العناصر القديمة التي تم التعامل معها على أنها تمتلك قوة غامضة

هذه العناصر تستخدم في طقوس السحر بعد ان يتم وضعها في المقبرة لمدة طويلة فتمتلك بعدها قوة تمكن الفاعلين للطقوس السحرية من الاستفادة منها، نجدها في مجتمع بحثنا متمثلة في الاواني التي توضع فوق القبر ويسكب فيها الماء، فرغم ان الفاعلين لهذا الطقس قد تركوها بنية استفادة الميت من أجر وثواب شرب الطيور وغيرها من هذا الماء، لكنها هي نفسها وكذا ما تحويه من ماء ولو بضع قطرات يضحى وسيلة فعالة في صناعة السحر لإيذاء أهل الميت.

1.3. 4. ممارسات مرتبطة بالسحر الشيطاني للعرافة أو السحر

يخضع التمييز بين سحر العرافة والسحر الى عدة اعتبارات سنذكرها لاحقا ونكتفي هنا بذكر ما وجدناه مماثلا لهذا التصنيف في مجتمع بحثنا متمثلا في سحر دمي الفودو وهو سحر مصحوب بأثر للشخص المراد سحره سواء كان شعرا او صورة او قطعة قماش من ملابسه توضع داخل هذه الدمية ثم يجعل الساحر بها دبابيس في اماكن يراد بها تغذيته وتمريضه والاهم تعطيله كلياً عن أي عمل يريد تحقيقه في حياته، بالإضافة الى عظام الحيوانات متمثلة في رأس الكلب وعظام الكتف الخاص بأضحية العيد الاضحى المبارك، هذه المواد تستخدم في سحر المقابر وهي ذات طبيعة شيطانية يستعين فيها الساحر بقواهم المؤذية من اجل تحقيق اكبر قدر من الالذى للشخص المسحور.

¹ Greenwood, Susan, The Anthropology Of Magic, Oxford Berg, 2015, P 210.

1.3. 5. سحر الموتى واستخدام اغراض التجهيز واعضاء الميت

ان كل ما يتم استخدامه في طقس غسل الميت يدخل في زاوية الطابو لدى مجتمع البحث ذلك ان هذه الادوات والمواد تستخدم في الطقوس السحرية حيث يصرح ساحر تائب ان استخدام هذه المواد الخاصة بالميت في اعمال السحر يمثل نسبة سبعين بالمئة من الأعمال المطلوبة منه، وذلك راجع لفعاليتها في الطقس السحري حيث يقول " الطعام المفتول بيد الميت حبة وحدة منو تقضي على لي كلاها وصعب جدا يخرجوها منو " اي انه ليست الادوات والماء فقط ما يستعمل في السحر بل اعضاء جسد الميت نفسه، يستخدم في السحر بأدوات تجهيز الميت كل من ماء غسل الميت، الصابون، وماء الغسل يستخدم لسببين اما للتعطيل في جميع امور الحياة بأن يتم رشه على الفتاة البكر فلا تتزوج، او اعطاؤه كمشروب للرجل ليقع في حب زوجته وبصير رهن إشارتها ويخبرنا هنا المخبر رقم (01) انه يمكن للرجل اذا رأى من نفسه طاعة غير معهودة لزوجته ولينا وأراد معرفة اذا ما قامت بسحره بماء الميت فما عليه الا ان يشرب ماء مقروء عليه آيات قرآنية ويقوم باستفراغه فإذا احس عند الاستفراغ ببرودة شديدة في حلقه وكأن الماء عندما يصل من جوفه الى حلقه يصير باردا جدا فليتيقن انه مسحور وقد شرب من ماء غسل الميت، اما عن كيفية الحصول على ماء غسل الميت وبسبب الحرص الشديد الذي يحاط به من قبل اهل الميت، فإن النساء اللواتي يردن الحصول عليه يحملن قطعة قماش قطنية لتمدن الماء المراد الحصول عليه ويمررنها على الارضية التي يغسل بجانبها الميت ويتم ذلك دون انتباه اهل الميت.

أما الصابون فإن النساء يستخدمونه في ربط يدي الرجل الذي يقوم بضرب زوجته وتعنيفها، تروي لنا الباحثة رقم (06) ان العديد من النساء يقمن بطلب قطعة الصابون من سيدة المنزل الذي حدثت فيه الوفاة ويكون هذا الطلب باستعطاف، وهنا نوضح ان نسبة كبيرة جدا من أفراد مجتمع البحث يعتقدون ان هذا النوع من السحر الذي يوقف ظلما تتعرض له الزوجة والمتمثل هنا في

الضرب ليس فعلا محرما شرعا تؤكد ذلك مخبرتنا رقم (02) بقولها " السحر كي يعود للصالح مهوش حرام " لذلك يتم تقديم الصابون للنساء اللواتي يتعرضن للضرب الشديد ويتم ذلك بسرية تامة، هذه الممارسة ليست عامة لدى مجتمع البحث، لكن هناك من قمن بذلك وعن طيب خاطر ظلنا منهن انهن يقدمن معروفا لهذه المرأة.

اما السحر بالميت فيستخدم فيه كل من دمه و شعر عانته، أضافره، ويده ورأسه ويجب الحصول على احد اعضاء الميت قبل مرور اربعين يوما من وفاته وإلا صار غير صالح للطقوس السحرية يتم الاستعانة ببذ الميت لتحضير طعام الكسكسي مع قراءة تعاويذ وعزائم تجعل من هذا الطعام سببا في العديد من الامراض المستعصية والتي تؤدي الى هلاك المسحور، اما عن اخطر عضو في جميع الطقوس السحرية والذي يخبرنا الساحر التائب عن شدة فعاليته في الهلاك السريع جدا للمسحور هو استخدام رأس الميت بكتابة اسم الشخص المراد قتله على جبهة الميت وادخال قضيب حديدي في نفس المكان بطعن الميت في جبهته مع قراءة تعاويذ سحرية في هذا الطقس يتم على اثرها القضاء على المسحور في وقت وجيز.

اما الدم فلا يستخدم السحرة دم الميت بدون حادث وانما الدم المطلوب في اعمال السحر يجب ان يكون لشخص مقتول ولو بحادث سير، ويطلق عليه اسم "دم المغدور" ويستخدم ممزوجا بالتراب الذي يخرج من بيوت النمل ويشترط ان هذا التراب يجب ان يكون في مكان لا يسمع فيه الآذان، فيمزج مع دم المغدور وزجاج مكسور ويلقى امام بيت العائلة المراد تشييتها وتفريق افرادها بكسر كل الروابط والعلاقات التي تجمعها.

3.1.6. تحليل ممارسات سحر الموتى والمقابر حسب نموذج فريزر:

عند تحليل مبادئ الفكر التي يقوم عليها السحر وجد فريزر انها تقوم على قانون التعاطف والذي بدوره ينقسم الى قسمين:

أولاً: قانون الشبيه ينتج مثله

ويطلق عليه السحر المثلي أو السحر المقلد ويقصد به أن التأثير يشبه سببه أي انه في هذا القانون " يستنتج الساحر أنه يستطيع أن يحدث أي تأثير يريده بمجرد تقليده " ¹

فالساحر عندما يتوجه الى المقبرة وهي مكان الموتى وينتهك حرمة هذا المجال المقدس انما يبتغي احداث أثر مشابه في حياة الشخص المراد سحره، فماذا يوجد في هذا الفضاء غير انتقاء الحياة فلا عمل ولا زواج ولا رد فعل لرفع ظلم او أبعاد اذى، وهو ما يطلبه الزبون او الشخص الذي وكل الساحر للقيام بإحداث الضرر لشخص آخر، لذلك فإن أغلب الاهداف المطلوبة من خلال طقوس سحر المقابر انما تكون التعطيل التام سواء عن العمل او الزواج، او تكون سحر ترميض لدرجة توقف المسحور عن الحركة فيلزم الفراش مثله مثل الميت، او سحر الموت.

ثانياً: قانون العدوى والاتصال

ويطلق عليه اسم السحر المعدي ويقوم على الاعتقاد بان الاشياء التي كانت متصلة ببعضها البعض تستمر في التأثير على بعضها البعض حتى بعد انقطاع الاتصال الجسدي و " يستنتج الساحر أن كل ما يفعله بشيء مادي سوف يؤثر بالتساوي على الشخص الذي معه جزء من هذا الشيء سواء كان يشكل جزءا من جسده أم لا " ²، وسحر العدوى يكون بإحضار أثر المسحور والذي يعمل كوسيلة اتصال بين العمل السحري والشخص المسحور وقد تكون شعره أو أضافره ويتم دفنه مع الميت، ان كان لتعطيل رجل فإن الساحر يبحث عن قبر امرأة، لا يوجد آثار لزيارتها، فالقبر الذي تتم زيارته يكون خال من الحشائش ومن الأشواك ذلك ان الزائرين يقومون بإزالتها وتنظيف القبر، عكس القبر المنسي الذي تكثر حوله الأشواك والنباتات حتى لا يكاد يظهر

¹ جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مرجع سبق ذكره، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 23.

بالإضافة إلى عدم وضوح معالمه فلا تبقى من آثاره غير صخرة عند رأس الميت تثبت أنه قبر، وهو النوع المطلوب في اعمال السحر، وذلك لسببين أولهما لكي لا يجد أحد السحر فيأخذه للإمام أو الراقي فيقوم بفكه فيبطل بإذن الله، وثانيهما للشبه وهو قانون الشبيه، فينسى المسحور بين الناس ويترك لحاله مستبعدا من أفراد المجتمع لا يهتم به باقي أفراد شبكته الاجتماعية، وهذا الانقطاع والنفور من شأنه التأثير على حالة المسحور النفسية فيدخل في حالة إكتئاب، مما يسهل عمل سحر التعطيل، لان هذا الاخير معناه التوقف عن عمل اي شيء بتأجيله دائما، والاكتئاب من شأنه أن يجعل الفرد غير قادر على مباشرة المشاريع مهما كان نوعها فيبقى الفرد في عزلة وانطواء بسبب انقطاع علاقاته الاجتماعية، فالشر هنا لا يتحقق إلا بالشر فترتبط الممارسة السحرية في الحالتين بالقوة الإيمانية والاعتقادية في الفعل الممارس والهدف المتوخى من الممارسة إذ " بدون الإيمان والاعتقاد لمثل هذه الممارسات لا تحقق النتائج المطلوبة، فالسحر هنا يمثل الجماعة المشحونة بالإيمان ذاته " ¹، إن الوضعية الاجتماعية المزرية التي يعيشها بعض أفراد المجتمع وفي ظل الجهل وقلة الوعي العنف وغياب الدعم والاستقرار الأسري بالإضافة الى الإيمان بالخرافات وقدرة الشعوذة على امتلاك مفاتيح كل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي ليس لها حل، هذا الواقع يعطي الأفراد مبررا للدفاع عن أنفسهم أو حتى للانتقام من الخصوم والمنافسين أو حتى بدافع من الغيرة والحسد، لذلك فهم يعتقدون أن الانجراف وراء الشعوذة والسحر وطقوسهما، وسيلة لتحقيق أغراضهم أو تحسين علاقاتهم الاجتماعية واستقرارهم.

¹ كاثرين كليمان، كلود ليفي ستروس، ت: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008 ص 78.

مناقشة نتائج الفرضية الثانية:

تختلف اسباب استمرارية التمثلات والممارسات الطقسية الدينية والموروثة داخل النسق الجنائزي خلال طقوس الهامش بين ما هو اجتماعي وما هو ديني وذلك ما اكدته نتائج الدراسة الميدانية ويمكن عرضها كالآتي:

- طقوس الهامش ممثلة في اعلان لحظة حدوث الموت وتجهيز الميت للدفن وفصله عن الاحياء تصاحبها طقوس سحر الموتى ولكل منها اسباب عملت على بقائها واستمراريتها في المجتمع المبحوث.

- يعود سبب استمرارية التمثلات والممارسات الطقسية وتفعيلها الى أدوارها الاجتماعية بالدرجة الاولى.

- طقس البكاء والنواح رغم نهي الدين عنه الى ان استمرارية هذه الممارسة داخل النسق الجنائزي راجع الى ادواره الاجتماعية ممثلة في كونه وسيلة للإعلان عن الوفاة، بالإضافة الى قيامه بدور التعبير عن المشاركة الوجدانية بين افراد المجتمع وكذا دوره في تقوية الروابط الاجتماعية.

- المنظومة القيمية التي يفرضها المعتقد الشعبي على الافراد تحدد دور العنصر الانثوي في التعبير عن الحزن بالبكاء والصراخ وتمنع العنصر الذكري لان هذه الممارسة تعتبر تشويها لمكانة الرجل الاجتماعية.

- رفض الدين وتأكيده الأحاديث النبوية الشريفة على تبرؤ الدين من النائحة، لم يردع هذا الطقس من الاستمرارية بسبب دوره الفعال في تأكيد مكانة الميت الاجتماعية لدى جماعته القرابية.

- الممارسات الطقسية الجنائزية تعبر وظيفيا عن تكاتف الجماعة وتأكيد ترابطها الوجداني العاطفي مع تأكيد مكانة المتوفي في آن واحد.

- حث الجماعة على المشاركة في طقس البكاء والتعداد كدلالة على قوة العلاقة التي تربط افراد الجماعة معا خلال هذا الحدث، والذي يتم فيه ترديد صفات ومآثر المتوفي كدلالة على تمجيده والاعتزاز بمكانته داخل الجماعة.

- الضابط الديني سبب لاستمرارية طقوس التغميل بالطريقة التي يحددها الشرع لما تعود به من اجر وثواب على الممارسين لهذا الطقس.

- استمرارية طقوس السحر بأدوات تجهيز الميت وكذا كل ما له علاقة بالموت راجع الى الوضعية الاجتماعية المزرية التي يعيشها بعض أفراد المجتمع في ظل الجهل وقلة الوعي وغياب الدعم والاستقرار الأسري ما ادى ببعض الافراد باللجوء الى الخرافات والشعوذة لحل المشاكل الاجتماعية.

الفصل الثامن

تحليل الفرضية الثالثة

تمهيد:

خلال طقوس وداع الميت يقوم الافراد بممارسات تحمل دلالات سوسيوثقافية تعبر عن اسباب استمرارية وديمومة الطقوس الجنائزية، وحاولنا خلال هذا الفصل تحديد اهم هذه الدلالات بتحليل طقوس التأسيس المصاحبة للدفن والحداد.

1. طقوس صلاة الجنازة وتشيع الميت

1.2. طقوس صلاة الجنازة

تبدأ طقوس الصلاة بمجرد حدوث الموت فيقوم احد افراد عائلة المتوفى او من الجيران بالذهاب الى المسجد المراد فيه اقامة صلاة لضرورة صلاتها فيه دون غيره فهناك من يرى جواز ادائها في المقبرة غير انه عن حديث عائشة رضي الله عنها " والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابني بيضاء في المسجد سهيل وأخيه"¹، ولاحظنا ان كل الجنازات في عينة الدراسة تمت صلاتها في المسجد.

فبمجرد حدوث الوفاة يقوم احد اقارب الميت بإبلاغ القيم او المؤذن بأنه ستنتم الصلاة بعد صلاة الظهر او العصر وبعد اخذ النعش من المغسلة وتعليق اعلان الوفاة في الحي او مركز تجمع الناس حينها وبعد قدوم الالاهل والأقارب والجيران وبعد تغسيل وتكفين الميت وإلقاء اهله للنظرة الاخيرة عليه يحمل على الاكتاف او السيارة مخصصة في حالة المطر الى المسجد قبل الصلاة وقيامها ويوضع في مكان منفرد عن المصلين وعند تقدم الامام الى الصلاة المفروضة يذكر بان هنالك بعد الصلاة جنازة ويحدد جنس المتوفى سواء رجل او امرأة وبعد الفراغ من الصلاة يطلب من اهل المتوفى التقدم بها امام الامام وتوضع في اتجاه القبلة وبعدها يتقدم الامام ويذكر بجنس المتوفى ويشرح كيفية ادائها بان هنالك أربع تكبيرات ففي الاولى تقرا الفاتحة وفي الثانية الصلاة الابراهيمية وفي الثالثة الدعاء للميت بالرحمة والمغفرة في الرابعة الدعاء للأمة والمسلمين وبعدها التسليم وتكون هذه الصلاة وقفا وعند الفراغ يقوم اهل الميت بتلقي التعازي من جموع الحضور والإمام فيحمل الموكب الى مثواه الاخير وأفراد مجتمع البحث يحرصون على حضور صلاة الجنازة لما فيها من فضل على الميت لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما من ميت يصلي عليه امة من

¹ مسلم بن حجاج النيسابوري، ، مرجع سبق ذكره ، ص 420.

المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له الا شفّعوا فيه " ¹، ولما فيها من ضل على الحاضر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان تدفن فانه يرجع بقيراط " ²

3.1. طقوس التشييع

يقصد بالتشييع او الجنازة " اخراج جثة الميت من منزله ووضعه على النعش لتبدأ مراسم الجنازة والصلاة عليه ويعد طقس التشييع بمثابة الانفصال الاخير للجسد عن المكان الذي عاش فيه " ³ بعد الانتهاء من الصلاة على الميت يوضع على تابوت ويتم تغطيته وستره بدثار في العادة يكون ذا لون أخضر ثم يحمل وسط مراسم التشييع ويشترك في حمل الجنازة عدد كبير من الأقرباء والأصدقاء بل وحتى الجيران وأينما تسير الجنازة فان عددا كبيرا من الناس يسير خلفها لأجل الأجر والثواب ولا يسبق الجنازة احد من الحاضرين بل يتم اتباعها في صمت وخشوع الى ان يتم ايصالها الى المقبرة ولاحظنا احجام النساء على اتباع الجنازة رغم ان هناك من فعلن ذلك من أرياف اخرى يروي لنا الاخباري رقم (03) " شفنا نساء تابعينا كي رحنا ندفنو السبتي من ولاد رشاش كي سقسينا قالو الشرع محرمهاش لكن عندنا عيب " أي ان مجتمع البحث لا يرفض هذه الممارسة بسبب الضابط الديني بل لان العرف يمنع ذلك رغبة في الحفاظ على حرمة الجنازة ثم حرمة نساء المنطقة وذلك بسبب ما عرف عن طريقة الصاخبة في ابدائهن للحزن على الميت فصار بذلك هذا الطقس ذكوري من اجل إبعاد الحالة الانفعالية العاطفية التي تبديها المرأة عن الجنازة .

¹ المرجع نفسه، ص 422.

² المرجع نفسه، ص 424.

³ سميح عبد الغفار شعلان، الموت في المأثورات الشعبية، مرجع سبق ذكره، ص 157.

ويتم اخبار الاقارب والأصدقاء لحضور تشييع الجنازة عن طريق الاتصال هاتفيا ومن اهم العادات والتقاليد عدم جواز التقدم على الجنازة وانما بإمكان المشيعيين ان يمشو خلفها او على طرفي جانبيها، وتحمل الجنازة على اكتاف اربعة افراد عادة يكونون من اقارب المتوفي من الدرجة الاولى نقصد بها اولاده او اخوته، وتحمل الجنازة بطريقة التربع إذ يبدأ حمل الجنازة من جانبها الايمن من مقدمها ثم الايمن من مؤخرها ثم الايسر من مؤخرها ثم الايسر من مقدمها، بمعنى الحمل بالتناوب، هذا التكاثر في حمل الجنازة وتشيعها يعمل وظيفيا على تماسك الوحدة الاجتماعية لمجتمع الجنازة في هذه اللحظات العصبية، حيث يرفض تماما خلال التشييع الحديث بصوت عال او الضحك وهي من الامور التي تفسد على المشيعيين لحظة خشوعهم فيدنس بذلك لحظات هذا الزمن المقدس الذي يجب أن تستحضر فيه كل الادوات الفاعلة على المستوى التعبدي والتضامن الاجتماعي مع المفجوعين.

2. طقوس الدفن والعزاء

2.1. طقوس الدفن

الدفن هو الستر والموارة وهو " المرحلة الاخيرة لانفصال المتوفي عن حياته الاولى والتي تبدأ عندها طقوس ادماج الميت في حياته الاخرى "¹ حيث يتم حفر القبر بمجرد اعلان الوفاة اذ يتوجه اقارب المتوفي الى المقبرة المخصصة لسكان المنطقة ويقومون بحفر القبر حيث لاحظنا ان القبور ليس لها أي نمط عمراني مميز بل انها تتبع الطريقة الشرعية في عدم بناء القبر فيتم تحديده بحجر عند الرأس وآخر عند القدمين اذا كان المتوفي رجلا وتتم إضافة حجر اخر في المنتصف اذا كانت

¹ فارس خضر، تصورات الموت في الوعي الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، 2009، ص

المتوفية امرأة، كما يضاف شاهد القبر وهو عبارة عن حجر مكتوب عليه اسم المتوفي وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ودعاء له بالرحمة.

تتم عملية الدفن في نفس الوقت الذي يجهز فيه الميت ويصلى عليه، دون أي تأخير حتى لو حدث الموت ليلا فان الجنازة لا تؤخر رغم انه يجب ان يحصل الافراد على اذن الدفن من السلطات المعنية .

بمجرد وصول الجثمان الى المقبرة يتم حمله الى مثواه الاخير يراعى في ذلك جنس الميت فاذا ما كان رجلا يحمله الحاضرون دون استثناء او تمييز اما اذا كانت امرأة فيحملها محارمها الى مثواها الاخير.

يعد المعتقد الشعبي افراد المجتمع بتمثلات تفسر ضرورة سرعة القيام بالدفن حيث ينتشر الاعتقاد بان سرعة دفن الجثمان تؤدي الى انتهاء حزن الجماعة والتعجيل بصبرهم معتقدين انه كلما انهل التراب على الميت كلما نزلت الرحمة على قلوب اهله وذويه ويبدو ان هذا المعتقد يتطابق مع أوامر الشريعة في الحث على عدم تأخير الجنازة لقوله صلى الله عليه وسلم " يا علي ثلاث لا تؤخرها الصلاة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت لها كفوا " ¹

ويكون الدفن بعد تجهيز القبر بأن يتم انزال الميت ان كان رجلا من رأسه او من رجليه وان كانت امراه فيتم انزالها بالعرض ويردد الحاضرون بسم الله وبالله وعلى مله رسول الله ويرددون دعاء القبر " اللهم اجعله روضه من رياض الجنه ولا تجعله حفرة من حفر النار " وبعد الانزال يتم وضع الميت على اللحد على جانبه الايمن ويسند ظهره او قفاها بلبنه من التراب فيكون بذلك وجه الميت الى القبلة وتفتح اللفائف التي على الكفن، وعند الانتهاء يهيلون على القبر التراب حتى الانتهاء وخلال هذه الممارسة المقدسة يتم ترديد الأدعية والاستغفار وطلب الرحمة للميت ولكل المسلمين الاموات

¹ البخاري، صحيح البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 134.

والاحياء فيؤدي هذا الطقس وظيفة اعادة التوازن للجماعة بإعادة التأكيد على تلاحم افرادها وتكاتفهم.

ومن عادات المجتمع انه اثناء عملية الدفن وبعد الانتهاء منها يصطف اهل الميت بالقرب من باب المقبره ويقوم الحاضرون بتعزيتهم فيقول الرجل المعزي عظم الله اجرکم ويرد عليه المعزه بآرك الله سعيكم اما النساء في المنزل فتكون صيغه التعزیه بقول المعزیه البركه في رأسكم وترد المعزات البركه فينا وفيكم.

وبعد مضي ثلاثة ايام يوضع الشاهد على القبر ووضع شاهد على القبر له جذور في العديد من ثقافات الحضارات الشرقية فلقد "اشتهر المصريون بالمسلات التي تشبه شواهد القبر حيث يدون عليها معلومات عن اصحاب القبور وهم غالبا من الملوك ، وقد وضع الفينيقيون شواهد لقبورهم وألواحاً جنائزية البعض منها يصور وجه الميت"¹

وأيضاً مارس الأراميون هذا الطقس فكانوا " يضعون على قبر الميت شاهد يكتب عليه اسم الميت ومن هذه الشواهد مسلة محفوظة في متحف اللوفر تقول " لأجبر أكبر كاهن مشهور بالنيرب هذه شاهدتي على صدقي عشت طيبا طوال حياتي والى يوم مماتي فمي لم ينقطع عن الكلام وبعيني رأيت أن أبناء قبيلتي يبيكونني "²

2.2.طقوس العزاء

بعد الانتهاء من الدفن يعود المشيعون الى منزل المتوفي حيث يكون اهله قد حضروا طعام الوضيمة متمثلا في الكسكسي باللحم حيث يشترط في مرقه ان يكون ذا لون ابيض فلا تستخدم الطماطم في تحضير المرق لما يحمله اللون الاحمر من دلالات الفرح والزينة لدى مجتمع البحث

¹ دياكونوف ، تاريخ الشرق القديم، دار أسامة للنشر والتوزيع، فلسطين، ط 1، ص 322.

² الماجدي، المعتقدات الآرامية، دار الشرق للنشر والتوزيع، رام الله ، عمان، ط1، 2000، ص 159

بل يستخدم الحليب فيضاف الى مرق الكسكسي، و يستمر الإطعام لمدة لثلاثة ايام متتالية يفتح حينها اهل الفقيد بيتهم لكل من يريد ان يقدم واجب العزاء فيتم تحضير الطعام يوميا مع تحضير الشاي والقهوة ووضع التمر بدل الحلويات مع القهوة، تستقبل النساء المعزيات بالملابس التي تدل على الحزن والتي تغلب عليها الالوان الباهتة والسوداء ولقد لاحظنا انه خلال العزاء تغطي النسوة شعورهن حتى داخل المنزل ويمتنعن عن وضع العطور وكل ما له دلالة على الفرح ولقد لاحظنا تشارك الاقارب في اطعام المعزين حيث يحضرون الذبائح والذبيحة التي تقدم خلال هذا الطقس يطلق عليها مجتمع البحث بالضيفه كناية عن انها تقوم بدور المساعدة على استضافة المعزين لأهل الميت، وفي اليوم الثالث يقوم اهل الميت بزيارة قبره ويطلق على هذا اليوم بيوم الفراق يفترق فيه الحاضرون عن بيت العزاء لما اقره الشرع " من اباح من الفقهاء الجلوس للعزاء اشترط ان لا يزيد عن ثلاثة ايام من حدوث الوفاة "¹ لقد لاحظنا خلال الثلاثة ايام ان النساء يجتمعن لقراءة القرآن معا داخل بيت المتوفي وعند الانتهاء يقمن بالدعاء للمتوفي وطلب الصبر لأهله وذويه.

3.2. طقوس زيارة القبر

عادة زيارة القبر تحظى باهتمام الثقافات المختلفة لكن لكل مجتمع انساق تضبط هذه الزيارات اهمها النسق الديني والنسق الثقافي، وهي في مجال بحثنا تخضع لعدة معتقدات منها ما هو ديني وأكثرها مستمد من سطوة الموروث الشعبي وتنقسم بين قدسية المجال و طبيعة الزوار.

أولاً: قدسية مجال المقبرة

تبرز قداسة مجال المقبرة فيما نجده بداية في تحديد مواعيد دخولها، حيث ان الشبكة الاجتماعية لأفراد مجتمع البحث تؤكد على ضرورة احترام الاوقات الصباحية المسموحة للزيارة وتجنب الفترات المسائية، والامتناع تماما عن الزيارة ليلا.

¹ الشرباصي ابو حازم احمد، يسألونك في الدين والحياة، دار الجيل بيروت لبنان، ص 160.

وهذا ما لم نجد له سنداً شرعياً، بل ان الدين الاسلامي ومن خلال السنة النبوية الشريفة يحث على زيارة المقبرة بالنسبة للرجال، اما النساء فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم، عن زيارتهن ثم سمح لهن بذلك وذلك ما روي عنه في الحديث الصحيح اذ قال صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها "¹، فهي تذكر الانسان بأن مرجعه الى القبر فيجتهد في العمل للآخرة وفيها احسان للميت بالدعاء له، ومنه لم يرد في الاحاديث النبوية الشريفة شيء عن تحديد وقت للدخول الى المقبرة، فمن الجلي اذا ان الاعتقاد باستحباب اوقات معينة للزيارة وكره اوقات اخرى انما هو من العادات المتوارثة شعبياً.

تتم زيارة القبر صباحاً منذ اليوم الاول بعد الدفن تقول مبحثتنا رقم (05) " نروحو نصابحوه " اي نقوم بزيارته صباحاً، وبعدها لا تتم زيارته حتى اليوم الثالث وهو يوم الفراق، بعد هذه الزيارة تتوالى الزيارات صبيحة كل يوم جمعة، هذه هي العادة وليست شرطاً يجب الالتزام به، فهناك من يذهب في غيرها من الايام.

ثانياً: دخول المقبرة في الموروث الشعبي

تحذر المعتقدات الشعبية من دخول المقبرة مساء وعدم الدخول ليلاً وذلك لتجنب اذى الجن التي تسكن المقابر ففي الموروث الشعبي حكاية المرأة " أمو كستور "، وهي باللهجة الشاوية وترجمتها صاحبة السيف وهي اشجع امرأة يروي عنها الموروث الشعبي انه حدث رهان بين رجال الدوار قديماً وبينها، بانها ان تمكنت من دخول المقبرة ليلاً وتحضير الخبز المعروف باسم " الكسرة " داخل المقبرة دون ان تهرب او تخاف، سيعترف الجميع بشجاعته، وبعد ذهابها وتحضيرها لهذا الخبز وطهيته، كان احد رجال الدوار مختبئ وراء قبر من القبور ولف يده بخرقه بيضاء ومد يده للمرأة فأعطته رغيفاً من الخبز دون ان تخاف وانتهت عملها في صمت، وقفلت عائدة لمنازل

¹ مسلم بن حجاج النيسابوري، مرجع سبق ذكره، ص 439.

الريف، هناك تم سؤالها هل رأيتي شيئاً فأنكرت، والجميع يعلم ماذا حدث بالضبط، لكن انكارها لا يحمل دلالة الخوف او الرهبة بقدر ما يحمل رمزية الشجاعة وكتم السر، وبعد هذه الحادثة اصبح يطلق عليها اسم صاحبة السيف كناية عن شجاعتها، وليومنا هذا يطلق هذا الاسم على كل امرأة شديدة البأس ومن تظهر صبرا وجلدا عند المصيبة.

ثالثا:العناصر العضوية داخل فضاء المقبرة ودلالاتها الرمزية

لكل من النبات والتراب والماء داخل مجال المقبرة رمزية خاصة تؤدي وظيفة معنى داخل منظومة المعتقدات المحلية.

تراب المقبرة يقلل من التوتر والحزن لمن يتناوله تروي لنا البحوثه رقم (06) انها بعد وفاة زوجها لم تصبر على فراقه حيث كانت وفي كل مناسبة يجتمع فيها ابناؤها المتزوجين عندها في البيت، تفسد عليهم فرحتهم بكائها على فقد ابيهم، مما يثير الحزن في نفوسهم تقول اشارت عليها عجائز المنطقة ان تذهب لقبر زوجها وتسف من ترابه وتقوم ببلعه، فان ذلك ينسيها فاجعتها، وتقول كان الامر كذلك ولقد انتهى حزنها عليه بهذه الممارسة، ان سمة القلق العالية هنا لهذه المبحوثة والمرتبطة بالمبالغة الروتينية في تقدير خطر فقدان زوجها على مكانتها ومصيرها داخل شبكتها الاجتماعية، قد يكون لها آثار صحية سلبية طويلة المدى، حيث يسبب الانشغال المطول بالحزن على الفقدان إجهادا مزمنًا وخللا في التنظيم الفسيولوجي للجسم لاحظناه في دراستنا من خلال فقدان شديد للوزن وشحوب الوجه لهؤلاء المبحوثين الغير قادرين على تجاوز محنة الموت وعدم تقبل الخسارة، ان القيام بطقس سف تراب من المقبرة يعتبر من الطقوس الوقائية التي يرى مالبينوفسكي ان الافراد يضطرون للقيام بها لاستعادة الشعور بالسيطرة والسبب في فعالية نتائجها يعود للعامل النفسي، حيث ان الثقة التامة في فعالية هذه الطقوس هو ما يجعل تأثيرها حقيقيا على القائمين بها

"¹ ومنه فان القيام بهذا الطقس يقلق من الشعور بالقلق حيال ألم الفقد، اي ان العامل النفسي هو من ينجح هذا التفاعل بين الممارس للطقس وأداته فينتهي الى نجاح الطقس في وظيفته المرجوة منه.

اما الاعشاب المنتشرة في فضاء المقبرة فيمنع تناولها منعاً باتاً لأنها تجلب لعنة نوم الاموات على صاحبها، حيث تقول مبحثتنا رقم (06) " لي ياكل من الجبانة يرقد يناع كي الميت طول حياتو " اي ان الفرد بعد تناوله من هذه الاعشاب سيظل نومه مصحوباً بأنين يصدر منه، يشبهه افراد مجتمع البحث بأنين المحتضر وهو يصارع الموت، فهو في هذه اللحظة يأخذ حكم الميت في مخيال المجتمع المبحوث.

اما ملاحظتنا لوجود اشجار الصنوبر داخل فضاء المقبرة فقد علله مبحثنا رقم (02) بأن ممارسة غرس الصنوبر داخل المقبرة تعود للاعتقاد في ان هذه الاشجار وبما انها دائمة الخضرة فهي دائمة التسبيح لله وهذا ما ينفع الموتى بحسب تمثلات اهل المنطقة تقول مبحثتنا رقم (10) " نغرسو حذاهم الصنوبر باه يسبح طول على راس الموتى باه تنزل عليهم الرحمة "، أي ان تسبيح الشجر الاخضر تنزل بسببه الرحمة من السماء على ارواح موتى تلك المقبرة.

اما عنصر الماء فله عدة طقوس ترتبط به لانه في المقام الاول يحمل دلالة التطهير وتليها عدة دلالات اخرى بحسب استخدامه الطقسي، فعند كل زيارة للقبر يحضر الزائرون معهم قوارير من الماء لرشه على تراب القبر وهذه العادة لم نجد لها مثيلاً خلال بحثنا البيبليوغرافي الا في تراث الحضارة السومرية حيث يطلق عليها اسم " المي نقو " يقول الماجدي " ان هذا الطقس يتم بسكب الماء لإرواء ظمأ الميت وكان هذا يتم برش الماء على تراب الميت "²، لكن تمثل مجتمع البحث

¹ Homans Jc, Anxiety And Ritual: The Theories Of Malinowski And Radcliffe-Brown, I Be Anthropol, 1941, P 164.

² الماجدي، الدين السومري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط 1، 1998، ص 162.

للوظيفة الطقسية لرش الماء على القبر لا يحمل نفس الدلالة عند السومريين رغم انها نفس الممارسة ولم نجد لها تفسيراً لدى افراد البحث غير انهم اعتادوا عليها ويرون فيها متفلساً لحزنهم. كما يتم ترك اناء فوق القبر يسكب فيه قدر من الماء لاعتقاد المجتمع المبحوث ان طيراً او أي كائن اخر قد يرتوي منه فيكون صدقة على روح الميت فيخفف عنه العذاب، ونجد هذه الممارسة قد اشتركت فيها العديد من الحضارات وتتم بترك الماء والطعام على قبور الموتى او داخلها لاعتقاد الفاعلين لهذا الطقس بان الميت سيحتاج اليها، ففي كل من الحضارة المصرية والفينيقية والرومانية نجد هذه الممارسة ماثلة، يروي الماجدي ان المصريين كانوا " يدفنون مع الميت جراراً مليئة بالماء، وقد كان لزاماً على الابن الأكبر أن يقوم بمهمة تقديم الماء والطعام يومياً للميت " ¹ وقد كان الأمر كذلك عند الفينيقيين " إذ يدفن مع الميت بعض المياه والطعام " ²، اما الرومان فقد وجدت البحوث الاثرية بلاطات توضع امام شواهد القبور وهي " تمثيل لطاولة توجد عليها أواني وقرابين تتمثل في وجبات السمك والخبز وغيرها من الاطعمة بالاضافة الى اثنيين يعتقد ان احدهما للماء والآخر للخمر " ³، وكان ترك هذا النصب من اجل اطعام الميت، والذي تتغير دلالاته في مجتمع بحثنا الى التصديق بهذا الماء لجلب الرحمة لروح المتوفي.

رابعاً: طقوس الزوار وضرورة الطهارة

ان الطابع القدسي الذي يضيفه أفراد المجتمع المبحوث على فضاء المقبرة، يمتد ليحدد صفات الزوار المسموح بهم داخلها، حيث يزور المقبرة الكبار فقط والنساء ما عدى الحائض فيجب ان تتوفر الطهارة في الزائرين والزائرات وعند الدخول يجب تلاوة الدعاء " السلام عليكم اهل الديار

¹ المرجع نفسه، ص 230.

² الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط 1، 2000، ص 251.

³ Bouchenaki, M, Fouilles De La Nécropole Occidentale De Tipasa (1968-1972), Alger, 1975, P 168.

من المؤمنين والمسلمين وأنا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية " ¹، كما يمنع البكاء ليس للغرض الشرعي كون صوت المرأة عورة وان بكاءها قد يكون فيه فتنة للحاضرين من الرجال، انما للاعتقاد بان الدوع التي تنزل من الزوار تنزل على جسد الميت رمزيا فتحرقه، كما لاحظنا ظاهرة الحديث مع الميت لكل من يجلس بجوار قبره وذلك بعد الانتهاء من طقس رش الماء ثم تلاوة الفاتحة فالبعض يأتي ليطلب المغفرة وهناك من يعبر عن حبه واشتياقه فلقد لاحظنا ان هذه الاحاديث الى المتوفي وكأنه حاضر بين الزائرين ترى فيه مباركة بلحسن انه نوع من " التعويض نفسي للفقدان او العزلة والتهميش الذي يعانيه الاحياء بسبب موت صاحب القبر " ²، ونحن نرى ان في ذلك نوع من إتمام واجبات الاحياء اتجاه موتاهم، حيث يحبرونهم بما فعلوه لاجلهم في غيابهم النهائي، كما ان فكرة الشعور بوجود روح المتوفي وانه انظم الى عائلته واصدقائه المتوفين وان الحاضرين للزيارة سينظمون اليهم يوما ما هو عامل ترابط قوي وهو ما تفسره مباركة بلحسن بقولها " ان القبر مهم لدى بعض الجماعات للحفاظ على الروابط الاجتماعية بين الاحياء والاموات فهو يقوي هذه الروابط ويعمل على تجديدها " ³ فزيارة القبر هي تكريم لذكرى الشخص المتوفي فهي طريقة لإظهار اهمية حياته التي لم تنساها شبكته الاجتماعية، كما ان التواجد على هذه الارض المقدسة يعتبر مصدر راحة وسلام حيث انه مكان للتأمل والدعاء.

اما عن قراءة الفاتحة على روح الميت فلها دلالة دينية تعبدية تحمل معنى الدعاء لخلاصه ورحمته والدلالة الثانية اجتماعية تعني تأكيد الارتباط بين الاحياء والاموات فالوقوف امام القبر والتلاوة يستحضر فيها الفرد الواقف بان هذا الميت كان على قيد الحياة، ومن هنا فإن زيارة المقبرة واستذكار الموتى هما وسيلة لترابط اجتماعي بين الاجيال بين الافراد وأسلافهم وتتوافق هاتان

¹ مسلم بن حجاج النيسبوري، مرجع سبق ذكره، ص 441.

² مباركة بلحسن، مرجع سبق ذكره، ص 132.

³ المرجع نفسه، ص 131.

الفكرتان الأوسع حول سبب ذهاب الناس إلى المقابر مع الطريقتين الأساسيتين اللتين طورهما الناس واستمروا في استخدامهما للتعامل مع الموت، وهما المفهوم الديني للروح التي تستمر بعد الموت، وفكرة أن أي فرد هو جزء من خط الأجداد الذي يمتد إلى الماضي ويتقدم إلى المستقبل.

3. طقوس الحداد استجابة سوسيوثقافية للحن

يستخدم مصطلح الحداد للإشارة إلى الإظهار الثقافي العام للحن الناتج عن حدث الموت وذلك من خلال " مجموعة من الشعائر والطقوس التي يقرأها تقليد المجتمع، حيث يرتبط الحداد بطقوس وعلامات ظاهرية كارتداء الملابس السوداء " ¹ إذ تجيز أغلب الثقافات التعبير العلني عن الحزن أثناء الحداد فهذا الأخير يعتبر بمثابة رد فعل منظم لفقد أحد أفراد الجماعة فالحداد يتم تنظيم طرق التعبير عنه من قبل كل من الضابط الديني والموروث الشعبي حيث توطر لعملية إفراغ الحزن هذا الأخير الذي يوصف في كثير من الأحيان بأنه عاطفي شديد كما يتزامن مع الانسحاب الاجتماعي والانغلاق عن العالم الخارجي لذات المفجوع، ويمكن التفريق بين كل من الحزن والحداد بأن طبيعة الحزن داخلية أما الحداد فهو خارجي يعكس السلوك المتعلق بالحزن ويختلف أسلوب الحداد من ثقافة إلى أخرى.

وتعتبر طقوس الحداد من أهم الممارسات التي يعبر بها مجتمع البحث عن ألمهم وشدة حزنهم على فقيدهم، حيث أن الدين الإسلامي يفرض أن مدة الحداد يجب أن لا تتجاوز ثلاثة أيام، ويستثنى في ذلك حداد الزوجة على زوجها فإنه يمتد إلى أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا

¹ فارس السيد، النموذج الثقافي للموت والخلود الرمزي تحليل أنثروبولوجي نفسي لمضمون نصوص العديد،

على زوج أربعة أشهر وعشراً¹ أما ما عايناه في مجتمع البحث هو ان مدة الثلاثة ايام بعد الوفاة تخصص للوضائم وهي تحضير الطعام وذبح الغنم لتقديم الطعام للمعزين الذين يترددون على بيت المتوفي والذي يمتاز بنصب خيمة العزاء ووضع الكراسي امام باحته وعند انتهاء هذه المدة المحددة شرعا يكتفي اهل الفقيد برفع الخيمة من مكانها لكن يبقى الاهل دائما على استعداد لقبول التعازي حيث يردد المثل الشعبي القائل " الميت مات ولعزا ما فات " وهو ما يبقى العزاء متاح للجميع في اي وقت اخر ويمتد ذلك الى نهاية عام بعد الوفاة، رغم النهي الصريح للشرع عن تمديد فترة الحزن لكن افراد مجتمع البحث يعتبرون اظهار اي شكل من أشكال الفرح خلال الاشهر القليلة بعد حدوث الوفاة فيه انتقاص لمكانة الفقيد وقلة احترام لباقي افراد شبكته الاجتماعية، وتتمثل طقوس الحداد في السنة الاولى من الفقد في عدم قيام النساء من أقارب الميت بوضع الحناء بل يمتد هذا الطقس الى جميع افراد شبكته الاجتماعية الإناث حيث تقول في ذلك الباحثة رقم (09) " عيب تقابلي فلانة بالحنة وامها ما دارش عليها العام ملي توفاة مسكينة " اي ان وضع الحناء والذهاب الى اهل الميت قبل دوران الحول على وفاته، يعتبر سلوكا لا أخلاقيا فيه اهانة صريحة لأهل الفقيد، اما التطيب ووضع العطر فرغم ان الدين يؤكد على عدم التطيب اثناء الحداد خاصة المرأة الحادة على زوجها وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تمس طيبا "²، إلا اننا لاحظنا استخدام العطور لكن ليس للزينة بل اثناء حالات الاغماء الخاص بالنساء اثناء الجنازة وذلك بسبب فرط البكاء الشديد.

كما لاحظنا مبالغة النساء في الحداد على أزواجهن وذلك لسببين اولهما حرصهن على نيل الثواب كاملا حيث تقول مبحثتنا رقم (08) " الاجر ليها مش ليه وهذا هو الواجب الاخير تاعها معاه

¹ مسلم بن حجاج النيسابوري، مرجع سبق ذكره، ص 448.

² مسلم بن حجاج النيسابوري، مرجع سبق ذكره، ص 449.

لازم ديروا على اكمل وجه " وبذلك يعتبر حداد المرأة على زوجها ومكوئها في المنزل دون تطيب او زينة سواء كانت ملابس ذات اللون زاهية او اكتحال او وضع الحلي، كل ذلك تستغني عنه المرأة الأرملة ليس فقط لمدة اربع اشهر وعشر ايام كما اقرها الشرع وانما لمدة عام كامل ويستثنى في ذلك خروجها من البيت للضرورة، ان هذا الحرص على اظهار الحزن من طرف الارملة يحمل معنى الاخلاص لزوجها وترى فيه نساء المنطقة آخر واجبات الزوجة اتجاه زوجها لذلك فإنها تقوم به على أكمل وجه يقره الموروث الشعبي أما العنصر الذكوري فلم نلاحظ طقوسا خاصة بالحداد من قبله، غير ان الاغلب يتجنبون كثرة الحديث ولا يشاركون في الألعاب الشعبية المعروفة في المنطقة، ان انعزالهم هذا وتحاشيهم لفرط الحديث مع الآخرين هو تعبير رمزي عن شدة ألم الخسارة رغم أن الدراسات النفسية الخاصة بالحداد تؤكد ان عدم اظهار الحزن اثناء الموت يؤثر على الحالة النفسية للمفجوعين تأثيرا خطيرا لا يظهر في وقت وجيز من حدوث الفاجعة بل يمتد تأثيره لسنوات بعدها وينتج عن ذلك ظهور حالات الاكتئاب والعزلة الاجتماعية وضعف النشاط الوظيفي ونقص ملحوظ في الكفاءة المهنية.

ان ما لاحظناها من صبر وجلد لدى العنصر الذكوري اثناء طقوس الوفاة وبعدها يطلق عليه في التحليل النفسي " اضطراب القلق الاجتماعي"¹ والذي يقصد به ان تكون لدى الأفراد " رغبة قوية في نقل انطباع إيجابي عن أنفسهم إلى الآخرين "² والذي يحمل في مجتمع بحثنا دلالة الرجولة والقدرة على ضبط النفس

لكن عدم افراغ الحزن الناتج عن تعرض الفرد لفقد احد افراد شبكته الاجتماعية يؤدي به لا محالة الى حالة الانفصال الاجتماعي حيث " يخشى الافراد التكلّي من عدم استطاعتهم السيطرة على

¹ Prigerson H. G, **Prolonged Grief Disorder: Psychometric Validation Of Criteria Proposed For Dsm-V And Icd-11**. Plos Medicine Journal, 2009, P 18

² Ibid, P 18

حزنهم امام الآخرين فيبذلون جهدا كبيرا وملحوظ للحفاظ على حضورهم الهاديء " ¹ ، وبالتالي الابتعاد عن الجماعة والانفصال عنها وكبت حزنهم وعدم افراغه، وقد يكون السبب في هذا الانفصال لدى العنصر الذكوري في ميدان الدراسة والمتمثل في الرجال والشباب راجع الى عدم ثقتهم في امكانية استعداد شبكتهم الاجتماعية للتعاطف معهم وتقبل طرق حزنهم والرغبة في مشاركتهم في هذا الحزن اذ يحمل المجتمع تمثلا للبكاء أنه من الانفعالات الخاصة بالنساء فهو يحمل دلالة الأنوثة، مما يؤدي بالعنصر الذكوري الى تحاشي هذه الممارسة الانفعالية فيتم كبت هذه المشاعر و يبتعد الافراد هنا عن الجماعة، هذا الانفصال ولو بصفة جزئية سيؤدي مع مرور الوقت وبحسب دراسات التحليل النفسي الى " ظهور انعكاسات تتمثل عادة في الضيق النفسي وضعف وخلل في الحالة النفسية للفرد " ² ولقد انتهت دراسة في هذا المجال اجريت حول " دور الدعم الاجتماعي في تسهيل التكيف مع الحزن اثر فجيرة الموت " ³ الى تحديد آثار هذا التدهور في الصحة النفسية، حيث ينتج عن الانفصال الاجتماعي اضطراب ما بعد الصدمة والذي بالامكان ان يتطور الى حالة الاكتئاب واذا كان المقصود من الانفصال الاجتماعي هو الشعور بالبعد او الانقطاع في العلاقات مع الآخرين فان اضطراب ما بعد الصدمة يتمثل في ظهور صعوبة في الثقة بالآخرين منذ الخسارة التي يحدثها الموت، ومنه فان الدعم الاجتماعي اثناء الحداد يؤدي الى نتائج نفسية افضل لكنه يتطلب من الفرد ان يكون مستعدا وقادرا على التفاعل عاطفيا مع شبكته الاجتماعية.

¹ Smith K. V, **Conducting Ethical Internet-Based Research With Vulnerable Populations: A Qualitative Study Of Bereaved Participants' Experiences Of Online Questionnaires,**

Européen Journal Of Psychotraumatology, 9(Suppl. 1), 2018, P 130.

² Smith K. V, Ibid, P 131.

³ Kirsten V And Ether, **The Masking Of Mourning: Social Disconnection After Bereavement And Its Role In Psychological Distress,** Clinical Psychological Science, 8(3), May,2020,P 23.

ان واقع المجتمع المدروس يشير الى ان الحزن الذي يسببه الموت لا يمكن ان يتم تخطيه دفعة واحدة وإنما عبر فترات، يقوم فيها الموروث الشعبي دور المساعد في تقديم اساليب خاصة لإفراغ الحزن فالجيران المحاذين لبيت الميت يمتنعون عن القيام بأي ممارسة احتفالية حتى ولو صادفت هذه المناسبة حدوث الموت قبل شهر من تاريخها، وذلك تعبيراً عن تضامنهم واحترامهم لمشاعر جيرانهم، اذ لاحظنا انه في حالة مصادفة موعد الزفاف وعند تزامنها مع حدوث وفاة لدى احد الجيران فان المعنيين بالمناسبة امام خيارين، اما ان يتم تأجيل العرس لبضعة اشهر اخرى، او ان يتم الزفاف دون إبداء أي مظهر من مظاهر الاحتفال الصوتية فقط وما عداها من لبس الملابس الاحتفالية وتقديم الولائم فيتم بصفة عادية، اما الاحتفالات الصوتية فنقصد بها كل من اطلاق البارود والزغاريد والأصوات الخاصة بالسيارات فان كل شيء يتم في صمت شديد، ويمتد ذلك الى عدم تشغيل اجهزة التلفاز في بيت المتوفي وخفض صوته لدى الجيران لمدة ايام عديدة بعد الوفاة ولم نجد اتفاق على مدة واحدة لدى افراد عينة البحث، فهناك من التكلّى من يغلق التلفاز ولا يستخدمه لمدة شهر منذ الوفاة وهناك منهم من لا يستخدمه لمدة اسبوع.

ومنه يصير الحداد ضمن المجتمع المدروس عاطفة جماعية يتشارك فيها افراد جماعة الحزن بالاضافة الى تضامن جميع افراد الشبكة الاجتماعية، اذ ان تجربة الحداد وبكل ما تتضمنه من ممارسات وطقوس تمثل جميعها مرحلة انتقالية من طقوس المرور بين الخسارة التي يحدثها الموت وبين اعادة الروتين اليومي لأفراد المجتمع الحاد، فيظهر الحداد في مجتمع البحث كعملية ذات جوانب فردية وجماعية، تتبع المعايير الاجتماعية والثقافية والعمليات الطقسية للتجربة والتعبير العاطفي المناسب والذي يخضع لما يمليه الموروث الشعبي اكثر من خضوعه للضابط الديني.

4. طقوس الأربعين

يعتبر طقس الاربعين من بين الترتيبات الجنائزية التي تعكس الطبيعة الاجتماعية لطقوس العزاء

حيث يشمل هذا الطقس تأويلات تستمدّها الجماعة من المخيال الشعبي المتوارث من تمثّلات عدة شكّلت معاً بنية الحداد والعزاء في المجتمع المبحوث، ولقد تمثّلت طقوس احياء الاربعين بالذبح وتحضير الطعام الذي يطلق عليه اسم الكسكسي، يتم تحضيره بلحم ذبيحة من الغنم، وتتم دعوة اعضاء الشبكة الاجتماعية للمتوفي مشتملة على كل من الاقارب والجيران والأصدقاء، كما يتم حضور مجموعة شيوخ من حفظة القرآن يطلق عليهم اسم " الطلبة " حيث تتم دعوتهم من طرف أحد افراد عائلة المتوفي، وبعد أن ينتهي الجميع من تناول الطعام يلتف القليل منهم حول " الطلبة " الذين يقومون بطقس " الختمة " وهو ترتيل وتجويد القرآن الكريم كاملاً، وعند الانتهاء يرفع الجميع أكفهم بالدعاء حيث يتلوه أحد الطلبة أما باقي الحضور فيؤمنون على دعائه، ويفتح الدعاء بالتذكير بأنه لا بقاء الى الله، ثم يدعو ان يكون أجر التلاوة والصدقة المتمثلة بإطعام اهل الميت لجميع الحضور، ان يجعل الله اجر كل ذلك في ميزان حسنات المتوفي وان يلهم ذويه الصبر والسلوان وان تقبل صدقتهم، ويختتم الدعاء بطلب الغفران لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يفترق الجمع.

وطقس الاربعين تمتد جذوره الى الحضارة الفرعونية " فقد كان من أهم ما يحتفل به المصريون القدماء ذكرى أربعين الميت، وقد انحدرت هذه العادة من ذكرى أسطورة أوزوريس عندما قتله أخوه ست ومزق جثته أربعين جزءاً وطرحها في أربعين مقاطعة لذا فقد أقام المصريون القدماء لئله "أوزوريس" قبراً لكل جزء من جسمه، وبقيت في التحنيط لمدة أربعين يوماً ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يوماً بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير، ثم يشيعونها لمثواها الأخير في احتفال " ¹، ويرجح ان وصول هذا الطقس الى المجتمع المبحوث

¹ عبد الصمد، محمد كامل، عادات وتقاليد من العصور القديمة، مكتبة دار العربي للكتاب، القاهرة، ط1،

راجع لامتزاج الثقافات والحضارات قديما، وسبب استمراريته يعود لوظيفته الاجتماعية المتمثلة في كونه فرصة ثانية لحضور المأتم من قبل أولئك الاعضاء في الشبكة الاجتماعية لذات المتوفي، والذين شغلتهم ظروفهم عن حضور العزاء في وقته الفعلي، هذه الظروف التي تتمثل غالبا في بعد المسافة وظروف العمل، فالاربعة فرصة لاثبات مساندتهم لاهل الميت حيث يقدم المدعون اعانات مختلفة لأهل المتوفي اغلبها مبالغ مالية، عكس ما يتم منحه خلال الايام الفعلية للجنائز حيث تقدم اعانات تتمثل في مبالغ مالية اضافة الى أكياس السكر وعلب القهوة، ومنه فان عدم حضور هؤلاء خلال الطقس الفعلي للجنائز يهدد بتفكيك الشبكة الاجتماعية القائمة، كما يؤثر سلبا على العلاقات بين الافراد، فيمثل طقس الاربعة فرصة لإصلاح العلاقات وتعزيز الشبكات الاجتماعية وتعديل الانقطاع في سلسلة العلاقات.

يقدم مجتمع البحث مثالا على هذه الوظيفة لطقس الجنائز حيث تجري سلسلة من الطقوس ويعتبر الاربعة المرحلة الاخيرة لهذه الطقوس يحضر خلاله الاقارب الذين يقطنون في مناطق جد بعيدة ومن كل افراد العائلة الممتدة لعائلة المتوفي كما يحضر افراد من خارج المنطقة وتقديم هدايا وبهذا اعدوا خلق العلاقات التي كانت بين المتوفي والافراد المنبئين بالحدث، فافراد الميت هنا يقومون بدور قريبهم المتوفي مع الحاضرين وتعاط ربط علاقات معهم، كما ان تقديم الهدايا التي تكون في اغلبها مبالغ مالية او هدايا ملابس او غيرها تساعد اهل الفقيد في تخطي حزنهم وبذلك تحافظ الجماعة على الشبكات الاجتماعية القائمة خلال حدث الموت. المتغيرة في الحياة الاجتماعية بمواقف العزلة عن الآخرين.

مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

تحمل طقوس الجنازة دلالات سوسيوثقافية تعبر عن دور كل من الدين والموروث الشعبي في اعادة توازن و تماسك البناء الاجتماعي خلال طقوس التأسيس وهو ما تحققنا منه ميدانيا من خلال النتائج التالية:

-طقوس الجنازة خلال مرحلة التأسيس لدور ومكانة الميت في انتقاله الى عالم الاموات وانتهاء دوره ووجوده في عالم الاحياء.

- الطقس الديني المتمثل في الصلاة على الميت يحمل دلالة انتهاء دور الميت في الحياة التعبدية بادخال جثمانه الى المسجد والصلاة عليه لطلب المغفرة والرحمة والتثبيت.

- لتكاتف افراد المجتمع في حمل الجنازة وتشجيعها دلالة عمل الطقوس الجنائزية وظيفيا على تماسك الوحدة الاجتماعية لمجتمع الجنازة في هذه اللحظات العصبية.

- ممارسات التشييع تحمل دلالة احترام الزمن المقدس الذي تتم خلاله طقوس مواراة الميت لمثواه الاخير.

- طقوس الدفن تعمل كمرحلة أخيرة لانفصال المتوفي عن حياته الاولى والتي تبدأ عندها طقوس ادماج الميت في حياته الأخرى.

- يمد المعتقد الشعبي افراد المجتمع بتمثلات تفسر ضرورة سرعة القيام بالدفن حيث ينتشر الاعتقاد بان سرعة دفن الجثمان تؤدي الى انتهاء حزن الجماعة والتعجيل بصبرهم.

- الطقوس الدينية المتمثلة في ترديد الأدعية والاستغفار وطلب الرحمة للميت ولكل المسلمين الاموات والاحياء تؤدي وظيفة اعادة التوازن للجماعة بإعادة التأكيد على تلاحم افرادها وتكاتفهم.

- الابتعاد عن الالوان المبهجة في مختلف طقوس الجنازة من الملابس الى طعام الوضيمة يدل رمزيا على ابداء الحزن واحترام الميت والخضوع امام رهبة الموت.

- الحداد هو رد فعل منتظم لفقد احد افراد الجماعة وممارساته تحمل دلالة ضرورة تنظيم طرق التعبير عن الحزن من قبل كل من الضابط الديني والموروث الشعبي حيث يؤطران معا عملية افراغ حزن الافراد خلال فوضى الموت.

- يعتبر طقس الاربعين من بين الترتيبات الجنائزية التي تعكس الدلالات الاجتماعية لطقس العزاء

حيث يشمل هذا الطقس تأويلات تستمدّها الجماعة من المخيال الشعبي المتوارث من تمثلات عدة شكلت معا بنية الحداد والعزاء في المجتمع المبحوث.

ويرجح ان وصول هذا الطقس الى المجتمع المبحوث راجع لامتزاج الثقافات والحضارات قديما، وسبب استمراريته يعود لوظيفته الاجتماعية المتمثلة في كونه فرصة ثانية لحضور المأتم من قبل أولئك الاعضاء في الشبكة الاجتماعية لذات المتوفي، فيمثل طقس الاربعين فرصة لإصلاح العلاقات وتعزيز الشبكات الاجتماعية وتعديل الانقطاع في سلسلة العلاقات.

الاستنتاج العام:

تعد الطقوس الجنائزية مخططا ثقافيا يشمل مراحل متسلسلة تشكل معا نسقا متكاملًا لتعبير الجماعة عن منظومتها العاطفية بدءاً من تمثالاتها التي تحمل في طابعها التنبئي دلالة الخوف من هذا الحدث انتقالاتاً إلى الطقوس المصاحبة للموت كعملية اجتماعية يشارك فيها البناء الاجتماعي بكل مؤسساته القرابية والدينية وحتى الثقافية معبر عنها في الموروث الشعبي وما يحمله من زوايا اعتقادية وطقوسية يشكلان معا نتاج تلاقح ثقافة المجتمع الأصلية مع عدة ثقافات من مختلف الحضارات والديانات التي تعاقب وجودها على منطقة البحث خاصة وعلى القطر الوطني عامة.

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكننا القول أن الموت هو المصير الذي لازم وجود البشرية منذ الأزل وما يصاحبه من حزن ممزوج بالخوف يمزق وجود الجماعة، ولكي يضبط المجتمع الوجدان الجمعي لديه، لا يتأنى في اعتماد كل الطقوس الدينية المعروفة لدى الجماعة وحتى الشعبية ذات المصادر المختلفة من أجل تحقيق هدفين أساسيين، أولهما السيطرة على المنظومة العاطفية للجماعة وثانيهما اجتياز هذه اللحظة الانتقالية.

إن إقامة طقوس الجنازة تدل على الاعتقاد بأن الموت ليس نهاية الوجود الإنساني وذلك ما يثبت أن الدين هو أصل وجود الطقوس الجنائزية، غير أنه وإن كان الأصل فإن للموروث الشعبي الفضل في تحديد أشكال الممارسات الطقسية التي تحمل البيانات الاجتماعية والثقافية والتي يمكن اعتبارها دلالات رمزية تعبر عن هوية المجتمع.

إن دلالة إقامة الطقوس الجنائزية تمتد من تجهيز الميت لما بعد الموت وتحقيق راحته إلى كونها أداة لتوجيه آلام الثكالي والمعزين، حيث تهيء منظومة المجتمع الاعتقادية قوالب تنظيمية لإفراغ عملية الحزن المشحون لدى الجماعة في أوقات الإزمات الوجودية المتمثلة في حدث الموت، كما و يتشارك في تشكيل هذه القوالب كل من الدين والعرف معا.

ويصبح بذلك حدث الموت مناسبة حداد تشير إلى الانتقال من حياة إلى أخرى، ولهذا السبب من الضروري إجراء طقوس جنائزية لأنها تظهر ردود أفعال الأحياء المختلفة تجاه الموت، وبالتالي يتم النظر إلى طقوس الجنازة على أنها ممارسات مجتمعية يؤديها أفراد البناء الاجتماعي الواحد لمواجهة الانتقال الذي يحدث من الحياة إلى الموت بسبب وفاة أحد أعضائها، مع تميزها بالطابع المقدس لارتباطها بمعتقدات دينية تعمل لتحقيق وجود يتجاوز الوجود الأرضي.

كما تعمل الممارسات الطقسية على تحقيق وظائف سوسيوثقافية من خلال سلسلة من الالتزامات الاجتماعية التي يتبادلها افراد الشبكة الاجتماعية للمتوفي لضمان تماسك البناء الاجتماعي في هذه الاوقات العصيبة فتعمل على مساعدة الثكالى في قبول الوضع الجديد بعد انتهاء وجود فرد منهم. بالاضافة الى ان الطقوس الجنائزية تشكل أنشطة اجتماعية يتم وضعها موضع التنفيذ للتعبير من خلالها عن تعقيد الرموز الموجودة حول مفهوم الحياة والموت.

ومنه فان الطقوس الجنائزية تشكل أفعالا فردية وجماعية يتم الالتزام بها باتباع قواعد وانظمة سلوكية، كما انها تتميز بقدرتها التعبيرية، وتكرارها، ورمزيتها ويتشارك الافراد في هذه الطقوس من أجل تعزيز الشعور بالتضامن لدى الجماعة كجانب أساسي للتغلب على التحولات الحيوية ذات الطبيعة الاجتماعية والطبيعية التي يفرضها عليها الوجود نفسه.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

الكتب السماوية

1. التوراة

2. الإنجيل

3. القرآن

كتب التفسير والسنة النبوية

1. ابو جعفر ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويا آي القرآن، دار

الهجرة للطباعة والنشر، ط 1، 2001.

2. ابو زكريا النووي، المجموع شرح المذهب، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، 1347

هـ.

3. الألباني، صحيح الجامع، المكتب الاسلامي، 2006.

4. البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 2002.

5. الترميذي، الجامع الكبير، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط 1، 1996.

6. الحسين بن علي البهيقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان ج3، ط3، 2003.

7. محمد ابن حبان البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت،

1988.

8. مسلم ابن الحجاج النيسبوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد ابو قتيبة، دار طيبة الرياض،

2006.

9. النسائي، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2001.

10. الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز،

2009.

قائمة المعاجم والقواميس باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، المجلد الثالث، 1992 .

2. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1978.

3. ايكة هولترانكس، قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا والفولكلور، ت محمد الجوهري و

حسن الشامي، دار المعارف مصر، 1973.

4. بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، 1982.

5. بيار بونيت، ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ت: مصباح الصمد، مجد

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2016.

6. جماعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ج 1 و ج 2.

7. جون ر. هيلينس، معجم الأديان، الدليل الكامل للأديان العالمية، ت: هاشم أحمد محمد،

المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2010.

8. الزبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت.

9. سليم شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، الكويت، 1981 .

10. صموئيل حبيب، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية، 1988، ص

929.

11. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط 4، 2010.

12. محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت.

13. محمد حسن عامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة ، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، 1991.

قائمة المعاجم والقواميس باللغات الاجنبية:

1. A. Domart, G . Boumeuf, **La Rousse Medical, Herissey Et Imprimerie**, Gombar Evreux , 1982.
2. Robert Segal, Ninian Smart And Others, **The Encyclopedia Britannica , Science, Literature And General Information** ,Cambridge, England, At The University Press, July 20, 1998.
3. Rabbi Brian Walt , **A Guide, Jewish Practices And Rituals For Death And Mourning** , Tikkun V'or In 2012 .
4. Herbermann Charles , **Christian Burial, Catholic Encyclopedia**, Robert Appleton Company, New York, 2008.
5. Dallet J M **Dictionnaire Kabyle** .Français Société D Etude Linguistiques Et Anthropologiques De France . Paris 1982.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. ابراهيم ابو طالب، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.
2. ابن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،، ج1، ط1، 1988.
3. إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، 1987.
4. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2 ، 1971 .

5. أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، دار الخلفاء الراشدين للنشر، مصر، ط 1، 2011.
6. أحمد لطفي، اختراع التقاليد، دار الكتب الوطنية، أبو ضبي، ط 1، 2013.
7. الأسود سيد حافظ، الانثروبولوجيا الرمزية، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2002.
8. إيفانز برتشارد، الأناسة المجتمعية، ت: حسن قبيسي، دار الحداثة، 1982.
9. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت لبنان، ج 48، ط 1، 1997.
10. بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1986.
11. بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2000.
12. بوريا ساكس، الغراب: التاريخ الطبيعي والثقافي، ت: ايزميرالدا حميدان، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، 2010.
13. جاك لومبار، مدخل الى الانثولوجيا، ت: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1997.
14. الجباري عثماني، مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن 19.
15. جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، ت: يعقوب جورجس نجيب، معهد الدراسات القبطية، مصر ط 1، 1964.
16. الجوهري محمد، علم الفولكلور، دار المعارف، القاهرة، 1981.

17. جيرمين تيليون، الحريم وأبناء العم، تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ت: عز الدين الخطابي، إدريس كثير دار الساقى، بيروت لبنان، 2000 .
18. جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها، أساطيرها، أنساقها، ت: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط3، 2006.
19. جيمس فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ت: محمد زياد كبة، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث كلمة، 2011.
20. حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971.
21. حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية، المكتب الجامعي الحديث، 1993
22. خزل الماجدي، بخور الآلهة، منشورات الاهلية، لبنان، ط01، 1998 .
23. الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية، بيروت لبنان، ط 1، 2007.
24. دوغلاس ديقيس، الوجيز في تاريخ الموت، ت، محمود الهاشمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014.
25. دياكونوف ، تاريخ الشرق القديم، دار أسامة للنشر والتوزيع، فلسطين، ط 1.
26. راد كليف براون، البنية والوظيفة في المجتمع البدائي.
27. سعد سالم، التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، أريد ، الأردن.
28. سلوى الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مكتبة الشقري للتوزيع والنشر، ط2، 2009.

29. سميح شعلان، الموت في المآثرات الشعبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية

والاجتماعية، القاهرة، 2000.

30. سميح عبد الغفار شعلان، الموت في المآثرات الشعبية، عين للدراسات والبحوث

الانسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، 2000.

31. الشرياصي ابو حازم احمد، يسألونك في الدين والحياة، دار الجيل، بيروت،

لبنان.

32. شريف الصيفي، الخروج للنهار كتاب الموتى، دار تنمية للنشر ردمك، 2020.

33. شمس الدين الشربيني، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1994.

34. شوقي عبد الكريم، الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم

والثقافة، 2012.

35. طراد الكبيسي، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر

العربي الحديث.

36. طلال معلا، التراث الثقافي غير المادي تراث الشعوب الحي، مداد مركز دمشق

للابحاث والدراسات، سوريا، 2017.

37. طواهي ميلود، المقدس الشعبي تمثلات مرجعيات وممارسات، دار الروافد

الثقافية، بيروت، لبنان، ط 1، 2012.

38. عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت لبنان، ط 1، 1983 .

39. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي، دار القصبة للنشر، طبعة الجزائر عاصمة

الثقافة العربية، الجزائر، 2002.

40. عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة.
41. عبد الرحمان بوزيدة، قاموس الأساطير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2005.
42. عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1982.
43. عبد الصمد، محمد كامل، عادات وتقاليد من العصور القديمة، مكتبة دار العربي للكتاب، القاهرة، ج1، ط1، 1995.
44. عبد الله بن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، ج 2، ط 1.
45. عبد الهادي احمد الجوهري، علي عبد الرازق ابراهيم، المدخل إلى المناهج وتصميم البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002.
46. عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006.
47. عمر بن سليمان الأشقر، القيامة الصغرى، دار النفائس، 2004.
48. فانتن محمد الشريف، الثقافة و الفولكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط2، 2008.
49. فارس السيد، النموذج الثقافي للموت والخلود الرمزي تحليل أنثروبولوجي نفسي لمضمون نصوص العديد، معهد الشارقة للتراث، الإمارات، 2018.
50. فارس خضر، تصورات الموت في الوعي الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2009.

51. فاروق احمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية .
52. فاروق خو رشيد، الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1992.
53. فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2017.
54. فراس السواح، جلجامش، ملحمة الرافدين الخالدة، دار علاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
55. فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، ط 1، 1994.
56. فريق اللاهوت الدفاعي، التلمود المشنا، السبت 32، ت مصطفى عبد المعبود، مكتبة النافذة، ط1، الجيزة، 2007.
57. فريق اللاهوت الدفاعي، طهارات الطهاروت، ترجمة لمتن التلمود المشنا القسم السادس، ت مصطفى عبد المعبود، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2007.
58. فولف كريستوف، علم الأناسة، التاريخ والثقافة والفلسفة، ت: ابو يعرب المرزوقي، تونس، الدار المتوسطة للنشر، ط 1، 2009.
59. قاسم العاصم النجدي، حاشية الروض المربع، ج3، ط1، 1397هـ.
60. كاثرين كليمان، كلود ليفي سترويس ، ت: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1، 2008.
61. كمال الدين محمد بن موسي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2012.

62. لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1979.
63. الماجدي، الدين السومري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط 1، 1998.
64. الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، 1999.
65. الماجدي، المعتقدات الآرامية، دار الشرق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط 1، 2000.
66. الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط 1، 2000.
67. مالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ت: فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995.
68. مباركة بلحسن، الموت وصناعة الرمزي، طقوس ومخيل اجتماعي، منشورات الوطن اليوم، 2022.
69. محمد الجابري، نحن والآخر، دار الطليعة، 1982.
70. محمد الجوهري وآخرون، الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
71. محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية، 2005.
72. محمد الجوهري، علم الفلكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988.

73. محمد بن عبدالله الزامل، الدين والضبط الاجتماعي، جامعة الملك سعود، كلية التربية.
74. محمد بوداري، الاحتفال براس السنة الامازيغية الرموز و الدلالات، دار المعرفة.
75. محمد عباس ابراهيم، السياحة والموروث الحضاري، دار المعرفة الجامعية ، مصر، ط 1، 2013.
76. محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
77. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1980.
78. محمود مفلح، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق، 2009.
79. المختار الهراس، إدريس بن سعيد، التحولات والتغيرات الاجتماعية في البوادي المغربية، منشورات كلية الادب والعلوم الانسانية، الرباط، ط 1، 2002 .
80. مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، دار دمشق للطباعة والنشر، 1988.
81. مصطفى العليان، مناهج وأساليب البحث العلمي، دار صفاء للنشر، عمان، ط 1، 2000.
82. مصطفى بوتقنوش، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ت: دمرى أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1984.
83. مصطفى سوبف، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة انجلو، القاهرة، 1970.
84. منصور مرقومة، أنثروبولوجيا الموت، تأملات في نهاية الانسان، ألفا للوثائق، 2012.

85. ناصر الدين الأسد، التراث والمجتمع الجديد، مطبعة العاني، بغداد، 1965.
86. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ط 3، 1981.
87. نصر الدين الألباني، أحكام الجناز وبعدها، مكتبة المعارف، 2006.
88. نهى محمود نايل، الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة، مصر، 2003 .
89. نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 1، 1988 .
90. هشام عثمان، محمد صالح، التقنيات المعمارية في العمارة التقليدية وكيفية الاستفادة منها في خفض استهلاك الطاقة في المبنى، جامعة الازهر، 2016.

قائمة المراجع باللغات الاجنبية

1. Bronislaw Malinowski, Argonauts Of The Western Pacific , London, G , Rout Ledge & Sons, New York,1922.
2. Berthier Nicole , Les Techniques D'enquete En Sciences Sociales , Methodes Et Exercices Corrignes, Paris , Armand Colin , Collection" Corsus, Serie'travaux Dirigeess ", 1998.
3. Fetterman, D, Ethnography: Step By Step , 2nd Ed, Thousand Oaks, 1998.
4. Angrosino, M, Doing Ethnographic And Observational Research, Thousand Oaks,2007
5. Jacqueline S. Thursby , Funeral Festivals In America, Rituals For The Living, The University Press Of Kentucky, 2006.
6. Mira Menzfeld, Anthropology Of Dying, A Participant Opservation With Dying Persons In Germany, Springer Vs, 2017.
7. Duvignaud Durkeim, Sa Vie Son Oeuvr, Puf, Paris, 1965.

8. Malinowski B , **Magic Science And Religion And Other Essays**, The Free Press, 1948.
9. Durkheim (E), **Les Formes Elementaires De La Vie Religieuse**, Puf, Paris, 1985.
10. Edwards, **Philosophy Of Religion**.
11. Radcliffe-Brown, **Structure And Function In Primitive Society**, The Free Press Glencoe, Illinois, 1952,.
12. Blazer, D. G, **The Origins Of Late-Life Depression**, Psychiatric Annals, 2010.
13. Harold G Koenig , **Spirituality And Health Research: Methods, Measurements**, Statistics, And Resources, Templeton Press, 2012.
14. Andrew B. Newberg , **Principles Of Neurotheology**, Routledge, London, 2016, P 09.
15. Gerry Cox, Neil Thompson, **Managing Death: International Perspectives**, Springer, 2022.
16. Klein, Isaac, **A Guide To Jewish Religious Practice**, New York : Jewish Theological Seminary Of America ; Distributed By Ktav Pub. House 1979.
17. Ahavat Shalom, **Yehudai Gaon Sefer Halachot Pesukot**, Jérusalem, 1999 P 425 .
18. Raphael, Dr. Simcha Paull , **Jewish Views Of The Afterlife**, Jason Aaronson Inc, 1994, P 415.
19. Bonte Pierre Et Izard Michel, **Dictionnaire De L'ethnologie Et De L'anthropologie**, Paris, Puf, 2eme Edits, 2002.
20. Sokolof Archpriest , **A Manual Of The Orthodox Church's Divine Services** , Prints Hop Of St Job Of Pochaev , Ny, 2001.
21. A Nun Of The Orthodox Church, **"Let's Talk About Death"**, The Shepherd, Volume 3, N 2 , November, 1995

- 22.Fr. François Schouppe, **The Altar And Its Furnishings**, Radical Catholic, 4 November, 2014.
- 23.Gould, James, **Understanding Prayer For The Dead: Its Foundation In History And Logic**, Wipf And Stock Publishers, 2016.
- 24.Alfred Nothum, **La Remuneration Du Travail Inherent Aux Fonctions Spirituelles Et La Simonie De Droit Divin**, Libreria Editrice Dell'universita Gregoriana, Roma, 1969.
- 25.Stefon, Matt And Others, **Christianity, Concepts Of Life After Death**, Linwood , 2020..
- 26.Tyson, D, **Ritual Magic**, Llewellyn Worldwide, London, 1992
- 27.Miller & Brandon, Beliefs, **Rituals, And Symbols Of Ancient Egypt**, Mesopotamia, And The Fertile Crescent, Cavendish Square Publishing, London, 2014
- 28.Hoffmann, **Understanding Religious Ritual**, Routledge, New York, 2013.
- 29.Durkheim E, **Sociologie Religieuse Et Theorie De La Connaissance**, Presses Universitaires De Presses,1909.
- 30.Hughes, **Magic For The Resistance**, Llewellyn Publications, London, 2018.
- 31.Reynolds, **Transitions And Transformations In The History Of Religions**, Brill, New York, 2018.
- 32.Lan, **Defining And Classifying Ritual Based On Belief Theory**, The Journal Of Chinese Sociology, 5(1), 2018.
- 33.Grimes, **The Craft Of Ritual Studies**, Oxford University Press, Oxford, 2014.
- 34.Forde & Gluckman, **Essays On The Ritual Of Social Relations**. Manchester University Press, Manchester Uk, 1975.

35. Van Gennep, **The Rites Of Passage**, The University Of Chicago Press, Chicago, 1960.
36. Stein & L Stein, **The Anthropology Of Religion , Magic And Witchcraft**, New York.
37. Bloch, Maurice , **Symbols, Song, Dance And Features Of Articulation**, Cambridge University Press, 1974.
38. Myerhoff, Barbara , **Secular Ritual**, Van Gorcum, 1997.
39. Baranovitchi H, **Death: A Cross-Cultural, Cambridge Uni-Versity Press**, Cambridge, 2nd Edn, 1984.
40. Robert Hertz , **Death And The Right Hand**, Rout Ledge, 1960.
41. Malinowski B, **Man And Culture**, Rout Ledge & Keg An Paul, London, 1960.
42. Rebecca Gowland & Christopher Knüsel, **Social Archaeology Of Funerary Remains**, Oxbow Books, 2012.
43. Harari, Homo Sapiens: **A Brief History Of Humankind**. Vintage, 2015.
44. Despelder & Strickland, **The Last Dance: Encountering Death And Dying**, 11th Ed, Mcgraw-Hill, 2019,.
45. Camps, G, Camps Faber, H, **La Necropole Megalithique De Dj Mezala A Bou Nouara**, Memoire Du Crape, Paris, 1963.
46. Benichou-Safar, H, **Les Tombes Puniques De Carthage. Topographie, Structures, Inscriptions Et Rites Funeraires**, Cnrs, 1982.
47. Bouchenaki, M, **Fouilles De La Necropole Occidentale De Tipasa (1968-1972)**, Alger, 1975.
48. Guery, R , **La Necropole Orientale De Sitifis (Setif-Algerie), Fouilles De 1966-1967**, Etudes D'antiquites Africaines, Cnrs, Paris, 1985.

49. Moriah Maresh, **Food Studies And The Reemergence Of Lévi-Strauss Structuralism In Literary Criticism**, Verbeia, 2022.
50. Townsend, **Art And Death**, E. P. Torres, 2008.
51. Dane Munro, **Introduction To: Memento Mori**, A Companion To The Most Beautiful Floor In The World.
52. Ranum, **Western Attitudes Towards Death, From The Middle Ages To The Present**, Johns Hopkins University Press 1974
53. Serge Genest , **Recherche Anthropologique : Techniques Et Methodes** ,Universite Laval , 1979.
54. Bronislaw Malinowski , **Argonauts Of The Western Pacific** , London, G , Rout Ledge & Sons : New York,1922.
55. Gilchrist, R, **Magic For The Dead? The Archaeology Of Magic In Later Medieval Burials**, Medieval Archaeology, 52, 2008.
56. Greenwood, Susan, **The Anthropology Of Magic**, Oxford Berg, 2015.
57. Greyson B, **Near-Death Experiences**, American Psychological Association, Washington, 2000.
58. Homans Jc, **Anxiety And Ritual: The Theories Of Malinowski And Radcliffe-Brown**, I Be Anthropol, 1941.
59. Bouchenaki, M, **Fouilles De La Nécropole Occidentale De Tipasa (1968-1972)**, Alger,1975.
60. Prigerson H. G, **Prolonged Grief Disorder: Psychometric Validation Of Criteria Proposed For Dsm-V And Icd-11**, Plos Médecine Journal, 2009.

قائمة المجلات باللغة العربية:

1. أحمد محمد جاد، المناهج الاجتماعية لدراسة الأديان، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، مصر .
2. ادريس ابراهيم البريدي، قراءة في أنساق الحكاية الشعبية، مجلة الثقافة الشعبية العدد 34
3. بليلي عواطف، الطقوس الجنائزية في منطقة الشرق الجزائري مقارنة أنثروبولوجية، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، برلين ألمانيا، 2020.
4. السعيداني منير، التنوع الثقافي الانساني في الخطاب الاناسي بين الاختراع والمعرفة، مجلة الفكر العربي المعاصر بيروت مركز الانماء القومي عدد 122-123، صيف 2002.
5. سمية فالح، وظائف المثل الشعبي في منطقة الاوراس، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، العدد 11 سبتمبر 2014 .
6. عبد الله هرهار، سلطة السحر بين التمثل والممارسة، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 5
7. عصمة العبادي، منى العكيلي، طقوس العبور دراسة انثروبولوجية ميدانية لشعائر الوفاة في مدينة قلعة صالح، هيئة التعليم التقني ، المعهد الطبي التقني ، بغداد ، 2013.
8. غيرتز كليفورد، نزال الديكة في جزيرة بالي بوصفه لعبة، ت: حامد خالدة، مجلة البحرين الثقافية، مملكة البحرين، قطاع الثقافة والتراث الوطني، المجلد العاشر، العدد 37 ديسمبر، 2003.
9. فريق عمل عن مصر اتحدث، تابو البكارة، كراسات الاوان.
10. فلاح جابر جاسم ، الدين وآليات الضبط الاجتماعي، مجلة أوروك، العدد 2، المجلد 10، 2017.

11. فلاح جابر جاسم الغرابي، الدين وآليات الضبط والبناء الاجتماعي، مجلة اوروك، العدد الثاني المجلد العاشر 2017،
12. مجمد الجوهري، التراث الشعبي بين الفولكلور وعلم الاجتماع، مجلة التراث والمجتمع ، جمعية انعاش الاسرة، لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، فلسطين، ، العدد الأول، أبريل 1974 .
13. محمد جلال حسين، طقوس ومراسم الموت بالنوبة المصرية، مجلة سوسولوجيا، القاهرة، مصر، 2021.
14. محمد جلال حسين، طقوس ومراسيم الموت بالنوبة المصرية: دراسة ميدانية في انثروبولوجيا الموت، مجلة سوسولوجيا، المجلد 5، العدد 3، 2021 .
15. مختار رحاب، الصحة والمرض وعلاقتها بالنسق الثقافي للمجتمع، مقارنة من منظور الانثروبولوجيا الطبية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 15، جوان 2014.
16. مختار رحاب، مناهج و تقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 19 ديسمبر 2014.
17. مسعود بودريالة، تشكل الرمز المقدس في المخيال الديني نماذج من الرموز المسيحية المقدسة، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 53 ، 2021 .
18. مصطفى عوفي وأحمد عبد الحكيم بعطوش، النظام العائلي الحديث والممارسات القريبة في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الانسانية والمجتمع، عدد 13 ديسمبر 2014.
19. نبيل حميدشة، المقابلة في البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 08، جوان 2012.

20. حسني عبد الرزاق، طقوس الموت قبل الاسلام، مقارنة بين طقوس الحضارتين

العراقية والرومانية، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 03، أيلول 2023.

21. عبد السلام المسدي، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، مجلة العربي،

الكويت، 1993.

22. عصمة محمد جاسم العبادي، منى حميد حاتم العكيلي، طقوس العبور دراسة

انثروبولوجية ميدانية لشعائر الوفاة في مدينة قلعة صالح ببغداد، المعهد التقني بغداد.

قائمة المجلات باللغات الاجنبية

1. Brooks Alison , The Revolution That Wasn't: A New Interpretation Of The Origin Of Modern Human Behavior, Journal Of Human Evolution, November 2000.
2. Colette Roubet Et Slimane Hachi, Nécropoles Préhistoriques, Encyclopédie Berbère, 33, N 22, 2012,
3. Corina R Ronneberg, Edward Alan Miller, Elizabeth Dugan , Frank Porell , The Protective Effects Of Religiosity On Depression, The Gerontologist, 2016, Vol. 56, No. 3.
4. Gang Xu And Ether, Surge Of Neurophysiologic Coupling And Connectivity Of Gamma Oscillations In The Dying Human Brain, Pnas ,U S A, 27 March 2023.
5. Grand Rapid And Others , The Encyclopedia Of Christianity, San Francisco Library, Volume 2 , 1999
6. Hapgood, Isabel, Service Book Of The Holy Orthodox-Catholic Apostolic Church, Antiochian Orthodox Christian Archdiocese, 2nd Edition, N.J,1922
7. Kirsten V And Ether, The Masking Of Mourning: Social Disconnection After Bereavement And Its Role In Psychological Distress, Clinical Psychological Science, 8(3), May,2020.

8. Lee Lyman, **What Taphonomy Is, What It Isn't**, Journal Of Taphonomy ,Volim 3, 2010 .
9. Lise Giugis, **L'expérience De Mort Imminente**, Une Stratégie De Survie,
10. Quiñones-Reyes, Samuel Ávila, **Animal Sacrifices: A Mechanism To Silence The Spirits Of Victims**, Jangwa Pana, Vol. 17, No. 1, 2018.
11. Salim Drici, « **Genèse Et Permanence Des Pratiques Funéraires De La Préhistoire Au Monde Antique En Afrique Du Nord** », Insaniyat, Science Et Vie Magazine, 68, 27 Avril 2022.
12. Smith K. V, Conducting , **Ethical Internet-Based Research With Vulnerable Populations: A Qualitative Study Of Bereaved Participants' Experiences Of Online Questionnaires**, Européen Journal Of Psychotraumatology, 9(Suppl. 1), 2018.

قائمة المذكرات:

1. بوساليم الصالح، **الصناعة التقليدية**، كلية الاداب و العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان 2001/2001.
2. سعيدة حاجي، **العصبية القبلية وتأثيرها على تطور الحضاري للمجتمع الجزائري** "المجتمع التبسي نموذجاً" كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشيخ العربي التبسي 2015.
3. عماد صولة، **هوية الطعام وطعام الهوية**، مجلة علوم الانسان والمجتمع ،جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، 2021.

مراجع اخرى:

1. المصلحة التقنية لبلدية تاملوكة، **مراجعات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير**، 2006.

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والسكان

دليل مقابلة بحث لأطروحة دكتوراه ضمن متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في علم

الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا

بغنوان:

الطقوس الجنائزية بين الدين والموروث الشعبي

دراسة أنثروبولوجية بولاية قالمة دوار سالف الكرمي أنموذجا

السنة الجامعية: 2024/2023

المعلومات الواردة في هذا الدليل سرية ولا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

دليل المقابلة

المحور الأول: بيانات أولية خاصة بالمبحوث

- الجنس:
- السن:

المحور الثاني: بيانات حول تمثيلات التنبؤ بحدث الموت، وطقوس الاحتضار .

1. ما هي دلالات اقتراب الأجل؟
 2. ما هي الأحلام التي تدل على اقتراب الاجل؟
 3. ما هي الحيوانات التي يدل وجودها على ان الموت سيحدث في مكان تواجدها؟
 4. ما هي علامات الاحتضار؟
 5. كيف يتم التعامل مع الشخص المحتضر؟
 6. كيف يتم تجهيز فضاء الاحتضار؟
 7. ما هي الطقوس المصاحبة لعملية الاحتضار؟
 8. ما هو مصدر طقوس الاحتضار التي تقومون بها هل هو الدين ام أنها طقوس موروثه؟
- ### المحور الثالث: بيانات حول طقوس لحظة الوفاة وكيفية تجهيز الميت وطقوس سحر الموتى

1. ما هي الطقوس التي تمارس اثناء لحظة الوفاة؟
2. كيف يتم الاعلان عن الوفاة؟
3. ما هي دلالات طقس البكاء على الميت؟
4. ما هي الممارسات الطقوسية المصاحبة للبكاء على الميت؟
5. كيف يتم تجهيز الميت لفصله عن عالم الأحياء؟
6. كيف تتم طقوس تغسيل الميت؟
7. كيف تتم طقوس تكفين الميت؟
8. ما هي الطقوس السحرية الخاصة بأدوات تجهيز الميت؟
9. كيف تتم طقوس سحر المقابر؟

المحور الثالث: بيانات حول طقوس صلاة الجنازة والدفن والحداد.

1. كيف تتم صلاة الجنازة؟
2. كيف تتم طقوس التشييع؟
3. كيف تتم طقوس الدفن؟
4. كيف تتم طقوس العزاء؟
5. ما هي طقوس زيارة القبر؟
6. هل المقبرة فضاء مقدس؟ وفيما تكمن قدسيته؟
7. ما هي الدلالات الرمزية لعناصر فضاء المقبرة؟
8. كيف تتم طقوس الحداد؟
9. كيف تتم طقوس الأربعين؟

ملحق الصور:

أولاً: ملحق صور الطقوس الجنائزية اليهودية

ملحق رقم (01): صورة توضح طقس الكريا اليهودي



ملحق رقم (02): صورة توضح الشاميرا أوصياء وحراس الموتى



ملحق رقم (03): صورة توضح المكفاه لأداء مختلف الطقوس اليهودية بما فيها تغسيل الميت من مياهها الطبيعية.



ملحق رقم (04): صورة توضح الطاليت لباس الصلاة اليهودي او شال الصلاة الذي يتم تكفينه فيه لدفنه



ثانيا: ملاحق صور الطقوس الجنائزية المسيحية

ملحق رقم (05): صورة توضح صليب الغفران الذي يوضع على جسد المحتضر المسيحي



ملحق رقم (06): صورة توضح تعليق الصليب على الباب كعلامة على وجود وفاة



ملحق رقم (07): صورة توضح الكأس والصحن والكتاب المقدس والصليب أدوات القداس الإلهي



ملحق رقم (08): صورة توضح رجل دين مسيحي يؤرجح المبخرة اثناء قداس الموتى



ملحق رقم (09): صورة توضح رجل دين مسيحي يحمل الديكيرون والتريكيرون لمباركة الناس



ملحق رقم (10): صورة توضح المذبح الافخارستي الذي تقام عليه طقوس قداس الموتى



ملاحق صور الطقوس الجنائزية الاسلامية (ميدان البحث)

ملحق رقم (11): صورة توضح مغسلة الموتى بالمستشفى



ملحق رقم (12): صورة توضح كفن الرجال وأدوات التغليف



ملحق رقم (13): صورة توضح كفن المرأة وأدوات التغليف



Abstract:

Funeral rituals are the cultural vessel that holds the perspectives of individuals about death. They are subject to the authority of religion and popular heritage, which together form a valuable system through which society regulates the reactions of its individuals towards death as an event that threatens one's existence, hence the importance of our study entitled "Funeral Rituals in Religion and Popular Heritage." In this thesis, we addressed the topic of death within a theoretical framework that rotates around the research questions and hypotheses that we analysed anthropologically by approaching them structurally, functionally, symbolically and interpretatively. During our examination of this phenomenon in the field, we adopted the ethnographic method and the historical method, and used participatory observation and interviews to collect data. The content analysis technique was utilized to analyze the gathered data. After these successive steps, we analysed the results of the study. The general conclusion confirms that funeral rituals reflect a cultural plan that includes sequential stages, which form an integrated system whereby the group expresses its relations and they also contribute to building its cultural identity.

Keywords: funeral rituals, religion, popular heritage, rituals of passage, representations.